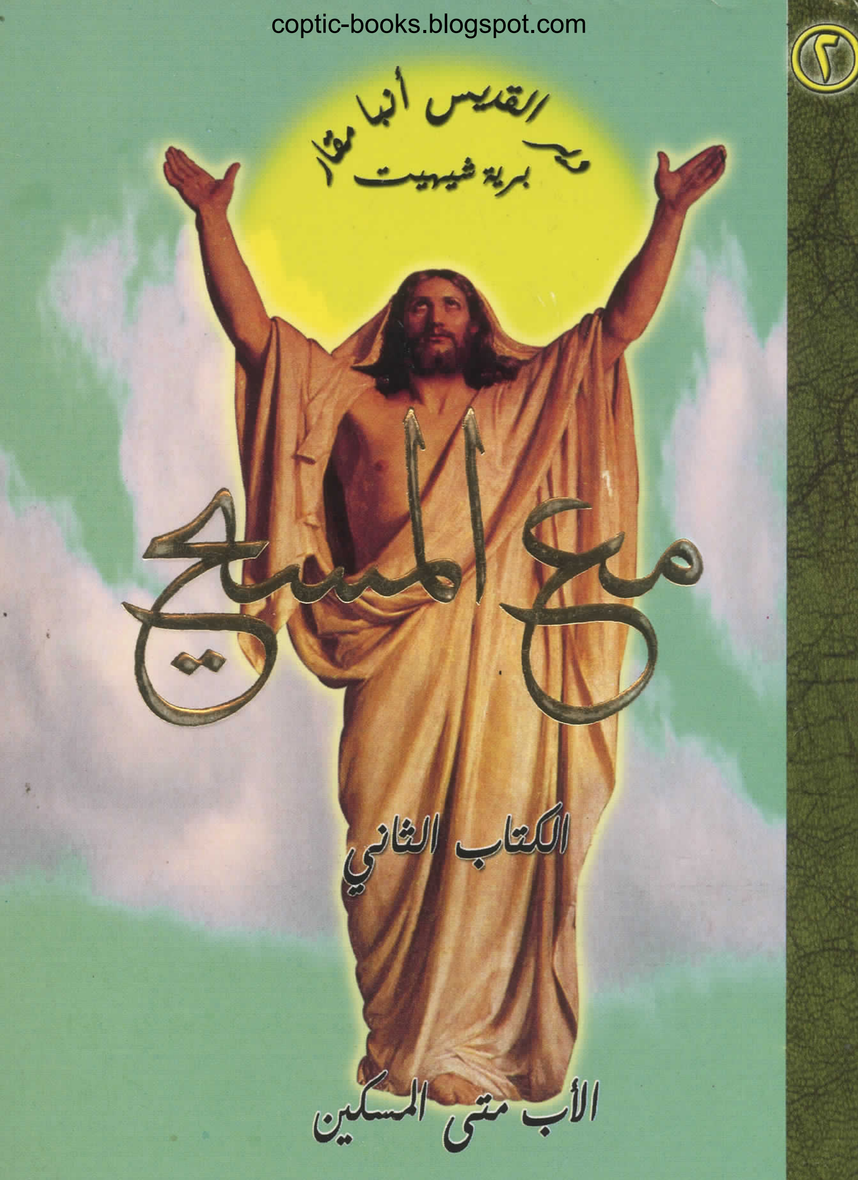

coptic-books.blogspot.com
٢
القديس أنبا مقار
دير
برية شيهيت
مع المسيح
الكتاب الثاني
الأب متى المسكين

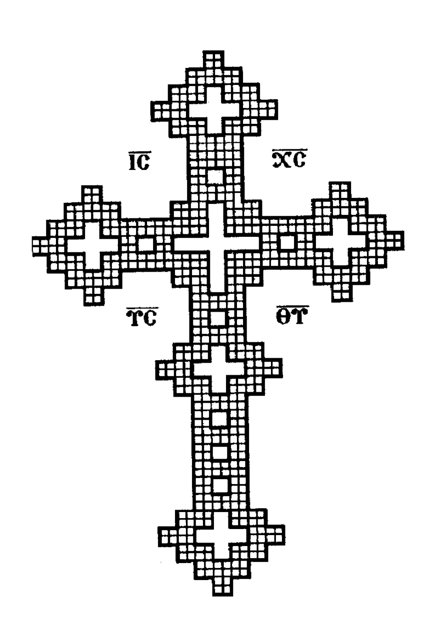
كتاب: مع المسيح – الكتاب الثاني.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ٢٠٠٦.
الطبعة الثانية: ٢٠٠٧.
مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون.
ص.ب ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٥/٢٢١٢٠.
رقم الإيداع الدولي: ISBN 977-240-245-9

مُقدِّمة

دعاء من القلب والروح للقارئ أن يأخذ نصيبه من الروح القدس حتى الملء ليذوق معنى الحياة مع المسيح، فهي طيِّبة بالنعمة المسكوبة من الآب على رأس المؤمن، وهي حق مُكتسَب بتوسُّط المسيح الذي لنا فيه شفاعة ووساطة بدمه الذي سكبه على صليب محبته من أجل الخاطئ حتى آخر قطرة، وذاق الموت لنذوق نحن الحياة الجديدة بقيامته، وننال نصيبَ البنين في إرث الابن الأزلي.

متى المسكين

المحتويات


IC
XC
TC
ΘT

- ١ -

«هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً، ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا»

إنجيل متى ١: ٢٣

لَمَّا أخطأ آدم وحواء وطُردا من أمام وجه الله، أُصيبت البشرية بابتعاد الله عنها، فصارت تتوالد في عُقْم البُعاد عن الله، بمعنى أن البشرية فقدت قُرْبها من الله الذي كان يَنعم به آدم. بما يعني أن كل أعمال وحياة الناس لم تكن تَنعم بمشورة الله وعمله، ليس إلى جيل بل إلى جيل الأجيال.

وأخيراً جاءت القُربَى من لَدُن الله، وتَدَخَّل الله بنفسه في حياة البشر، إذ أرسل ابنه الوحيد المساوي للآب في الجوهر أي في الطبيعة، ليولَد من عذراء طاهرة من بيت إسرائيل في ولادة فائقة على طبيعة البشر، أي بدون رجل، فكان الله الآب بمثابة أب حقيقي فائق للطبيعة البشرية، وأصبح المولود ابن الله الحقيقي[١]، ورأس البشرية الجديدة كلها. وهكذا انعقدت الآمال كلها

---

[١] أنظر لو ١: ٣٥.

ورجاء الإنسان في مولود العذراء، فلم تعُد البشرية متغربة عن الله، بل تحوَّل الإنسان تحوُّلاً فائق الوصف من كونه من بني آدم إلى ابنٍ لله، وصار نسله بالتالي بني الله العَليِّ بالإيمان[2]، إيمان ابن الله الذي دُعي يسوع. وبعد أن كان آدم رأس الجنس البشري، أصبح يسوع المدعو المسيح هو رأس البشرية الجديدة المؤمنة بيسوع المسيح، فكلُّ من يولد في الإيمان بيسوع المسيح ابن الله، ينال حق التبنِّي لله[3].

ومع التبنِّي لله، صار جنس الإنسان بحسب رأس الجنس كله أي يسوع المسيح، يُدعَى مسيحياً.

وبالتالي صار كل بني آدم مسيحيين؛ وبحسب الروح الذي يعمل في الإيمان، أي الروح القدس، صار كل الناس المسيحيين لهم رأس واحد وهو يسوع المسيح، وروحٍ واحد أي الروح القدس. وبمعنى كلِّي، صار كل الناس إنساناً واحداً في المسيح، لا ذكر ولا أنثى فيما بعد بل «جميعاً أبناء الله الحيّ بالإيمان (الواحد) بالمسيح يسوع»[4].

---

[2] أنظر غل ٣: ٢٦.

[3] أنظر يو ١: ١٢.

[4] غل ٣: ٢٦.

وهكذا تحوَّل بنو آدم من جنس البشر إلى جنس يسوع المسيح، ومن الكثرة المتفتتة إلى وحدانية الروح والجنس، ومن الأصل الترابي إلى طبيعة سماوية، ومن ميراث الجسد والآباء والأمهات إلى ميراث ابن الله في السموات، أي الحياة الدائمة الأبدية، لأنه لا يكون للإنسان موتٌ بعد بل انتقال من جنس ترابي إلى جنس سماوي، ومن ميراث ترابي إلى ميراث إلهي أبدي.

ومن هنا، بدأت الدعوة وبدأ التبشير بالإيمان بيسوع المسيح إيماناً صادقاً حقيقياً يتهيَّأ لهذه النقلة السعيدة بالإيمان الصادق الحيِّ بالمسيح يسوع ربنا.

على أنه يلزم جداً جداً أن نضع اللمسات الإلهية على معنى الإيمان الحيِّ الصادق بالمسيح يسوع.

وما هو الإيمان الحيُّ الصادق بالمسيح يسوع؟ هو أن نقبل قبولاً قلبياً حاراً صليبَ ربنا يسوع المسيح الذي قَبِلَه هو «من أجل السرور الموضوع أمامه»[٥].

وما هو السرور الذي كان موضوعاً أمام المسيح وقت الصلبوت؟ هو الحب، الحب الطاغي الذي جعله يحتمل التعذيب

---

[٥] عب ١٢: ٢.

وسفك الدم[٦]!! وهو حبُّ الآب الذي أطاعه الابن حتى الصليب، وحبُّ المسيح من نحو الإنسان الخاطئ.

وهنا ننبه ذهن القارئ أن عصيان آدم لله حُسب خطية عظمى، وكل إنسان يولد لآدم يرث موت الخطية في الطبيعة، فكل بني آدم حُسبوا خطاة في آدم لأن الخطية سادت على الجميع والكل وُلد في الخطية. ولكن، وكما سبق وقلنا، فإن بني آدم بعد أن آمنوا بالمسيح بالقلب والروح والصدق، حُسبوا بني الله في المسيح، أي حُسبوا جميعاً إنساناً واحداً في المسيح.

وكما أنه لمَّا أخطأ آدم صار كل بني آدم خطاة، هكذا يصير بنو الله في المسيح كالمسيح قديسين وأبراراً، لأن برَّ المسيح الذي اكتسبه بالصليب والفداء والقيامة منحه كاملاً متكاملاً للإنسان، فصار الإنسان باراً أمام الله بالفداء الذي أكمله المسيح للإنسان الخاطئ.

لذلك يُحسب عدم الإيمان بالمسيح والصليب والفداء أنه رجَعْةٌ إلى خطية آدم والبُعاد عن الله.

١٩ يوليو ٢٠٠٥

---

[٦] أنظر غل ٢: ٢٠.

- ٢ -

«وصوت من السموات قائلاً:
هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت»

إنجيل متى ٣: ١٧

هذا أول تعريف باللاهوت، فالصوت الذي جاء من السماء هو حتماً صوت الآب لأنه يقول: «هذا هو ابني».

فلأول مرة يُستعلن الله من السماء أنه آب وابن. ومن هنا جاءت حتمية الروح، فالآب حيٌّ والابن حيٌّ، والآب قدوسٌ هو والابن بالتالي قدوسٌ، ولزم أن يكون الروح قدُّوساً فعرفناه أنه الروح القدس.

وليس في اللاهوت انقسام أو عددية، فالآب والابن والروح القدس هو الله الواحد. فالآب حيٌّ بالروح القدس، والابن حيٌّ بالروح القدس، والروح القدس حيٌّ في الآب والابن، وقد حقق لنا المسيح أن الابن كائن في الآب وبالآب، وأن الآب كائن في الابن وبالابن، فالأبوة والبنوة في الله كيان واحد، وتحتَّم أن يكون الروح القدس قائماً في هذا الكيان. ولكن كما قلنا، إن

اللاهوت مُنـــزَّه عن الانقسام والعددية والمحدودية، فالآب يمـــلأ السموات والأرض، والابن يملأ الســـموات والأرض، والـــروح القدس يملأ السموات والأرض. فالآب والابن والروح القـــدس لاهوت واحد يملأ السموات والأرض.

فلما سقط آدم في الخطية وطُرد من أمام الله دبَّر الله كيف يُعيد بني آدم إلى حضرته، لأنه خليقته وقد خلقه الله علـــى صـــورته ومثاله. وبالرغم من أن آدم أخطأ وأصبح نسله كله وارثاً لموت الخطية، إلاَّ أن الله كان يحب خليقته جداً كما أعلمنا الكتـــاب: «هكذا أحب الله العالم (عالم الإنسان)»[١].

ودبَّر الله لآدم وبنيه خلاصاً من خطية آدم، وعقوبة الموت التي أخذها استحقاقاً لخطيئته، وذلك بأن كلَّف ابنه المحبوب الوحيد أن يتجسد، أي يأخذ جسد إنسان على أن يكون بلا خطيـــة، وهذا يحتِّمه الواقع لأن ابن الله قدوسٌ هو، وحيٌّ بالروح القدس. وأطاع الابن وتجسَّد، أي صار إنساناً بلا خطية، وذلـــك بـــأن تجسد في بطن عذراء قديسة، ووُلد، ويوم عماده سُمِع الآب من السماء يناديه: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرتُ».

---

[١] يو ٣: ١٦.

وقد كلَّفه الآب أن يحمل خطية الإنسان في جسده القدوس، ولكن عقوبة الخطية هي الموت، فكان لابد لابن الله الذي سُمِّيَ بيسوع أن يموت بالجسد حاملاً خطية الإنسان ولعنة النـــاموس، فلزم أن يموت صَلباً، لأن كل مَنْ يُصلب يكون ملعوناً[٢]، فأطاع الابنُ وحَمَلَ خطية العالم كله في جسده القدوس مُعلَّقـــاً علـــى خشبة الصليب، واعتُبِر ذلك ذبيحة خطية عن العالم كله، ومات ودُفن، ولكنه لأنه ابنَ الله الحيُّ بالروح القدس، قام بعد أن أدَّى واجب الموت ملعوناً على خشبة، حاملاً في جسده القدوس كل خطية بني آدم. وهكذا لَمَّا مات حاملاً خطية الإنســـان ماتـــت الخطية حتماً وبالضرورة.

ولَمَّا قام من الموت في اليوم الثالث، وهي عقوبة الموت كاملة، وقام بقوة الله والروح القدس الذي فيه، هكذا تَمَّم ذبيحة الفداء كاملة على الصليب. ولَمَّا قام، أقام الجسد المحسوب أنه جســـد الإنسان ككل، وهكذا قام الإنسان بقيامة المسيح وصعد بصعوده إلى السماء. ولَمَّا جلس المسيح عن يمين الآب، أجلَس معه كـــلَّ خاطئ عن يمين الله، وهكذا تمت المصالحة الأبدية بين الله وبـــني آدم الخطاة جميعاً الذين آمنوا بالمسيح وبصليب المسيح وبقيامته.

---

[٢] أنظر غل ٣: ١٣.

وهكذا تبرَّر الخاطئ ببرِّ المسيح، وحُسب الخطاةُ أبراراً وقديسين وبلا لوم في المسيح قدام الله كخليقة جديدة بالروح مُبرَّرَة ومَفْديّة.

وقول الآب من السماء يوم عماد المسيح: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرْتُ»، قالها الآب للابن، فوقعت من نصيب الإنسان، فدخل الإنسان في مسرَّة الله.

١٩ يوليو ٢٠٠٥



- ٣ -

«فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس»

إنجيل يوحنا ١: ٤

معروف أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة. ولم يعرف الإنسان الظلمة إلاَّ بعد أن أخطأ آدم وتقبَّل عقوبة الموت عقاباً وجزاء.

وكان الموت هو الظلمة عينها حيث تتوقف البصيرة عن معرفة أي شيء. ويُكنَى عن الظلمة بالجهل أو الجهالة، حيث تُحجز عن الإنسان أية معرفة، خاصةً فيما يخص الله وأمور الله.

وهكذا عاشت البشرية بعد آدم، إذ تسلَّمت الخطية منه مع عقوبة الموت، فدخلت في ظلام دامس هو بعينه عدم معرفة الله وكل ما يختص بالله. وتَوالَد الإنسان في الظلمة، حتى لم يعرف أنه في ظلمة، لأن ظلمة المعرفة تطمس معالم النفس البشرية.

وبينما كان بنو آدم في هذه الظلمة القاتمة، يسود عليهم الموت ومَنْ له سلطان الموت أي إبليس، الذي يُعرف عنه أنه يطمس العين البشرية لكي لا ترى الله و نور الله، بل تبقى في ظلمة

العبودية والموت سيِّدٌ عليها[1]؛ نقول إنه بينما كان الإنسان عائشاً في الظلمة سابقاً وهو راضٍ عن هذه الظلمة لا يعرف لها مخرجاً، إذ بالله الكثير الرحمة والتحنُّن يدبِّر له مَنْ يُخرجه من هذه الظلمة ويورِّثه النور كحياة.

فأرسل الله كلمته إلى عالمنا المظلم، أي ابنه الوحيد المعروف أنه نور السموات والأرض. ووُلد الكلمة من عذراء قديسة. وهكذا دخل نور الله عالم الإنسان، كإنسان، وحمل كلمة الله حياة الله. وهكذا دخل النور والحياة إلى عالم «الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق»[2].

وبالإيمان بالمسيح وبموته وقيامته، قام الإنسان أيضاً من موت الخطية بقيامة المسيح من بعد موتِ الفداء، وبالإيمان بالمسيح حُسِبَ أهلاً أن يرث ميراث الابن في الحياة الأبدية.

وما أن دخل شعاع الحياة الأبدية إلى قلب الإنسان الجديد، حتى انفتحت عيناه، فرأى النور الأبدي الذي لا يُطفأ، نور معرفة ابن الله[3].

---

[1] أنظر ٢كو ٤: ٤.

[2] أف ٤: ٢٤.

[3] أنظر ٢كو ٤: ٦.

فبذبيحة الابن على الصليب تم الفداء من الموت وظلمة الموت، وانبعثت الحياة من وسط ظلمة الموت، وارتفعت إلى السماء لتُعطيِ الإنسان استعلان معرفة الله وكل ما لله، وصار النور طبيعةً للطبيعة الجديدة للإنسان، فصار الإنسان يرى ويتثبَّت مما يراه من كل حقائق الإيمان. والعجب في كل أمور اللاهوت أنه إذا استَعلَن الإنسان حقيقةً فيه، امتلك هذه الحقيقة عن وعي وبثبوت.

وكما يتسلَّط النور على غرفة مظلمة فيصير كل ما فيها تحت نظرك وبصيرتك، هكذا جعل الله - البديع في تدبيره - أنه إذا دخل إنسان إلى معرفة الحق بالإيمان، فإنه يأخذه ويصير شريكاً فيه. هكذا كلُّ مَنْ يشترك في حياة الكلمة، أي يسوع المسيح، يتملَّكُه ويَستَعلِن له كل أسراره بلا مانع.

بهذا يُستعلَن للقارئ العزيز كيف كان تدبير الله منذ الأزل أن يدخل الإنسان في شركة الابن ليصير في شركة الحياة معه[٤]، وبهذا يُستعلَن له الله بكل وصاياه وتعاليمه، لأن في حياة الكلمة نوراً أزلياً يَستَعلن حق الله لكل ذي جسد يؤمن بالابن، وبصليبه للفداء، وبقيامته للحياة.

---

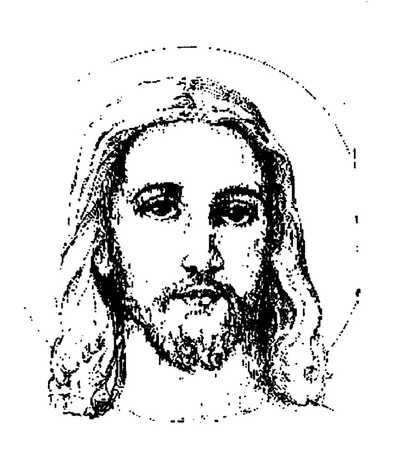
[٤] أنظر أم ١: ٩.

يقول الكتاب: «كان النور الحقيقي الذي ينير كلَّ إنسان، آتياً إلى العالم»[٥]. فوظيفة المسيح العظمى هي أنه النور الحقيقي والحياة الأبدية معاً، وقد سلَّم المسيح الإنسان الجديد الحياة والنور معاً ليليق أن يحيا مع الله.

فآمنوا بالنور لتعيشوا في النور،

لئلا يدرككم الظلام[٦].

١٩ يوليو ٢٠٠٥



[٥] يو ١: ٩.

[٦] أنظر يو ١٢: ٣٥،٣٦.

- ٤ -

«هوذا فتاي الذي ٱخترتُه، حبيبي الذي سُرَّت به نفسي. أَضَعُ روحي عليه، فيُخبر الأمم بالحق... يُخرِجُ الحق إلى النُّصرة، وعلى ٱسمه يكون رجاء الأمم»

إنجيل متى ١٢: ١٨، ٢٠

كان الصوت الذي جاء من السماء أولاً هو صوت الآب بعد أن خرج المسيح من المعمودية، باعتباره سيبدأ التعليم، وينطبق هذا على الإنسان الجديد الخارج من المعمودية بعد أن يكون قد دُعِيَ إلى بنوة الله.

وهنا، يجيء الصوت من الآب السماوي وقد صار المسيح فتىً يافعاً في كمال ملئه الجسدي، هنا مع صوت الآب يرسل الآب روحه القدوس الأبوي لكي يبدأ الخدمة مُستعلناً الحق الإلهي الذي هو معرفة الحق في أصله وطبيعته الإلهية.

ويظل المسيح يعلِّم الحق ويُعلنه للأمم الذين كانوا مرفوضين وخارج الناموس سابقاً، فالآن قَبِلَهم الآب إلى رعيته[١]، وأَوعَزَ

---

١ ٱنظر أف ٢: ١١-١٣.

لابنه أن يُخرِج لهم أعماق الحق الإلهي الكائن في الآب والابـــن، حيث يصير الحق للأمم قوةَ نُصرة على العدو وعالم العدو.

وهكذا يصبح اسم المسيح هو سلاح النصرة مع الكلمة القائمة في الإنجيل.

ولمَّا كان الأمم بلا إله في العالم ومُستعبَدين لأركان الظلمـــة وأعمالها غير المثمرة[٢]، فتح الله قلوبهم ليصير اسم المســيح هـــو الرجاءَ الحيَّ في الله. وفعلاً أصبحت كل أعمال المســيح هـــي خاصة بالأمم الخطاة الذين بـــلا نـــاموس ولا إلـــه في العـــالم، مرفوضين ومُشتَّتين في الأرض كلها، جمعهـــم المســـيح معـــاً، كخطاة، إلى كفَّارة الصليب؛ فقبلوا رسالة المسيح للخـــلاص. وكان خلاصهم عملاً يرنُّ في السماء والأرض، لأنهم تخلَّصوا من قبضة العدو القاسي وسلطانه على الموت، إذ قَبِلُوا القيامة ودخلوا سرَّها، واعتُبِروا الخليقة الجديدة المدعوَّة للحياة الأبدية، وذلـــك بالإيمان بالمسيح وكل أعماله ووصاياه الخلاصية.

في المرة الأولى التي أعلن فيها الآب من السماء سروره بالابن، كان يوم المعمودية وخروجه منها حائزاً على صـــورة الإنســـان

---

٢ أنظر غل ٤: ٣.

الجديد المخلوق للبر والحق والقداسة[٣]؛ فكانت فرحة الآب خاصة بانفتاح عهد جديد للإنسان عامة. وهنا سرور الآب يختص بيسوع لمّا صار فتىً أي إلى ملء قامة الإنسان. وهكذا ومع هذا، سكب الله الآب عليه من السماء روحه الأبوي، وبهذا دخل المسيح الخدمة وهو في ملء اللاهوت جسدياً، أي ملء الآب وملء الابن بالروح، فاعتُبِر بالنسبة للأمم الداخلة في الإيمان به: أن الله نفسه هو إله الأمم يبنيهم بناءً إلهياً كاملاً، كأب يُربِّي، وابن يُعلِّم ويحنو.

وهكذا نال الأمم ميراث الابن، باستحقاق الشركة في الله التي دخلوها مع الآب والابن، ولم يعُدْ ينقص الأمم شيء عن باقي إسرائيل المدعوَّة أولاً رعية الله، وهكذا دخل الأمم كأهل بيت الله لميراث المجد، كرعية مع القديسين بالتساوي الكامل، فتمَّت فيهم مسرَّة الآب[٤]. ويقول الكتاب إن المسيح جعل الأمم، بدخولهم إلى الله، محبوبين وظافرين على العدو وكل أعماله إذ «نقض حائط السياج المتوسط»[٥] في الهيكل الذي يمنع دخول

---

[٣] أنظر أف ٤: ٢٤.

[٤] أنظر أف ٢: ١٩-٢١.

[٥] أف ٢: ١٤.

الأمم إلى قدس الأقداس. وهكذا انضمَّ الأمـــم إلى شـــعب الله وصاروا معهم شعباً واحداً محبوباً، له ملء مسرة الله الآب.

٢٠ يوليو ٢٠٠٥



– ٥ –

«قد كَمَلَ الزمان، وٱقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»

إنجيل مرقس ١: ١٥

هذا كان أول حديث للمسيح بعد أن أنهى خروجه إلى البرية وأكمل كل تجاربه.

وهنا يتكلم المسيح عن اكتمال الزمان، وأيَّ زمان؟ هو زمان التِّيه الذي عاش فيه بنو آدم بعيداً عن الله، أما اقتراب ملكوت الله فكان يقصد به المسيح انتهاء غضب الله على بني آدم، بواسطة تدخُّل المسيح، وإكماله فداء الإنسان بذبيحة نفسه على الصليب.

أما الزمان الأول الذي يذكره هنا المسيح بقوله «قد كمل الزمان»، فهو حقبة هائلة جداً من السنين، فهو تاريخ بني البشر منذ آدم إلى زمن ميلاد المسيح، وقد جمعناها هنا تقليدياً بحسب الأعمار المذكورة في العهد القديم فوجدناها تربو على ٥٥٠٠ سنة. ولكن بحسب الحفريات التي قام بها العلماء فهم يقولون إن الحقبة الزمانية لظهور الإنسان ربما تربو على ملايين من السنين، ولكن علينا أن نأخذ بما جاء في أعمار الآباء والأنبياء الأُول لأنها

هي الحقبة التي كان للإنسان فيها علاقةٌ ما بالله كمجرد خليقة.

ويذكر سفر العبرانيين لمحةً عن الآباء الأوائل الذين عاشوا في هذه الحقبة على رجاء رحمة الله، وذلك قبل مجيء المسيح: فيذكر الكتاب قصة هابيل وقايين وَلَدَي آدم، ثم ذكر أخنوخ الذي أرضى الله بأعماله ورُفع إلى السماء حيّاً ولم يرَ الموت، ثم ذكر نوحاً وهو أيضاً محسوب أنه كان باراً، وقد كلَّفه الله أن يبني الفُلْك أيام الفيضان الكبير الذي أغرق كل الخليقة إلاَّ الذين احتجزهم نوح في فُلْكه وكانوا ثماني أنفس مع أزواج من كل الحيوانات التي أراد الله لها أن تعيش. ثم عبر سفر العبرانيين عدة أجيال لم يذكر منها شيئاً، حتى جاء إلى إبراهيم المدعو "أبو الآباء" لأنه أول من آمن بالله، وجُرِّب، ونجح في التجربة هو وامرأته سارة، التي باركها الله وأنجبت ابناً وهي في شيخوختها.

ثم يختصر سفر العبرانيين الأجيال كلها ويضمُّها معاً بقوله الجميل المملوء ثقةً وإيماناً: «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون، وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدَّقوها وحيَّوْها، وأقرُّوْا بأنهم غُرباء ونُزلاء على الأرض... ولكن الآن يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً، لذلك لا يستحي بهم الله أن يُدعى إلههم، لأنه أعدَّ لهم مدينة»[١].

---

[١] عب ١١: ١٣، ١٦.

ثم عاد سفر العبرانيين وذكر إسحق ويعقوب، ثاني وثالث الآباء الأُول الكبار. ثم جاء إلى يوسف وقصته المعروفة التي انتهت بنزول يعقوب وكل بنيه مُتغرِّبين في مصر، ثم عودهم إلى فلسطين في زمان موسى مع عظام يوسف. وذكر أيضاً كيف صنع موسى الفصح الأول في مصر كنُبوَّة ذات أثر كبير في نفوس بني إسرائيل قبل أن يجيئوا ويسكنوا فلسطين ويتمِّموا عمل الفصح على غرار ما عمل موسى.

هذا باختصار هو الزمان الأول، زمن تَيْه الإنسان من أمام وجه الله، إلى أن تحنن الله وأرسل وسيطه الأعظم ابنه الوحيد لكي يفتتح عهد الملكوت الجديد، ويصالح الإنسان المطرود من أمام وجه الله، ليعود إليه مبرَّراً ومُقدَّساً بالروح لائقاً بأن ينضم إلى أهل بيت الله القديسين.

وهنا يدعو المسيح بنفسه الإنسانَ أن يتوبَ عائداً إلى الحق والله، معترفاً بخطاياه، ليقبل الغفران الكلِّي، ويحظى بنصيب البنوَّة لله وإِرْثها المبارك في الحياة الأبدية.

٢٠ يوليو ٢٠٠٥

- ٦ -

«هذا يكون عظيماً، وابنَ العليِّ يُدعَى،
ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه،
ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لمُلْكه نهاية»

إنجيل لوقا ١: ٣٢، ٣٣

هنا الملاك المبشِّر يعطي ملامح يسوع المسيح. ولينتبه القارئ، فأُفق الملاك في المعرفة محدود للغاية، وهو يعطي أوصاف المسيح على مستوى ملائكي فيقول إنه «يكون عظيما»، حيث العظمة عظمة ملائكية سمائية تنتهي بالدرجات العظمى، أي أنه سيكون أعظم من الملائكة. ثم يستدرك ويصف علاقته بالله فيعطيه درجة ابن العليِّ وهو وصف يفوق قدرة ملاك، لأن الملائكة محسوبون أنهم خُلقوا ليخدموا الخلاص للعتيدين أن يرثوه، ولكن الملاك هنا يكشف أول أسرار الابن التي لم يسبق أن سمع بها ملاك أو بشر. فابن العليِّ عليٌّ هو، وأعلى من كل صفوف الملائكة ورؤساء الملائكة. ثم يدخل الملاك في خصائص ابن العليِّ فيصف مُلْكه الكلِّي والأبدي على بيت إسرائيل، ثم يعود ويصف مدى انتشار

واتساع مُلْكه الأبدي أن لا نهايةَ زمنيةً له، بمعنى أنه فائق علـــى زمن البشر الذي له نهاية، فمُلْك ابن العليِّ لا نهاية له، لا نهايـــة زمانية ولا مكانية، أي أنه يملأ السماء ويملأ الأرض، لا حـــدود له.

ويصف الملاك مستوى تملُّك ابن العليِّ علـــى كرســـي داود، باعتبار أن المسيح ابن العليِّ سيكون سليل داود، أي يرث مُلْك داود كوريث شرعي، وهنا يُلمِّح الملاك إلى جنسية ابن العليّ أنه بشريٌّ هو، وهنا يقرن الملاك لاهوت ابن العليِّ بناسوت ميراث داود. وهذا يُعتبر أول استعلان للابن المتجسِّد أنه ابن العليِّ وابن الإنسان معاً، الأمر الذي يشير إلى نوع ملوكيته: أنه وسيط قادر بين العليِّ وبين البشر. فهنا يتحتَّم أن تكون ملوكية ابن العلـــيِّ سماوية وأرضية معاً، تحمل كل ما لله وكل ما للبشـــر. حيـــث تصبح المصالحة بين الله والإنسان على مستوى إلهي وملكي، يخدم هذه المصالحة ابنُ العليِّ إلى أبد الآبدين، حيث تضم هذه المصالحة كل أجيال الإنسان، فهي مصالحة أبدية قادرة علـــى التكميـــل الكامل.

لهذا تُعتبر بشارة الملاك المبشِّر للقديسة العذراء مـــريم ســـجلاً مختصراً وكاملاً لعمل ابن العليِّ المولود من العذراء مريم ومستواه

الإلهي الملكي.

وبذلك يكون ابن العليِّ، أي الرب يسوع المسيح، صاحب مملكتين، ملكوت السماء ومملكة الإنسان بآن واحد. وهنا نجد الإشارة واضحة لعمل ابن العليِّ، أن ينقل الإنسان من مملكة الإنسان ليُدخله في ملكوت السموات. وفي هذا كانت مسرَّة الآب ومنتهى مسرَّة الإنسان معاً. وظلت هذه المسرَّة مرافقة لابن العليِّ حتى إلى الصليب، فقيل إنه «من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب»[1]، وهي مسرَّة الآب في السماء، ومسرَّة الناس على الأرض، ومسرَّة الابن الذي أكمل طاعة الآب «حتى الموت موت، الصليب»[2].

لذلك نحن مديونون لملاك البشارة الذي أعطانا هذا السجلّ الحافل بعمل ابن العليِّ.

٢٠ يوليو ٢٠٠٥

---

[1] عب ١٢: ٢.

[2] في ٢: ٨.

- ٧ -

«اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرَّهُ، وهذه كلها تُزاد لكم»

إنجيل متى ٦: ٣٣

اهتمامات الناس عديدة، وفيها تتركز طلباتهم من الله أن يسددها ويباركها لهم.

كذلك الله، فاهتمامات الله كثيرة جداً جداً ولكنه يطلب ما له أولاً وبإلحاحٍ، فالله يطلب ويطالب الإنسان أن يطلب مَلَكوته ورضاه أولاً وأهم من كل شيء، وفيما بعد ملكوت الله يمكن أن نطلب بعد ذلك ما يخصُّنا.

وهكذا يطالب الله الإنسان أن يهتم ويسعى ويطلب ملكوته أولاً وقبل كل شيء، والعجيب أن الله يتعهد في مقابل ذلك أن يهتم بمطالب الإنسان الأخرى، وإنها صفقة رابحة جداً لحساب الإنسان. ولكن إن جاز القول، فهي صفقة أكثر ربحاً لدى الله، فالله يطلب مَلْء ملكوته. ونسمع من المسيح نفسه قصة الرجل الثري الذي عمل وليمة لأصدقائه[١]، وأرسل خَدَمه ومعاونيه أن

[١] لو ١٤: ١٦-٢٣.

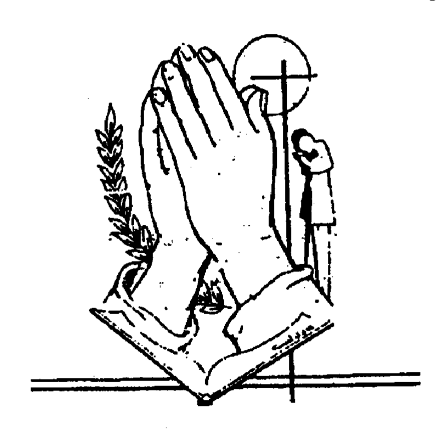
يَدْعوا الناس لكي يجيئوا إلى الوليمة، فلما دعا الدعاةُ الناسَ، رجعوا وقالوا لصاحب الوليمة إن في بيته أماكن فارغة كثيرة، فقال لهم: اذهبوا خارج السياجات، أي إلى غير المؤهَّلين الذين لا نعرفهم، ودعوهم يدخلون **حتى يمتلئ بيتي**.

فانظروا وعُوا، أيها الأحباء: إن الله يُطالب بأن يمتلئ ملكوته، والغريب بل والعجب العجاب أن يتغاضى عن اللياقة البشرية، فالمساكين والفقراء والعرايا والعُرْج والعُسْم ومقطوعو اليدين والرجلين مدعوُّون تماماً على مستوى البكوات والباشاوات! فلا يحظى اللِّبْس واللياقة البدنية والشكل والمظهر بأية أهمية عند الله في اختيار مدعوِّيه إلى ملكوته.

هذه قصة حقيقية من فم المسيح نفسه!! فارفع رأسك، أيها القارئ العزيز، ولا تنظر لأي قُصور عندك، لا شكلاً ولا موضوعاً، فطلب المسيح يتركز في دخولك ملكوته وهو مستعد أن يتغاضى عن أي نقص أو عيب فيك، فهو كفيل أن يُعيد خلقة هيكلك الجسدي ليكون على أعلى لياقة، وهو قادر أن يكمِّل كل نقص في سلوكك وأخلاقك، فلا تهتم بما ينقصك، ولكن اهتم بالدرجة الأولى بطلب ملكوت الله وبرِّه.

وبرُّ الله قادر أن يغطِّي الإنسان كله بالمجد والبهاء، فلا تنظرْ إلى دناءة مولدك أو مركزك، فالله قادر أن يرفعك إلى مستوى ملائكته، فتعالَ وتعالَ وتعالَ، ولا تنظر قط لاستحقاقك، لأن حق الله إذا قَبِلَك، يجعلك تصير كفؤاً كفاءة الشاروبيم والساروفيم. والعجيب أن الله لا يأمرنا بأي عمل يمكن أن يزيد لياقتنا لملكوته، ولكنه اقتصر على حثِّنا على أن نطلب ملكوته وبرَّه أولاً وقبل كل شيء، وهو كفيل حقاً برَفْعِنا إلى مستوى اللياقة التي تليق بملكوته.

٢١ يوليو ٢٠٠٥



- ٨ -

«ما أَضْيَقَ الباب وأَكْرَبَ الطريق الذي يؤدِّي إلى الحياة، وقليلون هم الذين يجدونه»

إنجيل متى ٧: ١٤

في مقابل الباب الضيق والطريق الكَرِب، يوجد الباب الواسع والطريق الرَّحْب الذي يؤدِّي إلى الهلاك.

إذن هي موازنة دقيقة ومحسوبة عند الله، وعند العارفين بالطريق الضيق وبابه الأضيق. والعجيب حقاً في أمور الناس أهم دائماً أبداً يبحثون عن الباب الواسع والطريق الرحب. فالمسيح، في هذا المثل، لا يضع أمام القارئ اختياراً بين الباب الضيق والباب الواسع أو الطريق الضيق والطريق الواسع.

بل هو يأمر، لأن الاختيار هنا مُميت ومُهلك. فالباب الواسع يغرُّ الجاهل والأحمق فيجري نحوه، كذلك الطريق الواسع يهواه الأغنياء وذوو الأموال ويدفعون فيه الكثير.

فهنا في هذا القول المُلهِم والمُحيي إنذار مخيف ورُعبة مميتة ومُهلكة، وكأن الله يضع يافطة بيد ملاك تقول: إحذر إحذر،

هنا موت وهلاك!!!

ولكن ما العمل في الناس الذين يدفعون غالياً في الباب الواسع والطريق السهل الممهَّد، ويندفعون يحجزون دورهم بآلاف الجنيهات؟ فإن كان صوت المسيح ليس كفاية لهم، فماذا يمكن أن نقول ونفعل؟

الشيء المؤكد الذي أقوله للقارئ العزيز، هو أني جُزْت الباب الضيق، ومشيت في الطريق الضيق جداً والخطِر جداً، أما الذي لم أكن أنتظره فهو أن الرب أخذ بيدي، ومرَّرني في الباب الضيق، وسار معي في الطريق الكرب حتى النهاية!

وهكذا أُقدِّم للقارئ شهادة عملية لعله ينتصح ويقبلها. إذ توجد اليوم ظاهرة غريبة جداً هي تدافُع الناس على اختيار الباب الواسِع والطريق المعبَّد السهل. وسيظل هذا سرّاً مكتوماً لن يُستعلَن في الزمان الحاضر، ولكنه سيُستعلَن في النهاية، حيث يكون الندم أشد الندم، لأن الباب الضيق مكروه من الناس والطريق الكرب لا يمر فيه أحد. فإن بحثت عن آثار أقدام الذين ساروا في الطريق الكرب فسوف تنذهل من ندرة آثار الأقدام التي سارت فيه.

فإن كنا ندعو اليوم بفم المسيح، أن آختاروا لأنفسكم الباب الضيق والطريق الكرب، فها أنا أُظهر لكم علامة لا تخيب أبداً، فعندما تضع رجلك على عتبة الباب الضيق، ستشعر بقوة ترفعك إلى فوق، فتَعْبر الباب بالفرح والتهليل. وإذا سرتَ في الطريق الكرب، فسيظهر لك مُعينٌ من السماء قد تكون السيدة العذراء القديسة مريم بنفسها أو أحد الملائكة المكلَّفين لإعانة السائرين على الطريق الكرب.

قصارى القول، إنك لن تشعر بضيق الباب أبداً ولا بكَرْب الطريق نهائياً، بل على العكس، فالذين يختارونه سيدخلون بالفرح ويسيرون بالتهليل وكأنه عيد الأبدية. والحق يُقال هنا لحساب المسيح الذي يدعو والروح القدس الذي يشدِّد، أنه بمجرد أن تضع رجلك على عتبة الباب الضيق ستحسُّ وكأنك تسير في طريق ملكوت الله، ومهما ضاق الباب وكَثَر كَرْب الطريق فسيحوطك ملائكة، وربما تراهم وجهاً لوجه، وربما تحس بهم يحثونك على المسير حتى النهاية.

٢١ يوليو ٢٠٠٥

- ٩ -

«قد أُعطِي لكم أن تعرفوا سرَّ ملكوت الله، وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء»

إنجيل مرقس ٤ : ١١

الكلام هنا كلام المسيح لأخصَّائه، فالذين هم من خارج هم في الحقيقة غير المدعوِّين لملكوت الله أيّاً كانوا.

ولكن ما هو سرُّ ملكوت الله؟

في الحقيقة، إن سرَّ ملكوت الله الوحيد هو يسوع المسيح نفسه، لذلك أصبح كلُّ من يؤمن بالمسيح فهو مدعوٌّ لدخول ملكوت السموات، والذي لا يؤمن بالمسيح فليس له الله ولا ملكوت الله. وهكذا أصبح التعليم والتفسير والكرازة بالمسيح هي دعوة وحيدة وعظمى لدخول ملكوت الله.

وما هو ملكوت الله؟ واضح من الاسم أنه مملكة الله أو حُكْم الله، وبالأكثر هو بيت الله. والمدعوُّون إلى الملكوت هم مدعوُّون للحياة في بيت الله، وهم القديسون الأبرار الذين دعاهم الله الدعوة الكبرى ليكونوا أهل بيته يتآنسون بالله والله نفسه يؤْنِسهم، كذلك هم المحسوبون أنهم المختارون والمعيَّنون منذ

الأزل وأسماؤهم مكتوبة على كفِّ الله.

لذلك فالدعوة إلى الإيمان بيسوع المسيح هي أقصر الطرق المؤدية إلى ملكوت الله والمسيح، والإيمان بالمسيح هو قبوله رباً ومسيحاً مصلوباً كذبيحة فِدية، وقائماً من الموت، منتصراً فوق العالم ورئيس هذا العالم.

علماً بأنه بدون المسيح، من المستحيل لأي إنسان أو مخلوق أن يدخل ملكوت السموات. لماذا؟

لأنه بدون المسيح يملك الشيطان على العالم كله، ويسود على الخليقة كلها، وهو أصل الشر، وأبو الكذب، والمجدِّف الوحيد على الله، ولا مفرَّ من الوقوعِ تحت سيادته وسلطانه القاسي والشرير الذي لا يرحم أبداً. فمَنْ ذا يكون تحت سلطان هذا الشرير القاسي ويفلت من قبضته الحديدية؟

لذلك اسمعني أيها القارئ العزيز، وهوذا أنا أكشف لك سرَّ الحياة كلها والموت؛ إما أن تؤمنَ بالمسيح أو تقع مُرغَماً مغلوباً تحت سلطان الشيطان الذي أُعطي له رسمياً السلطان على كل العالم[1].

فالإيمان بالمسيح ليس هو اختياراً ولا هو تنازلاً منك، بل هو

---

[1] أنظر لو ٤: ٦.

المفرُّ الوحيد من الوقوع في فخِّ الشيطان وسلطانه القاسي. ولكن ليس هو فقط تمييزاً بين المسيح - تمجَّد اسمه - وبين الشيطان - لعنة الله عليه - ولكن ما بعد التمييز والاختيار الإجباري بين المسيح - تمجَّد اسمُه - وبين العدو المتربِّص، تظهر النتيجة المرعبة حقاً، فإما ملكوت الله؛ وإما جهنم مأوى الشياطين بنارها التي لا تُطفأ!

فهل بعد ذلك يمكن التمييز بين المسيح - تمجد اسمه - وبين جهنم وصاحبها؟ هنا الاختيار مُرعِب ومُميت ومُهلك. فإن كنا ندعو الآن للإيمان بالمسيح، فلأنه هو الخلاص الحقيقي، والدعوة المفتوحة والممنوحة لملكوت الله. وملكوت الله هو هو الحياة الأبدية في عِشْرة الله والمسيح والقديسين جميعاً.

فانظر الآن وافهم، أن الدعوة للإيمان بالمسيح هي الرجاء الوحيد أمامك، والضمان الوحيد للنصرة فوق هذا العالم!

فهل عرفت الآن **ما هو سرُّ المسيح؟**

وما هو سرُّ ملكوت الله؟

٢١ يوليو ٢٠٠٥

«إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله، المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح»

إنجيل يوحنا ٣: ٥، ٦

بمجيء الرب يسوع المسيح ابن الله مولوداً من الروح ومن العذراء مريم، انتهى زمن الميلاد بالجسد من أب جسدي وأم جسدية، فأصبح كل من وُلد من الروح هو روح والمولود من الجسد جسدٌ هو.

ودبَّر الله معمودية الماء والروح للإنسان، لكي يولَد كالمسيح من الروح. فأصبحت معمودية الماء والروح بمثابة ميلاد الإنسان من جديد، واعتُبر المعمَّدون من الماء والروح مولودين من فوق، حيث موطن الروح. أما الذين لا يُعمَّدون بالماء والروح فيظلون مولودين من الجسد، حيث يُعتَبرون جسديين غُرباء عن الروح وموعد الروح في السماء.

وأول من تعمَّد من الماء والروح هو ابن الله الرب يسوع

المسيح، وإليك كلام الذي عمَّده، أي يوحنا المعمدان: «وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمِّد بالماء، ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومُستقراً عليه، فهذا هو الذي يُعمِّد بـالروح القدس، وأنا قد رأيتُ وشهدتُ أن هذا هو ابن الله»[1].

واضح الآن بالبرهان، أن ما قبل المسيح لم تكن هناك معمودية بالروح، وأن أول من تعمَّد بالماء ونزل عليه الروح هو ابـن الله الرب يسوع المسيح ليكون هو هو الذي يُعمِّد كل إنسان بالماء والروح. فالمعمَّد، يُغطِّسه الكاهن في الماء ثلاث دفعات باسـم الآب والابن والروح القدس، حسب التقليد الرسـولي، كـأمر المسيح قبل صعوده: «فاذهبوا وتَلْمِذوا جميع الأمم وعمِّـدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتُكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين»[2]، على أن يتم أثناء الدعاء بالاسم أن يُغطَّس المُعمَّد تحت سطح الماء تعبيراً عن الموت مع المسيح، وحينما يُرفع فوق الماء يكون هـذا بمثابة القيامة. لذلك فالمعروف أن بالمعمودية تتم الشـركة مـع المسيح في الموت والقيامة. وهذا هو تقليد المعمودية المسلَّم مـن

---

[1] يو ١: ٣٣،٣٤.

[2] مت ٢٨: ١٩،٢٠.

المسيح. والمعروف روحياً ولاهوتياً أنه حينما يُعمِّد الكاهن، يحضر المسيح بالسرِّ ويقوم هو بالتعميد.

فيخرج المعمَّد من الماء مولوداً جديداً من الماء والروح بيد المسيح. ولكي يتأكَّد حدوث الميلاد الجديد بالروح بيد المسيح، يقف المُعمَّد ويجحد الشيطان الذي هو صاحب الخليقة العتيقة بالإجبار.

بهذا يُحسب الإنسان أنه ٱبنٌ جديدٌ لله، إنْ هو حافظ على مذَّخرات وسرِّ المعمودية بالروح.

والمعروف حسب التسليم القديم أن يجتمع المعمَّدون ويقدِّموهم في الهيكل، ليتناولوا من الجسد والدم، ليصيروا أعضاءً في جسد المسيح، وشركاءَ حياة ومجد وميراث.

هذا التقليد الكنسي المسلَّم بواسطة المسيح وتعليمه، هو الذي يصبغ الإنسان بالصبغة السرِّية الإلهية ليصبح من أولاد الله المختارين، إن هو حافظ على شروط هذا السرِّ، أي شروط سلوك أبناء الله بالروح في هذا العالم حتى النهاية.

ويُقدَّم للمعمَّد الجديد إن كان يافعاً، الإنجيل ليكون هو دستور حياته يحفظه حفظ القلب والروح، وليس لمجرد القراءة، وتصبح

حياة المعمَّد محسوبة عليه، بمعنى أن حياته يلزم ويتحتَّم أن تكون شهادةً للمسيح في كل الأقوال والأعمال. على أنه على القارئ أن يعرف ويتأكّد أن الروح القدس هو الذي يدير ويسوق حياته، كما نص بولس الرسول أن «كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله»[3]، أي ليطمئن القارئ أنه لن يواجه الحياة بمفرده، بل إن روح الله القدوس سيسوس حياته ويُلهمها ويقودها.

وكل معمَّد بالماء والروح وهو متوشِّحٌ بالصليب، يُلبسونه جلباباً أبيضَ ناصع البياض تعبيراً عن لِبْسه المسيح، لأن كل معمَّد بالروح يُدعى اللابس المسيح، وهذا التعبير يعطي المعمَّد إحساساً بأنه صار كله للرب.

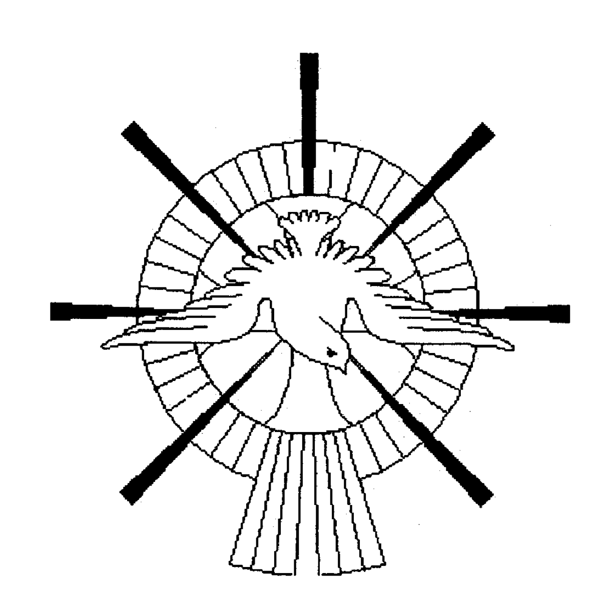
وكان في طقس الكنيسة قديماً أن أسقف الكنيسة يجمع المعمَّدين الجُدد قبل ميعاد دخول الكنيسة للتعييد للقيامة المجيدة، ويتقدَّمهم حاملاً الصليب فيفتحون له باب الكنيسة بالتهليل والترانيم؛ وعندما يصل إلى الهيكل ويكون الباب مُغلقاً، يقف الأسقف مع صفوف المعمَّدين ويهتفون لاسم الرب بترنيمة لا تزال تستخدمها الكنيسة ولكن في موضع آخر مؤدَّاها: «انفتحي

---

[3] رو ٨: ١٤.

أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجـــد»، ويـــردُّ خـــورس الشمامسة من داخل الهيكل المُقفل ويقولون: «من هـــو ملـــك المجد؟»، فيرد الأسقف والمعمَّدون: «الرب العزيز القوي الجبَّـــار هو ملك المجد»، فتُفتح الأبواب بتمثيلية جميلة ليلة العيد، ويدخل الأسقف ويناول المعمَّدين الجدد وباقي الشعب.

٢٢ يوليو ٢٠٠٥



- ١١ -

«الآب يحب الابن، وقد دفع كل شيء في يده. الذي يؤمن بالابن، له حياة أبدية.والذي لا يؤمن بالابن، لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله»

إنجيل يوحنا ٣: ٣٥،٣٦

لمَّا أغضب آدم الله، طُرد من أمامه وأخذ عقوبة الموت عقاباً، وصار بنو آدم جميعاً تحت غضب الآب بالتناسل من آدم، وهكذا دخل عالم الإنسان كله تحت غضب الله.

إلى أن جاء الوسيط والمُصالح الإلهي يسوع المسيح ابن الله. وفعلاً صالح الإنسان بالله، فصار الابن محبوباً جداً من الآب. وكما أورث آدم غضب الله إلى كل بني آدم، هكذا أورَث ابن الله المصالحة والحب لكل العالم، الذي دخل بناءً على ذلك في محبة الله: «هكذا أحبَّ الله العالم»[١].

وقام الابن بعملية المصالحة العظمى ببذل جسده على الصليب

[١] يو ٣: ١٦.

كفَّارةً لخطايا العالم ومصالحةً مع الله[٢].

وبناءً على محبة الله للمسيح الابن المحبوب، صار كلٌّ من يَقبَل الابن رباً ومسيحاً، ويؤمن بالصليب والقيامة، يعطيه الله الحياة الأبدية التي هي حياة الله الكلية والأبدية.

وأما الذي لا يؤمن بالابن، أصبح بالضرورة ومن واقع الأمر لن يرى حياة، وبالتالي يبقى كما هو ابن آدم المغضوب عليه والمحروم من محبة الله، ويظل تحت هذا الغضب إلى أن يؤمن بالمسيح.

وهكذا ضاقت الدنيا في وجه الذي يرفض المسيح ولا يؤمن به، فغضب الله يترصَّده، بل والشيطان أيضاً يصبح أباً للمرفوض من الله، ويأخذه في حضنه ويتولَّى نَصْب فخاخه عليه حتى يبقى في حوزته كل الأيام. فحياة المغضوب عليهم من الله هي حياة البؤس والشقاء تحت قيادة العدو الذي لا يرحم. وفي الحقيقة ليس هناك اختيار بين الإيمان بالمسيح وعدم الإيمان به، لأن ليست هنا أية موازنة على الإطلاق، لأن رفض المسيح ورفض الإيمان به أكبر مصيبة تحلُّ بالإنسان، وهي البقاء تحت غضب الله، وبالتالي

---

٢ أنظر رو ٣: ٢٥، ٢كو ٥: ١٩.

الوقوع في مخالب الشيطان ليفتك به.

على أنه يلزم أن نوعِّي الإنسان أن الوقــوع تحــت ســيادة الشيطان أمرٌ لا يمكن ملاحظته في بداية الحياة معه، لأنه يُخفــي فخاخه ويُخفي المصير المشئوم الذي سيحلُّ على مَــنْ يقــع في حوزته؛ بل ربما على النقيض فإنه يسخو عليه في الأول بالمــال والمناصب ومديح الناس والفأل الحسن والحظ الناجح في كــل خطوة إلى أن يصيده صيداً كاملاً ويصبح ولا رَجْعة له. وحينئذ تظهر علامات الغش والخداع الذي سقط فيه، ويبدأ الشــيطان نفسه يكشِّر عن أنيابه، إذ لا تكون رَجْعة لمن استولى علــيهم. وحينئذ يكون الندم والبكاء والحزن المُقيم على الحياة التي انقضت في الباطل بعيداً عن الله والحق والإنجيل، ولكن لا يُزيد الندم إلاَّ الحزنَ المرَّ على الحياة التي ولَّت في الحرام.

ولكن لا يأس مع الله، ولا يقبل الله مجرد الندم أو الحزن على الماضي. فالخاطئ، مهما كانت خطاياه، فله عند الله مكانٌ مُتَّسعٌ في صدره وفي حبِّه.

٢٢ يوليو ٢٠٠٥

- ١٢ -

«كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً، ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد.
بل الماء الذي أعطيه، يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية»

إنجيل يوحنا ٤: ١٣، ١٤

موازنة دقيقة ومُلهِمة بين ماء الحياة وبين ماء هذا العالم الذي يتهافت الناس جميعاً على الشرب منه. ولكن يزيد المسيح على هذه الموازنة أن ماء العالم مَنْ يشرب منه يعطش أيضاً، وربما إذا امتنع عليه أن يشرب، يموت عطشاً؛ ويعود المسيح، ويُقدِّم الماء الذي هو، في الحقيقة ليس ماءً بذات الصفات والطبيعة للماء الطبيعي، ولكن بصفات وطبيعة أخرى، فالماء الذي يعطيه مَنْ يشرب منه لا يعطش أبداً. فماذا يكون؟

يكون له سرٌّ ارتواء داخلي بالروح، مَنْ يشرب منه يظل في حالة ارتواء بالروح إلى الأبد. فماذا يكون؟

لابد أن فعْلَه كياني، أي أنه يعيد صياغة كيان الإنسان حتى يرتفع إلى كَيان روحي فائق يتخطَّى الجسد والعالم والزمن،

فيصبح كياناً سماوياً لا يَقْربه موتٌ أو ضعفٌ، بل تتفجَّر منه ينابيع سرِّية غير منظورة من ذات الماء الحيِّ الذي يعطيه المسيح، أي يَملأ الإنسان بكيان روحي يحيا به إلى الأبد. وأقرب مفهوم يمكن أن نعطيه للقارئ لكي يستوعب هذا السرَّ العجيب هو كلمة الله، فعند سماع الإنسان لها بالروح يغشى كيان الإنسان كله ويحس تماماً بالارتواء والشبع. فكلمة الله، إن استقرَّت جيداً في كيان الإنسان الروحي، فإنها تفيض من الفم والقلب لتروي كل سامع يتقبَّلها بإيمان.

ومعروف عن كلمة الله أنها حيَّة وفعَّالة تقتحم السامع المنفتِح لها، كالسيف ذي الحدَّيْن تخترق المكنونات بدقة متناهية[1]. فهي تصيب، وتفرِّق في إصابتها بين النفس والروح، أي ما يُخبِّئه الإنسان في أعماق نفسه، فهي تكشفه حتى يصبح الإنسان عرياناً ومكشوفاً أمام الله. فإن كان ماء العالم يروي العطشان ليعيش ساعة أو بعض الساعة، فماء الروح الذي يعطيه المسيح يُحيِي الإنسان إلى الأبد، لا لمجرد ارتواء بل لملء النعمة والحب والحياة الأبدية. وتسمية الماء الذي يعطيه المسيح بالماء الحيِّ هي لأن حياة المسيح فيه، فمن يستقي ماء المسيح ينتهي إلى ملء المسيح أو ملء

[1] أنظر عب ٤: ١٢.

حياة المسيح.

لذلك مَنْ يشرب من الماء الذي يعطيه المسيح تصير له دعوة سرية للدخول في حياة المسيح وبالتالي الحياة الأبدية.

والمسيح يدعو إلى شرب الماء الذي يعطيه هكذا: «إن عطش أحد، فليُقبل إليَّ ويشرب»[٢] ماءً حياً. طبعاً المسيح هنا يشير إلى تعليمه، فالعطش هنا هو عطش إلى الكلمة والمعرفة. وكلُّ مَنْ يَقبَل تعليم المسيح ويحفظه بالروح يصير مُعلِّماً بالكلمة يروي الآخرين بالماء الذي شرب منه والذي يدوم فيه إلى الأبد.

وهكذا انتشر تعليم المسيح وأثمرت الكلمة حتى ملأت وجه الأرض. فالمفروض عندما يصير تعليم المسيح غامراً كل الشعوب والأمم، أن يكون العالم في استعداد لقبول ظهور المسيح في مجيئه الثاني، لأن لا شيء يربط بين الإنسان والمسيح الآن إلاَّ الكلمة، فإذا وصلت الكلمة إلى أطراف الأرض، تستعد البشرية لقبول ظهور المسيح، لأن بظهور المسيح يُظهَر الإنسان، أي تُستعلن فيه حياة المسيح في المجد.

٢٢ يوليو ٢٠٠٥

---

[٢] يو ٧: ٣٧.

- ١٣ -

«أنا هو الخبز الحيُّ الذي نزل من السماء، إن أكل أحدٌ من هذا الخبز، يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أُعطي، هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم»

إنجيل يوحنا ٦: ٥١

سرُّ الحياة الأبدية، وسرُّ خلاص العالم وسرُّ المسيح الأعظم، هو الذي عبَّر عنه بـ"الخبز"، الذي هو تعبير كل الناس عن سرِّ الحياة التي يحيونها على الأرض. فالخبز هو طعام الغني والفقير. والخبز والماء ضرورة من ضرورات الحياة. هكذا بَلْوَر المسيح عن طبيعته التي تجسَّد بها، فهو الضرورة العظمى للحياة الأبدية. عجيبة أن يختار المسيح هذا المعيار الذي يحيا به الإنسان حتى يقرِّب إلى الأذهان مدى أهميته للحياة الأبدية. والفارق الكبير بين خبز الجسد على الأرض وخبز الحياة الأبدية، أن خبز الحياة فوق أنه حيٌّ، فهو يُقدَّم للإنسان ليس كطعام، بل كمصدر أعلى للحياة فوْق، أي الحياة الدائمة الأبدية. وإن كان خبز الأرض طبيعته هي القمح، فطبيعة الخبز الحيِّ الإلهي هي أغرب ما يمكن

أن يسمعه إنسان!! فالمسيح هيَّأ جسده ليكون هو سرَّ الخبز الأعظم، سرَّ الحياة الأبدية، وإن كان لابد أن نأكل خبز القمح لنعيش، هكذا جعل المسيح جسده مأكلاً!! ولكن ليس ليُطعم به إنساناً، بل لكي يُحيي به كل إنسان، أي كل العالم.

والفرق بين أكل الخبز الأرضي وأكل جسد المسيح، هو أن مأكل جسد المسيح هو مأكلٌ «حقٌّ»[1]. والحق الإلهي هو جوهر الحياة، فالذي يأكل جسد المسيح إنما يأكل جوهر الحياة الأبدية، وهو هو سرُّ المسيح الأكبر، لذلك قيل عنه إنه جسدٌ حيٌّ. وأَكْل الجسد الحيِّ سرِّي للغاية، إذ ليس له طعم ولا رائحة، ولكنه يختفي في شكل الخبز. لذلك عبَّر المسيح عن جسده بأنه الخبزُ النازلُ من السماء، الحيُّ، الذي إن أكله الإنسان يحيا ولا يموت.

وأصبح على الإنسان أن يصنع خبزاً ويقدمه للمسيح على المذبح لكي يقدِّسه المسيح ويجعله جسدَه الحيَّ، ويقسِّمه الكاهن ظاهرياً وإنما بالسرِّ، وبحضور المسيح والروح القدس. وهذا التقسيم لا يؤثر في خبز المسيح الحيِّ بعد أن يتقدس، بل قطعة من الخبز تحمل كل الخبز، وبالتالي كل جسد المسيح، وبالتالي تحملُ المسيح نفسه، فالمأكول على مذبح الكنيسة هو هو المسيح ككلٍّ.

[1] يو ٦: ٥٥.

كل إنسان يأكل كلَّ المسيح، وبالتالي وبالضرورة يأكل الحيـــاة الأبدية، وهكذا تشترك الكنيسة كلها بكل أفرادهـــا في أكـــل المسيح أي الحياة الأبدية. وهكذا يتم قول المسيح الحرفي إن كل «مَنْ يأكلني فهو يحيا بي»[٢]. وهكذا بأكلِ الشعب كله من جسد المسيح، يصيرون واحداً في جسد المسيح أي واحداً في المسيح.

وهكذا جاء المسيح ليَجْبر كسرَ الصورة التي تصوَّر عليها آدم أصلاً ليكون على شكل الله وصورته، إذ بدخول الخطية والموت تفتَّــتت الصورة وتكسَّر الشكل. ولكن بنـــزول الخبز الحيِّ من السماء، أي جسد المسيح، وُهب لكل إنسان أن يأكل من هذا الخبز الحيِّ، أي جسد المسيح، ليستعيد الإنسان صورة الله وشبهه ليصير «على صورة جسد مجده»[٣].

وهكذا استطاع المسيح أن يُعيد الإنسان إلى الله كما شاء الله أولاً، عندما خلقه على صورته كشَبَهه[٤].

٢٢ يوليو ٢٠٠٥

---

[٢] يو ٦: ٥٧.

[٣] في ٣: ٢١.

[٤] تك ١:٢٦.

- ١٤ -

«أنا هو نور العالم، مَنْ يَتبعْني، فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة»

إنجيل يوحنا ٨: ١٢

لم يدخل العالَمَ قط إنسانٌ استطاع أن يقول إنه نور العالم، لأن ظلمة هذا العالم سادت على الخليقة كلها. فتغرَّبت الخليقة عن نور الله، وكان غضب الله الذي جَلَبه آدم لنفسه هو إرْث البشرية كلها، فعاش كل إنسان في ظلمة حقيقية يسود عليه غضب الله، وبالتالي يسود عليه العدو أبو الظلمة.

وهنا نأتي إلى معنى النور والظلمة، فالنور إما طبيعي كالشمس، أو صناعي كالكهرباء وما يشابهه، وإما نور حقيقي. فالشمس معروفٌ أنها ستُظلم، والنور الصناعي يمكن أن ينطفئ؛ أما النور الحقيقي فهو نور الله وهو لا يُطفَأ أبداً.

كذلك فالنور الطبيعي، إن كان الشمس أو خلافه، أو بالكهرباء وما شاكلها، فهو كله يضيء ليُظهر أشكالاً وأحجاماً وألواناً؛ أما النور الحقيقي، الذي هو نور الله، فهو يكشف

الحقائق والجواهر. ففي الحياة السماوية لا ترَى أشكالاً وألواناً وأحجاماً على ضوء نور الله، ولكنك ترى حقيقة الله، التي هي نفسها الحياة الأبدية، لأن نور الله حياة في ذاته.

أما الظلمة فهي حالة انطفاء كلّي، وهي بعينها طبيعة الموت، وحينما نقول "انطفاء كلّي"، فالمقصود غياب النور الطبيعي والصناعي؛ أما حقيقة الظلمة، أو إن صحَّ التعبير، جوهر الظلمة، فهو السالبية المطلقة والموت في ذاته وهو طبيعة الشيطان. والشيطان كان أصله خليقة منيرة، ولكن لمّا تبجَّح على الله وجحده، أُسقِط من مركزه المضيء وصار ظلمة مطلقة. وكل ما يتبع الشيطان يصير ظلمة وسالبية مطلقة. فإن كان حيّاً، يفقد حياته، وإن كان له وجود، يفقد وجوده، وهذه هي اللعنة بعينها.

فالمسيح عندما يقول: «أنا هو نور العالم»، فهو الحق والحياة والوجود الدائم والمطلق، وكل من يتبع المسيح يدخل الحق والحياة ويصير له وجود حقيقي سماوي.

وإن كان النور الطبيعي أوالصناعي زمنياً هو، فنور المسيح لازمنيٌّ، أي أنه كان موجوداً قبل الزمن وفي الزمن وبعد الزمن

وحتى الأبدية.

ونور المسيح يتجلَّى في الكلمة الحيَّة، فيَستَعلِن الحق الذي فيها، ويَستَعلِن الحياة التي فيها والتي تؤدِّي إليها. وإذا أضاءت الكلمة بنور المَسيح، يصير لها كيان ذاتي حيٌّ، فإذا دخلت القلب تنيره، وإذا تغلغلت طبيعة الإنسان رَفَعته إلى مستوى الحق والنور والحياة، فيصير الإنسان داخلاً في كيان المسيح دون أن يدري، حيّاً به وفيه. فالمسيح، بواسطة الكلمة المضيئة، يحيا في الإنسان، والإنسان الحيُّ بالكلمة يحيا في المسيح، ويتم القول إن الإنسان حينما يُكمِل خلاصه، يصير إلى ملء قامة المسيح، وشريك ميراثه وبنوة الله.

وعرفنا أن في الملكوت لا يوجد شمس ولا قمر، ولكن المسيح يكون سراجَها الذي لا ينطفئ[1].

٢٣ يوليو ٢٠٠٥

---

[1] أنظر رؤ ٢١: ٢٣.

- ١٥ -

«أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف»

إنجيل يوحنا ١٠: ١١

الراعي الصالح هو لقب محبوب عند المسيح. وقد قامت آلاف المؤسسات باسم الراعي الصالح: مدارس وأديرة وملاجئ وجامعات. والرعاة إما مأجورون، وإما أصحاب الغنم. والراعي الصالح هو صاحب الخراف، ومعظمها وُلد على يديه، فالخراف تعرفه وتتبعه. وهو يقودها إلى مراعٍ جيدة، ويجمعها معاً آخر النهار في حظيرة تتبعه.

ومن طبيعة الراعي الصالح أنه يدافع عن خرافه ضد الحيوانات المفترسة كالذئاب؛ ويكون هذا الدفاع خطراً على حياته هو، ولكن لأنه صاحب الخراف، فهو يضحِّي بحياته، ويبذل ذاته عن الخراف، بمعنى أنه يدافع عنها حتى الموت. وهنا نأتي إلى سرِّ القصة وسرِّ المسيح، فبَذْل الذات عملية عظمى لا يتجرَّأ أن يعملها راعٍ عادي حتى ولو كان صاحب الغنم!!

هنا المسيح يكشف عن سرِّ صليبه أنه بالحق بذل الذات، لا من أجل الخراف الجيدة فقط بل والرديئة أيضاً. وهكذا كان الصليب يلاحق المسيح دائماً وفي كل شيء، لأنه من أجل الصليب نزل من السماء، بل ومن أجل الصليب وُلد وعاش. فكان الصليب أعظم أعمال المسيح، وليس فقط المسيح، بل وأي ملك ورئيس وقائد يتعظَّم بالصليب. وقد عبَّر الإنجيل عن صعوبة الصليب، فقال إنه ربما من أجل بار وقديس يمكن أن يبذل الإنسان ذاته[1]، ولكن أنْ يبذل إنسان ذاته من أجل الخطاة والخطاة فقط، فهنا تتركز قوة معنى الصليب[2]. فنحن لم نسمع عن ملك أو رئيس أو قائد بذل ذاته من أجل اللصوص والحرامية.

هنا يكمن أعظم أسرار الصليب، فالمسيح صُلب عن معرفة وقبول بل وعن سرور. فقد قيل إن المسيح «من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب»[3]، وأي سرور؟ سرور الآب الذي تقبَّل طاعة الابن كمشيئته، وسرور المسيح الذي أكمل

---

[1] رو ٥: ٧

[2] أنظر رو ٨،٥: ٧.

[3] عب ١٢: ٢.

طاعة الآب «حتى الموت، موت الصليب»[٤]، وأيضاً سرور كل خطاة الأرض لمّا تكشّفت لهم حقيقة المسيح والصليب، الذي كان فيه خلاصهم وحياتهم الأبدية.

وقول المسيح واصفاً نفسه بالصالح، هو لأنه صار مصدر الصلاح لكل خطاة الأرض. فما من إنسان يبغي الصلاح ويناله إلاّ بالمسيح وصليبه. وهنا تعريف المسيح نفسه بالصالح هو إشارة خفية بأنه هو هو الله، لأن المسيح نفسه ردَّ على السائل الذي خاطبه بالصالح بأن قال له: «ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله»[٥].

ومن صفات الراعي الأساسية والصالحة جداً أنه إذا نامت الخراف في الحظيرة بقي هو ساهراً عليها، عينه لا تغمض عن النظر يميناً ويساراً مُترقّباً أي ذئب يأتي سرّاً ويخطف الغنم.

ومن قصة داود النبي، وهو كان راعياً صالحاً، أنه نظر فرأى دُبّاً مع أسد نزلا إلى القطيع ليفتكا به، وإذ بداود يأخذ عصاته الخاصة بالحرب ويجري وراء الدب ويخطف الخروف من فمه، ولّما ذهب إلى الأسد تمكّن منه ومسك فكّي فمه ومزقهما تمزيقاً

---

[٤] في ٢: ٨.

[٥] مت ١٩: ١٧.

وخلّص الخروف من بين فكّيْه[٦]. هذه لمحة من لمحـــات الراعـــي الصالح.

٢٣ يوليو ٢٠٠٥



---

[٦] أنظر ١صم ١٧: ٣٤-٣٦.

- ١٦ -

«أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي»

إنجيل يوحنا ١٤: ٦

الذي يسمع كلمة ''الطريق'' هنا، يظن أنه طريق مُعبَّد سهل، ولكن الحقيقة التي تختفي وراء «أنا هو الطريق» مُرعِبة للغاية!!

فالطريق هو الجسد الذي صُلب على الصليب ليُوْصِل الناس بالله، لأن الطريق إلى الله كان يُظن أنه في آدم أو في نسله، ولكن الحقيقة أن آدم طُرد خارج الطريق المؤدِّي إلى الله، وهكذا تغرَّب كل بني آدم عن الله، وانقطع الطريق وزال زوالاً بالخطية.

إلى أن جاء ابن الله مُرسَلاً من الآب ليصنع لنا بجسده على الصليب طريقاً حياً حديثاً بالجسد، الذي يُشبِّهُه الكتاب بالحجاب الذي كان يفصل قدس الأقداس، أي موطن الله، عن القُدس الذي كان يمكن أن يدخله الناس تحت شروط[1]. أما قدس الأقداس فلا يدخله من داخل الحجاب إلاَّ رئيس الكهنة، مرة واحدة في السنة، حاملاً دم ذبيحة الكفَّارة عن الشعب وعن

[1] أنظر عب ١٠: ١٩، ٢٠.

نفسه[٢]. وهنا جاء الصليب وعليه جسد المسيح الذي به وبواسطته يمكن أن ندخل إلى قدس الأقداس في السماء.

فلما انكسر الجسد وتمزق على الصليب، كان ذلك تعبيراً عن تمزيق الحجاب الذي كان يحجب الشعب عن قدس الأقداس، أي عن الله، فصار اليهود والأمم سواءً بسواء أمام الله.

على هذا الأساس يقول المسيح: «أنا هو الطريق»، وهو فعلاً صار الطريق الوحيد المؤدي إلى الله. وقوله: «ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي»، هو الحق، الذي استُعلن على الصليب بصَلْب الجسد. والسرُّ المختفي وراء هذا الكَلام هو سرُّ الإفخارستيا أي سرُّ أَكْل جسد المسيح. وتعبير المسيح عن ذلك هو: «من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية»[٣]، أي دخولٌ إلى الآب في ملكوته. وأصبحت هذه حقيقةً ثابتةً ثبوت السماء: أن التناول من جسد المسيح مُحييٌ حياةً أبدية.

وهكذا افتتح المسيح الطريق إلى الآب بتقديم جسده على الصليب وقبول الموت عن حياة العالم والخطاة، وصارت بالصليب مصالحةُ الله مع الإنسان، وبالأكثر الخطاة[٤]. فصار

---

[٢] أنظر عب ٩: ٧.

[٣] يو ٦: ٥٤.

[٤] أنظر رو٥: ١٠،١١.

دخولهم إلى الآب بدم المسيح وجسده أعظم نُصْرة للإنسان، وهو الطريق الوحيد الذي أسسه المسيح بجسده على الصليب.

أما قول المسيح أنا هو "الحق"، فهو حقيقة الله العظمى التي لا يشاركه فيها أي مخلوق. فكل مخلوق يستمد حقيقته من الله، وكل حقائق الوجود تصبُّ في الله، وخارجاً عن الله لا يوجد حق ولا حقيقة. والحق موجود بذاته لا يستمد وجوده من آخر، فالله حق موجود بذاته، أزلي وأبدي معاً، قبل كل الأزمنة وبعد كل زمان.

أما قول المسيح أنا هو "الحياة"، فلأنه ليست حياةٌ قط خارجاً عن الله، والكل يستمد حياته من الله، وبدون الله لا توجد حياة.

أما لماذا يقول المسيح: «أنا هو الطريق والحق والحياة»؟ فلكي يكون هو وحده الذي جاء ليُعلن لنا الآب، لأن «ليس أحد يعرف الابن إلاَّ الآب، ولا أحدَ يعرف الآب إلاَّ الابن»[٥]، ولا يمكن لخليقة ما في السماء أو على الأرض أن تدرك الآب والابن إلاَّ بالروح القدس.

٢٣ يوليو ٢٠٠٥

---

[٥] مت ١١: ٢٧.

- ١٧ -

«وأنا أطلب من الآب، فيُعطيكم معزِّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد»

إنجيل يوحنا ١٤: ١٦

أعظم عطايا الآب والابن، هو **المُعزِّي الروح القدس.**

ولماذا يكون الروح القدس أعظم العطايا؟ لأنه واحد مع الآب والابن. وكأنه بالضرورة الحتمية، أنه بعد أن أرسل الله ابنه إلى العالم الذي صار الوسيط الأعظم بين الله والإنسان[١]، أن تقدَّم الابن بواسطة دالَّته العظمى لدى الآب وقُرْبه الشديد بالإنسان، وطلب من الآب أن يرسل هذا المعزِّى الأعظَم من عند الآب، ليكون الإنسان بالنهاية ذا صلة حياتية وكَيانية بالآب والابن والروح القدس، حيث لا غِنىً قط عن أي واحد منهم لأنهم واحد.

بعد ذلك مباشرة استَعْلَن لنا يسوع المسيح أعظم أسرار الآب والابن والروح القدس بأن قال: «أنا في أبي، وأنتم فيَّ، وأنا فيكم»[٢]، وهكذا استَعْلَن بصورة سرِّية للغاية وحدة الآب

---

[١] أنظر ١تي ٢: ٥.

[٢] يو ١٤: ٢٠.

والابن، ثم وحدتنا في الآب والابن. وطبعاً وبالضرورة، فإن عامل الوحدة السرِّي للغاية هو **الروح القدس**، فهو الذي يوحِّدنا في المسيح والآب. هذه الوحدة التي نالها الإنسان، مَدْخَلُها الابن الذي أخذ جسده بالروح القدس من العذراء مريم. ونحن نجد الابن يربط حفظ وصاياه[٣] والإيمان به، كشرط للدخول في الابن، ودخول الابن فينا، وبالتالي الروح القدس الذي طلبه المسيح علناً من الآب لأجلنا كشخص قائم بذاته، يمكُث معنا ويكون فينا[٤]؛ فهو يمكث معنا بأن يكون رفيقاً وقائد الطريق، والطريق هو هو الرب يسوع، ويكون فينا بأن يُحيينا مع الآب والابن.

وأسماه المسيح «مُعزِّياً آخر» نظراً لأنه هو أي المسيح هو المعزِّي الأول للإنسان.

وهذا السرُّ الذي نكشفه الآن ونَسْتَعلنه: أي أن الابن في الآب، ونحن في الابن، والابن فينا[٥]، هو أعظم أسرار اللاهوت، نَقْرَبُه برهبة وهيبة وانفتاح إيمان، بقلب خاشع ونفس منحنية، لتَقبُّل هذه الحقيقة التي هي حقيقة الحقائق في اللاهوت المسيحي.

---

[٣] أنظر يو ١٤:١٥.

[٤] يو ١٤: ١٧.

[٥] أنظر يو ١٤:٢٠.

نقول ذلك للقارئ، لِيَقْبَلَ نصيبه وميراثه الأبدي في الآب والابن والروح القدس، وهو السرُّ القائم في المعمودية المقدسة، التي نتقبَّل فيها ميلادنا الروحي الإلهي في الآب والابن والروح القدس. فالمسيح لم يتركنا يتامى[6] لمَّا صعد إلى السماء للمرة الأخيرة، فسلَّمَنا لمُعزٍّ آخر يملؤنا ملئاً، يُعلِّمنا الحق الإلهي، ويقودنا في الطريق الذي أسَّسه المسيح بجسده على الصليب، ويفتتح فينا حياةً هي حياة المسيح، لنصير واحداً فيه وهو فينا، تأكيداً أبدياً لخلاصنا وتوريثاً لنا في كل مخصَّصات الابن ومجده. والحقيقة الأخرى التي علينا أن نَستعلنَها للقارئ أن الآب نفسه تبنَّانا، فصار هو أبانا الأقدس، لنشعر بأننا لسنا بعد غرباءَ عن الموعد وميراث إسرائيل، بل صيَّرَنا مع القديسين الأوائل «أهل بيت الله»[7] الذين سنحيا معهم بحياتنا في المسيح، ليصير العهد القديم بجملته ليس غريباً عنا، بل نُحسب حقاً وبالدرجة الأولى أننا أولاد إبراهيم وأصحاب كل «المواعيد العظمى والثمينة»[8].

٢٤ يوليو ٢٠٠٥

---

[6] أنظر يو ١٤: ١٨.

[7] أف ٢: ١٩.

[8] ٢بط ١: ٤.

«أنا هو الكرمة الحقيقية وأبي الكرَّام، كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر ينـــزعه، وكل ما يأتي بثمر يُنقّيه ليأتي بثمر أكثر. أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلَّمتُكم به، اثبتوا فيَّ وأنا فيكم»

إنجيل يوحنا ١٥: ١-٤

حينما يقول المسيح: «**أنا هو الكرمة الحقيقية**»، فيجب أن نُبعد عن ذهننا مجرد شجرة العنب المغروسة في الأرض. فكلمة "**الحقيقية**" تعني أنها من جوهر إلهي، لأنه ليس حقٌّ إلاَّ الله وما هو لله.

إذن، "**الكرمة الحقيقية**" هي النازلة من فوق، وهي بعينها **الابن**، وأما الآب السماوي فأَسْماه المسيح "**الكرَّام**"، أي **صاحب الكرمة**. وهنا نود أن نرفع ذهن القارئ لِيَسْتعلِن حقيقة هذه الكرمة السماوية، فشكلها الخارجي إنسانٌ هو، أما الأغصان فهي أعضاء جسد المسيح من الذين آمنوا وقَبِلوا المسيح رباً سماوياً وإلهاً قادراً مقتدراً. والتركيز هنا على الثمر الذي يُثمره

العضو في جسد المسيح، فإن هو شهد للمسيح شهادة حسنة كان ثمره شفيعاً فيه، فإن المسيح يُبقيه ويُزيده نعمةً وبركةً ليأتي بثمر أكثر. ولكن إن كان عضو جسد المسيح لا يثمر، فلابد من قطعه لأنه يُضعف عمل الكرمة السماوي. فإذا قُطعت الأغصان تُلقى وتُرمَى في النار. ويلاحظ هنا كلمة "يُقطع" أنها ليست بيد إنسان، بل إن طبيعة الكرمة السماوية أي الرب يسوع ذات قدرة إلهية في أن تحرم العضو من أية عصارة، أي من عمل الروح القدس، فيجفّ العضو ويُصبح غير لائق ولا لمزبلة.

والآن كيف تنمو بقية الأغصان المثمرة أي أعضاء جسد المسيح؟

أولاً تحتاج أن تكون **ثابتة** في الكرمة، وهذا يوصي به المسيح جداً: «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم»، بمعنى أن كلّ ثبوت من العضو لابد أن يقابله **ثبوتٌ من المسيح**.

ولكن أداة النمو بالدرجة الأولى هي **كلمة الإنجيل**، فالرب يقول: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلّمتُكم به»[1]، كذلك يقول الرب إن الآب السماوي، أي الكرَّام الحقيقي،

---

[1] يو ١٥: ٣.

يفرح بأن تأتوا بثمر أكثر[٢]. وهكذا نجد أن العضو الثابت في المسيح يتنقَّى بالكلمة. فكلمة الإنجيل قادرة أن تنقِّي أعضاء جسد المسيح. هنا الرابطة بين العضو وكلمة الإنجيل هي سرُّ الثبوت في المسيح، فبقدر ما تكون كلمة الإنجيل حيَّة وفعَّالة في حياة العضو، بقدر ما يَضْمن الثبوت في المسيح، وكذلك ثبوت المسيح أيضاً فيه، لأن المسيح يعوِّل كثيراً جداً على حفظ كلامه ووصاياه، حتى وَضَعَهُ شرطاً لدخوله بنفسه في حياة العضو الثابت فيه: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه، وأُظهر له ذاتي... إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً»[٣]. فسرُّ الكرمة السماوية يحوي للإنسان المسيحي سرَّ النمو، وسرَّ الثبوت، وسرَّ مجيء المسيح ليصنع مع العضو منزلاً فيه. كما يحوي بالأكثر سرَّ محبة الكرَّام السماوي أي الآب القدوس.

فمَثَل الكرمة الحقيقية يقدِّم لنا أسرار الآب والابن. وسرُّ نقاوة الغصن، هو التبرير الذي يشمل حياة الأعضاء في جسد المسيح. وكل عظمة هذا الفصل من الإنجيل «أنا الكرمة الحقيقية وأبي

---

[٢] أنظر يو ١٥ :٨.

[٣] يو ١٤: ٢١،٢٣.

الكرَّام» مَكنون ومَخْفي في كلمة "**الحقيقية**" بالنسبة للكرمـــة. علماً بأن اسم "**الكرمة**" وموضوعها يُخفي في طياته ســـرَّ "**دم**" المسيح، لأنه ملأ الكأس وذاق، وأعطى تلاميذه ليلـــة الفصـــح السرِّي قائلاً: «اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو **دمـــي** الـــذي للعهد الجديد»[٤]، «من يأكل جسدي ويشرب **دمي** يثبت فيَّ وأنا فيه»[٥]، «وأقول لكم: إني من الآن لا أشرب من **نتاج الكرمـــة** هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت أبي»[٦].

٢٤ يوليو ٢٠٠٥



---

[٤] مت ٢٦: ٢٧،٢٨.

[٥] يو ٦: ٥٦.

[٦] مت ٢٦:٢٩.

- ١٩ -

«ليس أنتم اخترتُموني، بل أنا اخترتُكم وأَقَمْتُكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم، لكي يعطيكم الآب كلَّ ما طلبتم باسمي، بهذا أُوصيكم حتى تحبُّوا بعضكم بعضاً»

إنجيل يوحنا ١٥: ١٦، ١٧

أساس الإيمان بالمسيح دعوة سابقة يدعونا بها المسيح. وحينما نأتي إليه ونؤمن، نعتقد في أنفسنا أننا اخترنا المسيح. ولكنها حقيقة لاهوتية ثابتة أن أسماءنا معروفة منذ الأزل، وحينما يجيء زمان العهد والنعمة يكشف المسيح دعوته، وهي أيضاً دعوة الله: «ليس (أصلاً) أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتُكم... لتذهبوا... ويدوم ثمركم».

واختيار الله لنا هو **في المسيح**، وبدون المسيح لا يتم اختيار البتة. بل ومعروف أيضاً أنه سبق وأعدَّ لنا نحن المختارين أعمالاً صالحة لكي نسلك فيها[1]. ولكن ليس معنى هذا أنه ليس لنا عمل أو اختيار، بل نحن مُطالَبون أن نَقبَل ونَرضَى ونَسعَد بمشيئة الله التي أتم بها اختيارَنا منذ الأزل وقبل خلقة العالم[2].

---

[1] أنظر أف ٢: ١٠.

[2] أنظر أف ١: ٤.

والذي لا يعطي الله قلبه وحياته ومشيئته وضميره، عابداً شاكراً طائعاً لاختيار الله، يفقد هذا الاختيار ويسقط في عصيان الله، ويصبح في الجانب المُعَادِي لله، الذي له دينونة مخيفة وعقاب أبدي[٣].

وحتى إذا قَبلنا اختيار الله لنا ودخلنا في الإيمان بالله والمسيح، ثم لم نأت بثمار المختارين التي تُرضي الله، فنحن نُعامَل من قِبَل الله كأننا رفضنا الاختيار. لأن الذي يُثبت أننا مختارون وأن اختيارنا مقبولٌ لدى الله، هو الردُّ على الاختيار الإلهي باختيار إرادي من قِبَلنا، نُعبِّر عنه بالحب، الذي هو أول وأكبر وأثمن أعمال الاختيار. لأن محبتنا لله بالروح والحق وبلا غش ولا رياء هي عند الله أثمن أعمال ومشيئات الإنسان التي تُفرح قلب الله. والمحبة لله، بالقلب الصادق والنفس الخاضعة والمطيعة، هي بحد ذاتها ذبيحة عظمى تستمد عظمتها من محبة الابن لله. ومحبة الابن لله ثمَّنها المسيح بصليبه بطاعة البنوَّة حتى الموت[٤]، فكان ثمنها رِفعَة المجد، والقيامة الظافرة فوق العالم، ودخول الابن إلى مجده وملكوته.

ونحن نذكر هنا الصليب كأعظم آية محبة قُدِّمت إلى الله، حتى

---

[٣] أنظر عب ١٠: ٢٩- ٣١

[٤] أنظر في ٢: ٨.

نستمد منها حبَّنا. بمعنى أن تكون محبتنا لله الآب هـي صَـلْب الذات إزاء إغراءات العالم، فالمختارون هم المصـلوبون للعـالم والذين صَلَبهم العالم.

فهم صلبوا أهواءهم وشهواتهم الجسدية، وأنكروا إلحاح الجسد على المتعة الرخيصة والراحة المفسدة، وفضَّلوا الحياة مع المسـيح أعظم من كل كنوز العالم التي مآلها للزوال. فالمُختار من قِبَل الله والمسيح، يستطيع أن يُقيِّم كلٍ ما في العالم أنه فان وزائـلَ مـع رئيس هذا العالم المرفوض والمُعادي لله؛ وهـذاً عكـس ثمـار المختارين بالروح والمحبة، فإنها لا تفنى، بل لها مـلءُ السـموات الجديدة والأرض الجديدة. علماً بأن المختارين الذين لهم ثمار ثابتة وأبدية ولهم في قلوبهم ملء محبة الله، يمتازون بأن طلْبَتهم لدى الله مستجابة، لأنها تكون طِلْبات تحمل في طيَّاتها المجد لله والشـهادة لأُبوَّته الحانية[٥]. والمختارَون علامتهم الإلهية هي محبتهم بعضـهم لبعض، لأن المحبة في ذاتها هي عطية الله التي يسكبها في قلـوب مختاريه، لكي تثمر وتتكاثر وتملأ العالم، ليعيش أولاد الله جميعـاً في حب الله.

٢٥ يوليو ٢٠٠٥

[٥] أنظر يو ١٤: ١٣.

- ٢٠ -

«لأن الآب نفسه يحبُّكم، لأنكم قد أحببتموني، وآمنتم أني من عند الله خرجتُ»

إنجيل يوحنا ١٦: ٢٧

لأول مرة يكشف المسيح عن إدراكه لعمق مشاعر الله تجاه البشر. فنحن استلمنا من آدم غضب الله والحرمان من حضرته. ولكن كان سرُّ طاعة المسيح لله أبيه، واحتماله آلام الصليب حتى سفك الدم، والموت كفَّارة عن خطية الإنسان وكل العالم. هو حب الابن للآب. فكان تأثير هذه الطاعة المبنية أصلاً على حب الابن للآب أن رَفَعَت عن كل بني الإنسان غضب الله، فظهرت محبة الله الأصيلة والأولى: أن الله يحب العالم[1]. والذي كشف عن هذا الحب الأصيل والمخفي في طبيعة الآب، هو طاعة الابن حتى الموت إرضاءً لمشيئة الله أبيه، بقوله ليلة صَلبه: «إنْ شئتَ أن تُجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك»[2].

---

[1] أنظر يو ٣: ١٦.

[2] لو ٢٢: ٤٢.

ومعروف أن الآب أحبَّ العالم، لذلك أرسل ابنه ليفدي العالم. لذلك فإن قول المسيح إن «الآب نفسه يحبكم» هو حقيقة يستعلنها المسيح لأول مرة، وأعطى سببها: «لأنكم أحببتموني، وآمنتم أني من عند الله خرجت»، بمعنى أن إرسالية الابن من الله تلقَّاها الذين أحبوا المسيح أنها رسالة حب ومودة دخلت قلوبهم وملأتها خضوعاً وطاعة وحباً للآب. فكانت هذه بمثابة أولى علامات المصالحة، التي أكملها الفداء بالدم.

وهكذا بمجيء ابن الله تكشَّف لنا ملء الآب وملء الابن بالحب الإلهي المتبادَل بينهما لحساب الإنسان. لأننا من ملئهما نحن أخذنا حباً فوق حب، وأُسرنا أسراً فصرنا محبوبين ومُحبِّين. وتم قول المسيح كاشفاً عن عمل سرِّ المحبة التي اندفقت على الإنسان من الآب والابن بالقول: «أنا في أبي، وأنتم فيَّ، وأنا فيكم»[٣]. فهذا التداخل الوحدوي بين الآب والابن والمؤمنين يُظهر آية اللاهوت المسيحي العظمى التي تكشف عن معنى مجيء المسيح ابن الله، وصَلبه، وقيامته، وفعل الدم في الكفَّارة، وفعل الروح القدس في الرباط السرائري المذهل بين الآب والابن والمؤمنين.

---

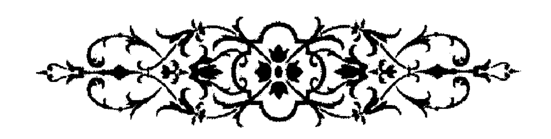
[٣] يو ١٤: ٢٠.

هذا الرباط اللاهوتي رفع من قدر الإنسان المؤمن بالمسيح وبصليبه، من مستوي الإنسان إلى مستوى الله، ومن مستوى الأرض والتراب إلى مستوى الحياة الأبدية عند الله. كما كشف عن سرِّ رباط المؤمنين بالمسيح القائم على الحب، وبالحب، وفي الحب الطاهر بشدَّة.

فوحدانية الإيمان المسيحي قائمة على تداخُل الله في خلقة الإنسان وتجديدها، كخليقة جديدة، صالحة لسُكنى السماء. ووحدة المؤمنين معاً هي بالحب الإلهي المتقدِّس بالله وفي الله.

وهكذا رفع المسيح بدمه على الصليب من معنى الحب الباذل حتى الموت، حتى أجلسه الله عن يمينه في السماء. وهكذا اختفت العداوة القاتلة من حياة الإنسان، ليحلَّ محلها الحب الإلهي الباذل حتى الموت. فحب البشر الآن هو حبٌّ فداءٍ مستوحَى من دم الصليب ومن قلب الآب!!

٢٥ يوليو ٢٠٠٥



- ٢١ -

«وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوعَ المسيح الذي أرسلتَه. أنا مَجَّدتُك على الأرض، العمل الذي أَعطَيتَني لأعملَ قد أكملتُه. والآن مجِّدْني أنت، أيها الآب، عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كَوْنِ العالم»

إنجيل يوحنا ١٧: ٣-٥

الابن هنا يدخل في استعلانات لاهوتية، وفي قيمتها العظمى. فالآب لم يكن يعرفه أحد قط إلاَّ الابن الذي قال إنه يعرف الآب[١]. وفي منطق اللاهوت، إن معرفة أية حقيقة لاهوتية تعني أنه جرى استعلانها بإرادة الله. لهذا يكشف الابن، كصاحب حقيقة أبدية، أن الحياة الأبدية هنا التي يذكر حقيقتها لأول مرة هي معرفة الآب بأنه **«الإله الحقيقي وحده»**. كذلك يكشف استعلان الابن أيضاً، أن الآب أرسله لخلاص العالم، بقوله: **«ويسوع المسيح الذي أرسلتَه»**. هنا استكمل الابن استعلان

---

[١] أنظر يو ٨: ٥٥.

معرفة الآب في ذاته، والابن أيضاً، والإرسالية السرِّية العظمى التي أَرسل فيها الآب ابنه إلى العالم؛ فكانت هذه المعرفة في حقيقتها مساويةً، في المنطق الإلهي للحياة الأبدية التي جاء الابن ليكشف عنها.

أما العمل السرِّي جداً للابن، والمعروف لدى الآب وحده، فهو أنه نزل لكي يمجِّد الآب على الأرض بعد أن كان (الآب) مجهولاً من الإنسان. وأكثر من ذلك، أنه عمل العمل الذي كلَّفه به الآب بكل شجاعة وطاعة واقتدار، وهو أن يقدِّم ذاته فدْية عن خلاص العالم كله، حتى يخلص الإنسان الذي كان الآبَ منذ الأزل قد دبَّر خلاصه[٢]. هذا أكمله يسوع المسيح على الصليب في الساعة المعيَّنة التي كان يعرفها المسيح.

والمجد الذي يطلبه المسيح لتلاميذه وللمؤمنين، هو ذات المجد الذي كان له قبل إنشاء العالم، والذي به دبَّر الله منذ الأزل أن يخلق الإنسان في المسيح خليقة جديدة روحية. وهكذا الآن يُستعلن مجد المسيح الذي كان له، وتُستعلن خليقة الإنسان الجديدة فيه. وتم أمامنا بالفعل القولُ الذي يقوله الكتاب:

---

[٢] أنظر أف ١: ٤.

«معلومةٌ عند الرب منذ الأزل جميع أعماله»[٣]، وهو ينفـــذها في تدبيره بالساعة.

وعرف المسيح ساعة الصـــليب: «أيهـــا الآب، قـــد أتـــت الساعة»[٤]. وهكذا تقابلت معرفة الآب مع معرفة الابن في تحديد ساعة الصَّلب التي فيها تمجَّد الله بالمجد الذي له، وتمجَّد الابـــن بالمجد الذي له. في ساعة الصليب، الآب أكمل مشيئته لخـــلاص العالم، والابن أتمَّ العمل الذي به كمل الخلاص للعـــالم، علـــى حساب ذبيحته التي قدَّمها طوعاً على الصليب وأسلم ذاته حتى الموت لإرضاء مشيئة الآب.

فكأنه في الصليب، تمجد الآب وتمجد الابـــن بـــآن واحـــد. والأغرب من ذلك أن يتقابل مجد الآب ومجد الابـــن لحســـاب الإنسان الذي يطلب الخلاص.

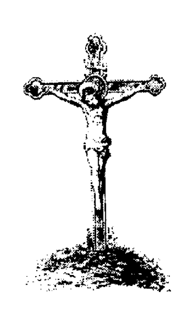
ففي وحدة المجد الإلهي بين الآب والابن، تمت وحدة خلاص الإنسان الخاص، وتم قول المسيح: «أنا فيهم وأنت فيَّ»[٥] لننتهي إلى واحد. فوحدة الإنسان مع الآب والابن ليست مصـــطنعة،

---

[٣] أع ١٥: ١٨.
[٤] يو ١٧: ١.
[٥] يو ١٧: ٢٣.

ولكنها نعمة الوجود الواحد المطلق التي دخلها الإنسان الجديد كخليقة جديدة، خُلقت خصيصاً لهذا العمل الإلهي الشديد السرِّية، وهي في الوقت نفسه المقابل المطلق لموت الإنسان الأبدي مغضوباً عليه من الله. وهنا يهتف القديس بولس الرسول: «أين شوكتكَ يا موت، أين غَلَبَتُك يا هاوية»[٦]. فقد انمحت الخطية من الحياة، وأُقفلت الهاوية، وكَسب الإنسان قضيته، إذ استخلصها من فم العدو، ووقف يهتف مع المسيح في نصرة إلهية فوق العالم.

٢٦ يوليو ٢٠٠٥



[٦] ١كو ١٥: ٥٥.

- ٢٢ -

«متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويُخبركم بأمور آتية. ذاك يُمجِّدني، لأنه يأخذ مِمَّا لي ويُخبركم»

إنجيل يوحنا ١٦: ١٣، ١٤

المسيح هنا يصف الروح القدس بروح الحق، وهذا تعريف بأن الروح القدس هو روح الجواهر جميعها، أي أصل وطبيعة الأمور الإلهية، فهو من نفس جوهر اللاهوت، جوهر الآب والابن، أي من جوهر وحقيقة الله في ذاته. ولا يمكن التعبير الدقيق عن الجوهر، لأنه يشمل الحقائق التي لا يدركها العقل، لأنها خارجة عن المعقول البشري، فهي حقيقة الله في ذاته، روحٌ مطلق، يحوي كل اللاهوت وهو غير مُحوَى. حيٌّ بذاته، ومُحيي لكل ذات، مشخَّص بذاته، فهو موجود بذاته، وأصل الوجود لكل ما لله. وهو مُكوِّن الحياة الأبدية التي يملأها الآب والابن بوجودهما، كما يضم جميع الخلائق العليا التي تحيا مع الله، ويتلقَّى الإنسان المختار

لِيُحييه في ملء حياة الآب والابن، ليصير الإنسان شريكاً للطبيعة الإلهية[1]، يحيا بها، وينعم بنعيمها. وهو ملء الفطنة والذكاء، يهب الإنسان مواهب المعرفة الإلهية العليا لتكون هي حياته ونعيمه، ويدرك الإنسان به مُدرَكَات عليا، فيصيِّره تكويناً روحياً قائماً بذاته، وقائماً بكل الذات الإلهية. وهو الذي يملأ كنيسة الله الآن بمعارف إلهية، ليهيئِّها للنقلة العليا إلى فوق، حيث تصير به الكنيسة مِلءَ الذي يملأ الكل.

وهو يرشد الإنسان إلى صميم الحق، كما هو تماماً في المسيح، لأنه ينقل لنا كل ما للمسيح، وكأنه لا يتكلم من ذاته، بل من سرِّ المسيح يأخذ ويعطي. فهو بذلك يُحسَب رباطاً روحياً فائقَ الوصف، يربط روح الإنسان بروح المسيح. لهذا وبهذا يقول المسيح: «أنتم فيَّ، وأنا فيكم»[2]. هذا هو استعلان عمل الروح القدس، يربط الكيانات البشرية الإلهية لتصير واحداً لحساب الآب. فالروح القدس يُحسَب بحقٍّ روح الوحدانية، والقادر أن يجمع الكل في واحد لحساب الله.

وقد يعلن الروح عن وجوده داخل الإنسان، بأن يعطيه لساناً

---

[1] أنظر ٢بط ١: ٤.

[2] يو ١٤: ٢٠.

آخر هو لسان روحي غير مفهوم، ولكن قِلَّةً مَنْ يستطيعون أن يترجموا اللسان الروحي؛ وهو علامة مميزة جداً لوجوده، ولكنها ليست عامة، وإنما باختيار الروح نفسه تنسكب اللغة الجديدة على اللسان بصورة ظاهرة مسموعة، ولكن غير مفهومة[٣].

كما أن من مميزات عطايا الروح القدس، أنه يسبق ويُنبئ بأمور آتية. وهذه النعمة تخص قِلَّة من الناس، ويكون الغرض الوحيد منها سَبْق إعداد الفكر والروح لحلول الله والمسيح.

ووظيفة الروح القدس في العهد الجديد هي تمجيد المسيح في العالم، بعطايا ومواهب وألسن ومعجزات تكشف عن حقيقة المسيح وعمله الخلاصي. ولكن ليس الروح فقط هو الذي يشهد للمسيح، بل أعطى الله للمؤمنين عطية ملء الروح للشهادة للمسيح.

ونعود ونذكِّر القارئ بأن الحق لا ينقسم ولا يتجزَّأ ولا يُحدُّ ولا يُحجَز، بل هو كيان يملأ كل كيان حيٍّ. وإذا عرف الإنسان الحقَّ، فإنَّ كل حق صار معروفاً له، بل وصار الإنسان مالكاً لهذا الحق، لأن الحق لا ينفصل عن كل حق. فحق الابن هو حق

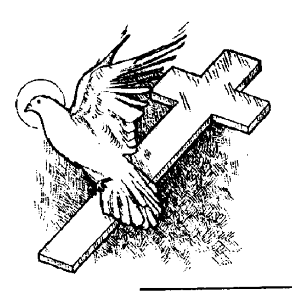
---

٣ ١كو ١٤: ٢.

الآب، ومن كان مؤمناً بالمسيح وانفتح له روح الحق، فإنـــه في الحال يقتني المسيح، أو بتعبير الكتاب يصير فيه، لا يحجزه حاجز ولا يمنعه مانع. كما يقول المسيح بغاية الوضوح: «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فيَّ، وأنا فيكم»[٤]. والذي يجمع الكل في واحد هنا هو **الروح القدس**. فيقول الكتاب إن الروح يأخذ مما للمسيح ويخبرنا، يعني يَسْتَعلنه لنا لنأخذه ونقتنيه.

ويخاطب المسيح أباه قائلاً: «وهذه هي الحيـــاة الأبديـــة: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويســـوعَ المســـيح الـــذي أرسلته»[٥]. هنا معرفة الآب والابن هي هي الحياة الأبدية، فالآب حقٌّ هو، والابن حقٌّ، والحياة الأبدية حقٌّ. فالذي يعرف حقـــاً يعرف كل الحق، بل ويصير فيه وله.

٢٦ يوليو ٢٠٠٥



---

[٤] يو ١٤ : ٢٠.

[٥] يو١٧: ٣.

- ٢٣ -

«عرَّفتُهم اسمَك، وسأُعرِّفُهم، ليكون فيهم الحب الذي أحبَبْتني به وأكون أنا فيهم»

إنجيل يوحنا ١٧: ٢٦

هنا يلخص المسيح عمله الذي أكمله علـى الأرض في آيـة واحدة: «عرَّفتُهم اسمك». هنا المعرفة بالمفهوم المسيحي السرِّي تعني أنه استعلَن لتلاميذه حقيقة الآب. فالاستعلان هنـا لـيس معرفة مجردة، بل هو تسليمٌ حق. فالآب استُعلن للتلاميذ كحقٍّ أَبَويٍّ، فدخل الآب في التلاميذ دخولَ الابن كَحقٍّ إلهي مُستعلَن الأُبوَّة، إذ استَعْلَن الابن أُبوَّة الآب للتلاميذ كحقٍّ إلهي.

وكلمة "سأُعرِّفهم" تفيد رعاية المسيح لهم من السماء مـن مجده الأسنى، حيث تصبح المعرفة أو الاستعلان قبولاً ودخولاً في شركة الآب. وأوضح عمل للآب أو قوة استعلانه، تكون على مستوى الحب الذي يربط القلوب والأرواح. فهنا يقصد الابـن بـ "حب الآب" هو ما كان قبل الأزمنة الأزلية، حينما كـان رباط الآب بالابن فوق الزمن وفوق المعقول، وقادراً أن يطبـع صورة الآب على الابن، فتملأ كيان الابن بالروح، فلا يمكـن

فصل الآب عن الابن ولا الابن عن الآب، وهكذا كان الله الواحد، «وكان الكلمة الله»[1].

فكان حب الآب للابن حباً كيانياً مالئاً: «فإنه فيه يحلّ كل ملء اللاهوت جسدياً»[2]. وهكذا كان المسيح، حيث كنا فيه كمختارين ومملوئين بملئه قبل إنشاء العالم[3]. ويعود المسيح إلى الأزمنة الأزلية حينما كان فينا بملء اللاهوت، طالباً أن يعود إلينا هنا الوجود المالئ: «وأكون أنا فيهم» بملء اللاهوت وحب الآب.

وقول المسيح: «عرَّفتُهم آسمك»، فما هو الاسم؟ الاسم هنا هو ما يخص الله، هو الهوية الشخصية، أي ما يدلّ عليه، أي مدى فعله. فالآب فاعلٌ في كل شيء في الوجود ، ولكن غير مفعول به، بل وغير مُقتَرَبٌ منه، مع أنه قريب من كل شيء، بل وأقرب إلى الشيء من الشيء نفسه. فالآب قريب من الإنسان، ولكن لا يستطيع إنسان أن يقترب منه، مع أنه أقرب للإنسان من الإنسان لنفسه.

واسم الله بحد ذاته قوة قاهرة، فحتى وهو على فم طفل، هو

---

[1] يو ١: ١.
[2] كو ٢: ٩.
[3] آنظر أف ١: ٤.

مُرعِبٌ للشيطان. فتعريف الإنسان باسم الله الآب هو قوة وحصانة ضد الشر والشرير. كما أن تعريف الإنسان باسم الله هو انفتاح على حب الله، وحب الله لا يتعدد أو يزيد أو ينقص، فحب الله تعبير أقوى تعبير عن رضاه، وهو يلبس الإنسان لِبساً فيحيط به ويحفظه. وقد أحب الله ابنه منذ الأزل، فصار الابنُ هو والله واحد: «وكان الكلمة الله»[٤]. بل قد خلق الآب به كل شيء «وبغيره لم يكن شيء مما كان»، و «فيه كانت الحياة» منذ البدء، والحياة لمَّا تجسَّد الابن صارت نور الناس، بل ونور العالم.

ولمَّا عرَّف الابنُ الناسَ مَن هو الآب وما هو اسمه، صارت مسرة الله في الإنسان التي تقرِّبه إليه، حتى أنه إذا حفظ الإنسان وصايا المسيح، يأتي الآب مع الابن ويصنعان منزلاً عند الإنسان[٥]. ولمَّا يصنع الآب والابن منزلاً في قلب الإنسان، لا يتركانه بل يقيمان فيه «ليمتلئ الإنسان إلى كل ملء الله»[٦].

وهذا ليس مجرد تصوير للواقع، بل هو الواقع الحيُّ، يعيشه الإنسان بالإيمان والحب والفرح.

٢٦ يوليو ٢٠٠٥

---

[٤] يو ١: ١.

[٥] أنظر يو ١٤: ٢٣.

[٦] أف ٣: ١٩.

- ٢٤ -

«أما الآن فإني آتي إليكَ. وأتكلَّمُ بهذا في العالم، ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم»

إنجيل يوحنا ١٧: ١٣

هذه أحرج ساعة من ساعات المسيح والعالم. فالمسيح أكمل تعليمه للعالم، وعرَّف الناس باسم الآب ليكون درْعهم في الحياة. وقد تأكد التلاميذ أنه أتى من عند الآب وهو الآن ذاهب إليه حاملاً في قلبه أسماءهم ليسلِّمها للآب، لأن الآب هو الذي أعطاه هؤلاء وكانوا في دائرة محبته وسلطانه، وقد أكمل المسيح تعليمه لهم كما علَّمه الآب وأعطاه. والآن يسأل عن هؤلاء الذين كانوا في عهدته، وقد حفظهم من العالم الذي أبغضهم بسبب تعاليم يسوعٍ لهم، ما عدا الذي خان الحب والعهد وأسلمه ظلماً وغشاً لرؤساء الكهنة ليُصلب. والمسيح طلب من الآب أن يحفظهم من العالم الشرير الذي أبغضهم، لأنهم اعتبروا أنفسهم ليسوا من هذا العالم، وهو يتكلم علانية أمام التلاميذ ليطمئنوا أنه أَسلَمهم ليد الآب الأمينة، وبذلك يضمن فرحهم، بل ويتمنى أن

يكون فرحهم كاملاً.

ثم طلب من الآب أن لا يأخذهم من العالم بل أن يحفظهم من الشرير، وذلك بأن يسلِّحهم بسلاح الحق، إذ حينما يعرفونه، يستطيعون أن يغلبوا كل إيحاء يأتيهم من العدو.

وبالرغم من أن المسيح عرَّفهم بالحق، وقال إنه هو الحق والحياة، كان يلزمهم نظرة من الآب توثِّق فيهم معرفة الحق والثبوت فيه. وعجيبٌ المسيح في وداعه الأخير لتلاميذه، أنه يسلِّمهم لرعاية الآب، ضامناً أنَّ مَنْح الآب الحقَّ لتلاميذه هو أعظم ميراث يسلمهم إياه قبل أن يتركهم. فعندما كان معهم كان هو الحق بالنسبة إليهم، ولكن بعد أن ينطلق يصبحون مُلهَمين بحق الآب حتى النهاية.

٢٦ يوليو ٢٠٠٥

- ٢٥ -

«ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا»

إنجيل يوحنا ١٧: ٢٠، ٢١

هنا يمتد المسيح بدعوة الإيمان لكل الأجيال القادمة، وأهم ما يركِّز عليه هو أن يكونوا واحداً في الآب والابن.

فهنا الوحدانية التي يطلبها الابن، من أجل جميع الذين يؤمنون بالمسيح من أول زمان المسيح حتى نهاية الاستعلان، ليست هي عملية ثانوية بالنسبة للإيمان، وعلى المؤمنين أن يضطلعوا بها، ولكن الوحدة في الإيمان الواحد بالآب والابن الواحد هي تحصيل حاصل، أي أن كل من يؤمن بالابن له الآب أيضاً[١]. والابن والآب هما واحد، لذلك حتماً وبالضرورة يصبح جميع من يؤمنون بالآب والابن واحداً في الله دون أن يطلبوا ذلك أو يسعوا لامتلاكه، لأن سرَّ الوحدانية في المسيحية هو جوهرها،

---

[١] أنظر ١يو ٢: ٢٣.

وليس مظهرها فقط، وهو أقوى مظهر وجوهر.

حتى ولو بغباوة الإنسان انقسم المؤمنون على بعض، فلن يحسب الله انقسامهم، بل يعاملهم كواحد في المسيح رضَوْا أم أَبَوْا. لأن حقيقة الوحدانية في المسيحية هي جوهرها المستمدَّة إياه من الآب والابن والروح القدس. فلأن الله واحد والمسيح واحد، فسيكون المؤمنون بالمسيح واحداً ولو غَصْباً عنهم، لأنهم يكونون واحداً، لا لأنفسهم، بل واحداً لأن الذي يجمعهم ويرعاهم هو واحد. فهم محفوظون مَصونون في حضن واحد هو حضن المسيح، وعين الآب التي ترعاهم ترعاهم جميعاً باعتبارهم واحداً، لأن عين الله لا ترى المنقسمين ولا المتشاحنين. ولكن لأن عين الله نقية فهي ترى كل شيء نقياً فيها. وعجيبة جداً أن تكون نظرة المسيح هكذا ممتدة إلى آخر الدهور ترى فيها جميع المؤمنين طائعين وفرحين.

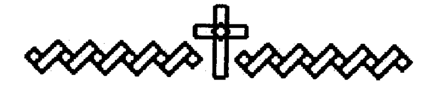
وهذا يجعلنا نعتقد أن للمسيح عملاً مع الإنسان الجديد، يحذف منه ويضيف عليه حسب سعَة حبه وحسب طول باعه في التكفير عن خطايا المذنبين. وجيد جداً جداً بالكنيسة وهي تصلي عن الراقدين هكذا: "وإن كان لحقهم توانٍ أو تفريطٌ كبشرٍ ... اللهم اغفر لهم" (أوشية الراقدين).

ويبدو لي أن المسيح يسمع هذا الدعاء وينفّذ أضعافه. فهو القائل في الكتاب: «كل خطية وتجديف يُغفر للناس»[٢].

ونحن هنا لا نستهين بتأديب الله وغضب الحمل إذا ما أُهينت المحبة وساد الظلم بين الناس. ولكن رحمة الله تغلب، هذا هو رجاؤنا الحيُّ من جهة كل الناس ومن جهة المسيح الذي ذُبح على الصليب من أجل الجهلة والخطاة.

وإن أعظم ما سُجِّل للمسيح في الإنجيل يصغر بالنسبة لدعاء الابن للآب ساعة الذهاب إليه وترك تلاميذه غرباء في العالم وشبهَ أيتام لولا انسكاب روح الله القدوس عليهم، فشدَّدهم وقوَّاهم وعزَّاهم ورفع عزائمهم، حتى اطمأن المسيح وهو منطلق إلى الآب في ملء السرور أنَّ عمله قد أتى بثمره، ورُفِع أمام الآب بخوراً وذبيحة حيَّة تنطق بعاطفة الأُبوَّة الحقَّة والبنوة الحقيقية.

٢٦ يوليو ٢٠٠٥



[٢] مت ١٢: ٣١.

- ٢٦ -

«أيها الآب، أريد أن هؤلاء الذين أَعطَيتَني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أَعطَيتَني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم»

إنجيل يوحنا ١٧: ٢٤

هذه وصية المسيح الأخيرة للآب من جهة تلاميذه وخواصه الذين سيتركهم ويذهب إلى الآب، فهو يطلب أن يكونوا في النهاية معه، ليروا مجده الذي أخذه من الآب واشترك فيه أحباؤه. ومرة ثانية يطلب من أجل وحدانية تلاميذه وأَخصَّائه.

وهو يطلب هذه الطلبات بدالة المحبة التي أحبه بها الله قبل إنشاء العالم. ولكن الآب عالمٌ بكل هذا، وإنما يقولها المسيح أمام تلاميذه ليطمئنوا أن محبة المسيح لهم مستمرة ودائمة بمحبة الآب. وهو امتياز لا يشاركهم فيه مخلوق، فهم أحبَّاء الآب والابن، ومتحدون به اتحاداً إلهياً غير منفصم.

وإن كان المسيح قد قال يوماً لتلاميذه إنه «ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان»[١] حينما كان

---

[١] لو ١٧: ٢٢.

في وسطهم يتحدث ويعلّم ويحب ويفرح، إلا أنه هنا يعطي وعداً بديمومة الحب والمسرة والعشْرة الحلوة وحديث المودة وذكريات الماضي، أنها ستكون في الحَقيقة ذكريات الفرح والحب الدائمين.

من هذه اللمحات الخاطفة عن مجد السماء، ولَمّة الإخوة، وأحاديث المسرة التي تنتظرهم فوق، يكاد الإنسان يتمنّى لو يطير ويشارك هؤلاء هذا المجد التليد والحب الدائم والفرح المقيم بعيداً عن أحزان العالم وأخباره المفزعة، متى يكون يا رب؟ نفوسنا تتوق إليك وتشتهي لو نخلع هذا العتيق الثقيل وننطلق إليك ونكون معك، ننعم بمجد وجمال صُحبة قديسيك وأبرارك، يا للسعادة!!

لقد أعطى المسيح نموذجاً مفرحاً حيّاً لوجوده معنا زماناً قليلاً. ولكنه أعطانا وعداً أكيداً بأن الذي ينتظرنا فوقَ مع الآب والابن، أبدية سعيدة حقاً، ولكن ليس على مستوى الزمن الذي يعطينا اليوم ليسرقه غداً وبالنهاية نقف عرايا من هذه التعزيات. ولولا وعد المسيح بأن الأبدية عنده ليست كهذا الزمان، بل هي أبدية الفرح والتهليل واجتماع كل أحبَّة كل الزمان وقديسي العَليِّ، الذين عرفنا أسماءهم وتتوق نفوسنا لرؤياهم في فرح المواعيد العظمى والثمينة، الذين ماتوا وهم على الرجاء فقط أن

لهم مدينة[2]. أما من جهة أيامنا، فالرب قريب وعلى أتمّ الاستعداد للظهور، وملائكته القديسون وكافة قديسيه بالروح، ينتظرون ساعة ظهور الرب ليكونوا كشهود مجد رفقاء ظهور واستعلان. نعم، فالوقت قد قرب، وعلامات المجيء بدأت تظهر، حتى بها سنكون معه، نُظهَر بظهوره، ونتمجد بمجده[3] مع ملائكته وقديسيه.

وصَدَقَ بولس الرسول، لأنه بعد وثوقه بالظهور الآتي والمجد الذي سيشمله، بدأ يئن في جسده العتيق مُريداً لو يخلعه أو يلبس فوقه الجديد إنسان الأمجاد العليا[4]، وكذلك بطرس الرسول صاحب "الوعود العظمى والثمينة"[5]. ولكن لا يُحسَب لنا هذا الأنين كعمل فاضل، بل قلة صبرٍ لا تُحسب لنا. فالصبر في ذاته يُحسَب كعمل كامل[6] إن تأسَّسَ على المسيح وعلى وعوده الصادقة والأمينة.

٢٧ يوليو ٢٠٠٥

---

٢ أنظر عب ١١: ١٣-١٦.

٣ أنظر كو ٣: ٤.

٤ أنظر ٢كو ٥: ١-٤.

٥ أنظر ٢بط ١: ٤.

٦ أنظر يع ١: ٤.

- ٢٧ -

«أَلَسْتَ تؤمن أني أنا في الآب والآب فيَّ، الكلام الذي أُكلِّمُكم به لستُ أتكلم به من نفسي، لكن الآبَ الحالَّ فيَّ هو يعمل الأعمال. صدِّقوني أني في الآب والآب فيَّ، وإلاَّ صدِّقوني لسبب الأعمال نفسها»

إنجيل يوحنا ١٤: ١٠، ١١

لمَّا طلب التلاميذ أن يروا الآب، تعجَّب المسيح لأن الآب في الابن والابن في الآب، وما يتكلم به الابن أو يعمله، فالآب يكون مُتكلِّماً أو عاملاً، لأن الوحدة بين الآب والابن كانت وحدة كيان واحد ونُطق واحد وعمل واحد. هذا أَدهَش التلاميذ، لأنهم لم يكونوا يعرفون بعد أن الآب والابن لاهوت واحد ناطق وعامل، فما يعمله الواحد هو نفسه يعمله الآخر بآن واحد، لا فارقَ وجودياً ولا زمنياً. فالوحدة إلهية فائقة الوصف والتعريف، حتى أنه إذا رأى التلاميذ الابن يرَوْن فيه الآب بآن واحد دون فارق زمني أو كياني، وهذه هي وحدة اللاهوت التي تعلو فوق مدركات الإنسان ولا تحتاج إلاَّ إلى الإيمان.

وواضح من كلام المسيح أنه كلام الله، وأن عمل المسيح هو عمل الله. من هنا يرتفع مستوى الإيمان وترتفع قيمته جداً. فهذه معجزة اللاهوت ومعجزة الدهر، لذلك أصبح إيماننـــا بالمســيح والآب هو الإيمان بالله الواحد. وعندما أكمل المسيح مهمة الفداء التي كلَّفه بها الآب، استعد للذهاب إلى الآب، تاركاً التلاميـــذ لحفظ الآب ورعايته. فعمل الابن كان لحساب طاعة الآب. ولم يكن للمسيح مشيئة أو إرادة مختلفة، ولكنها كانت مشيئة الآب وإرادته. لذلك كان فرح الآب بالابن من أجل تكميل الطاعة، وأُضيف لحساب الإنسان. فالصليب من وجهة العمل والغاية هو صليب الإنسان بالدرجة الأولى. لذلك حينما يعطي المسيح وصية صادقة وعملية بقوله: «احمل صليبك واتـــبعني»[١]، فالصـــليب صليبٌ بمشيئة الآب وطاعة الابن، والإنسان هو المستفيد، بحسب السرِّ الإلهي الذي فيه، والذي أُضيف بكامله لحساب الخـــاطئ الراجع إلى الله. فالصليب إيماننا وحقُّنا وفرحنا وقوتنا وخلاصنا وفخرنا حتى الموت وما بعد الموت[٢].

ففي العالم لا يوجد شيء يملأ فراغ الإنسان ويُعدُّه لحياة أبدية

---

[١] أنظر لو ٩: ٢٣.

[٢] أنظر غل ٦: ١٤.

سوى الصليب. وإن كان في الصليب عناء وشقاء واضطهاد في العالم، فهو عند الله مجدٌ وحب وتبنِّي واختيار وعزاءٌ مُقيم أبدي. وهذه كلها ليست زمنية كما يعطيها العالم، بل قائمة دائمة أبدية متضاعفة في ذاتها، لا تنتهي ولا تنقص ولا تتغيَّر، بل من مجد إلى مجد، ولا نهاية لها.

وأعجب ما نجده في أعمال المسيح وفي أقواله ووصــاياه، أن أمجاد السماء التي أَعدَّها لنا (وهو مزمع أن يــأتي ويأخــذنا إلى هناك) لم يضع لها أثقالاً على الإنسان ولا مطالبَ، ولكن الذي يطلبه هو إيمان القلب الصادق والرجاء الحقيقي الذي لا يتزعزع. والذين سبقونا يشهدون بذلك، والروح القدس يشهد للمســيح والحق الإلهي، وهو يتدفق من السماء ليعطي الكارز قوة وشهادة جيدة في حينها، تُحسب للإنسان أنها برٌّ مجاني موهوب لكل من يعاني من أجل شهادة أو خسارة. فالمكسب السماوي للكــرازة على الأرض هو إِرثٌ لغِنَ المسيح الذي لا يُستقصى.

٢٧ يوليو ٢٠٠٥

- ٢٨ -

«سلاماً أترك لكم، سلامي أُعطيكم، ليس كما يعطي العالم أُعطيكم أنا، لا تضطرب قلوبكم ولا تَرْهب»

إنجيل يوحنا ١٤: ٢٧

سلام المسيح يمنحه المسيح من قلبه، بل ومن عمق طبيعته السلامية. فالمسيح ينعم بحياة هي جوهر السلام الفائق على العقل، لأن طبيعة المسيح سلامية ينبع منها السلام الذي يقيم به العالم. ويستمد المسيح سلامه من أعماقه التي تنبض به حياته، فالسلام من طبيعته وليس دخيلاً عليه. فإن كان هناك سلام في السماء فهو من فيض طبيعته، لذلك لمَّا وُلد المسيح هتف جند السماء أن السلام على الأرض[1]. لأنه بخطية آدم وخروجه من أمام الله لُعنت الأرض بسببه، واختفى السلام من الأرض ومن كل الخليقَة، فصارت الحيوانات تتصارع وتئنُّ من ثقل الخطية التي طالتها، بل واختفى السلام من الطبيعة وأصبحت العناصر تضجُّ، لأن قانون السلام الذي خُلقت عليه فارقها بسبب آدم، فتعرَّى آدم من أمان الوحوش ومن تناغم الطبيعة، وابتدأت الأرض تموج بالبراكين والزلازل، وحتى السماء فقدت اتزان

---

[1] أنظر لو ٢: ١٤.

حرارتها وبرودتها حتى تأذّى الإنسان من عنفها، فاستتر في المغاير وشقوق الأرض، وكأن الطبيعة كشّرت عن أنيابها لسيد الخليقة الذي كانت تحت طاعته. فتحرر الإنسان وعاش غربته على الأرض مطارَداً من وحوش البرية وجفاء الطبيعة، وهو صامت لا يدري من أي المصائب يهرب، كل المصائب التي تتعقّبه وهو جاهل أنها بسببه.

وأخيراً تحنن الله على خليقته، وأرسل ابنه الوحيد لكي يرسِّخ سلام الله على الأرض، ويعيد لآدم هيبته وسيادته على الخليقة، وينتهر الرياح والأعاصير الشديدة التي بدأت مرة أخرى تعلن عن وجودها، والإنسان غارق في خطاياه. والمسيح يعمل فارقاً جوهرياً بين سلامه والسلام الذي يعطيه العالم بالشحِّ، يعطيه بيمينه ليأخذه بشماله مرة أخرى، لأن العالم رجع مرة أخرى لسيادة الشيطان إزاء سيادة الخطية. فالمسيح ينبِّه هنا أن سلامه الذي يعطيه ويتركه لأحبائه ليس كسلام العالم، الذي اسمه سلام وهو في حقيقته حرَاب مصوَّبة على الإنسان الخاطئ، لا يعلم لها سبباً. فمظهر العالَم سلامٌ، وحقيقته فراغ مرعب وقاتل، يحاصر الإنسان أينما سار.

ومن أجمل الأوصاف التي لسلام المسيح أنه عطية ممنوحة لأحبائه، يتركه لهم ميراثاً لرضا الله وتذكاراً مذهلاً لحبه وعِشْرَته

التي تركها للعالم كأعظم إرث سماوي وذكرى حيَّة مُحيية لوجوده الذي لا يزال يمارسه لأحبائه: «لا أترككم يتامى»[٢]، «وها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر»[٣]. هذا هو السلام الذي لا يزال يَنعم به أخصَّاؤه ومختاريه.

وسلام المسيح يرفع من القلوب الاضطراب والجَزَع، فهو ترياق المحبة الإلهية يشفي ويُضمِّد جراح الإنسان، ويشدد قلبه إزاء عواصف العالم وحركات العدو التي يثيرها في القلوب، ليملأ عالمه بالاضطراب والزعزعة حتى يملك على الخائفين والمرتعدين. وأشدُّ عدو يثيره الشيطان علينا، الخوف من لا شيء، والرعبة التي يتصيَّد بها قلوبِ أَسْراه في عالم الظلمة، الذي يسود فيه ويجول ملتمساً إنساناً يبتلعه في حركاته المفزعة[٤]، وهي لا شيء، لأن مخاوف العدو كلها وهمية ليس لها أصول في طبيعة الإنسان: «أما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا»[٥].

وسلام المسيح يملأ قلوب أولاده.

٢٧ يوليو ٢٠٠٥

---

[٢] يو ١٤: ١٨.

[٣] مت ٢٨: ٢٠.

[٤] أنظر ١بط ٥: ٨.

[٥] ١بط ٣: ١٤.

- ٢٩ -

«أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً، وإن مَضيتُ وأَعْددتُ لكم مكاناً، آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا، تكونون أنتم أيضاً»

إنجيل يوحنا ١٤: ٢، ٣

لأول مرة يعلن لنا المسيح أنه يُعدُّ لنا مكاناً في السماء، كما نزل المسيح الكلمة من السماء من حضن الآب، ليُعدّ لله مكاناً على الأرض. فكان هذا حدثاً يُتعجَّب منه، هل ساكن السموات يأتي ليعيش على الأرض، أمر أذهل كل السماويين والأرضيين، واختار الابن الكلمة أن يجد له مكاناً آمناً مقدساً ينزل فيه، وهكذا عَلمنا أنه اختار العذراء القديسة مريم ليولد منها بالروح القدس. وكمناسبة لاتضاع الابن، وُلد في مذود للبقر، فكان هذا مصالحة هائلة للبهائم التي لُعنت بآدم وأخضعها هي أيضاً للفساد. ولكن بميلاد المسيح في مذود البقر أعطى عنواناً لرسالته: **أنه الوديع والمتَّضع**. ولكن لم يكن سهلاً أن يجد المسيح مكاناً ليولد فيه.

أما ذهاب المسيح للسماء، فصار بعد أن أكمل رسالة الفداء،

وصالح البشر بالله[1]، وأكمل الخلاص الذي من أجله نزل وتغرَّب على الأرض. وإلى هنا جاء المسيح، ليرتِّب الخلاص لبني البشر الذين اختارهم واتحد بهم ووهبهم نصيباً وميراثاً معه في السماء، حتى يأتي ويأخذهم عنده، فذهب أولاً ليُعدَّ لهم مكاناً.

وبالرغم من أنه معروف أن السماء موطن السمائيين والأرض موطن الأرضيين، إلاَّ أن الإنسان المَفدي بدم المسيح، وإذ قد أكمل خلاصه على الأرض، وحاز التَبنِّي والتقديس والاختيار، تأهَّل أن يكون على مستوى السمائيين، لأنه اتحد بالابن وصار معه واحداً. وأغرب ما في الأمر أن الآب السماوي بارك عمل الابن، وفتح أحضانه الأبوية لخليقة الإنسان الجديد، وقَبل ورحَّب بأن يكون الإنسان المُخلَّص الذي تقدَّس بالدم يكون مكانُه المفَضَّل هو في خورس أمام الآب القدوس، ينعم برضا ومحبة الآب، إذ اعتبر الإنسان الذي آمن بالمسيح أنه مختار من الله، وسبق اختياره منذ الأزل وقبل إنشاء العالم. وهكذا كان محجوزاً للإنسان المَفدي منذ الأزل أن ينعم ببنوة الله، والوقوف أمامه بلا لوم في المحبة، حسب مسرة مشيئة الآب[2]. فهو اختيار وتعيين قبل الأزمنة كلها والدهور السالفة وقبل خلقة العالم. فموضع أو

---

[1] أنظر رو ٥: ١٠؛ ٢كو ٥: ١٩.

[2] أنظر أف ١: ٣-٥.

مكان استقرار الإنسان في السماء حسب مسرة الآب، هو المكانُ المُعدُّ منذ الأزل وقبل خلقة العالم.

وقد حان الزمان ليفتتح المسيح ابن الله الخوارس الأولى أمام الآب، وهو المكان الذي ذهب إليه المسيح ليُعدَّه لهم، فوجد عند الآب قبولاً وترحيباً.

والأمر المُفرح والمُسرُّ لقلب الإنسان، أننا لن نكون وحدنا أمام الله، ولكن كمفديِّي الرب «أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه»[3]، لنا مكانة المسيح وكرامته ومجده، لأنه سبق وأعطانا مجده لنكون واحداً فيه، في شركة أبدية مُختارة ومُبرَّرة حيث نفتخر على رجاء مجد المسيح[4]، والمسيح أيضاً يفتخر بنا كرعاياه الذين اختارهم من العالم وبرَّرهم وقدَّسهم، وأعطاهم من روحه فصاروا واحداً فيه.

والمكان الذي اختاره لنكون فيه معه، هو مكان تكريم الآب، لأن الابن لا يوجد وحده بل هو والآب واحد. ولتواضع المسيح الشديد، يُقدِّمنا إلى أبيه باعتبارنا تعب يديه، وعمل فدائه على الصليب، فيقبلنا الآب أن نكون واحداً فيه.

٢٧ يوليو ٢٠٠٥

---

[3] أف ٥: ٣٠.

[4] أنظر رو ٥: ٢.

- ٣٠ -

«لو كنتم قد عرفتُموني، لعرفتُم أبي أيضاً، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه. قال له فيلُبُّس: يا سيد، أَرِنا الآب وكفانا. قال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه مدته ولَم تعرفني يا فيلُبُّس، الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أَرِنَا الآب، أَلستَ تؤمن أني أنا في الآب والآب فيَّ»

إنجيل يوحنا ١٤: ٧-١٠

واضح هنا أن بعض التلاميذ كانوا لا يزالون لم يدخلوا بعدُ في الحق الإلهي، ليدركوا أن الآب في الابن والابن في الآب كياناً واحداً وقولاً واحداً، وأن قول المسيح مُستمَدٌّ من قول الآب بلا أي فارق زمني.

وينتقل المسيح من القول الواحد إلى المعرفة الذاتية، فالذي عرف الابن يكون قد عرف الآب، وبالتالي من رأى الابن يكون قد رأى الآب بآن واحد، لأنهما ليسا اثنين بل واحد في سرِّ اللاهوت الذي لا يقربه عددية ولا انقسام ولا زمان، فالآب والابن واحدٌ أزليٌّ وأبديٌّ. ولكن الأمر الذي يلزم أن يدركه

القارئ أن عين الإنسان غير مكشوف لها اللاهوت، فهو وجودٌ فائق الوجود، يُرى بالإيمان والحق الذي لا يستطيع أن يدركه إلاَّ إذا نال من الله انفتاحَ بصيرة، وذلك عن طريق الإيمان الصادق بالحق. فالآب والابن واحد، ولكن وحدانيتهما غير عددية، فهما معاً وجودٌ واحدٌ مطلق. ومَن تنكشف له الرؤيا، يرى فيها الآب والابن، لا منفصلَيْن ولا متَّصلَيْن، بل يرى الآب كما يرى الابن بالرؤيا العالية اللاهوتية غير المحدودة واللامنظورة.

وهنا يوبخ المسيح فيلبُّس أنه يريد أن يرى الآب وحده منفصلاً عن الابن، وهذا في اللاهوت أمر مستحيل، فالذي يرى الابن يرى الآب بآن واحد. لذلك كان من مهام الابن لمَّا تجسَّد وصار إنساناً، أن يبدأ في الحال في أن يُعلِن الآب الذي فيه، وقد كان. فجميع الأقوال والأعمال التي عملها المسيح كانت هي نفسها أقوال وأعمال الآب. وقد أعلن المسيح ذلك مراراً وتكراراً أنه كما يسمع الآب يعمل، وكما يرى يُعلنه، ومن نفسه لا يقول ولا يعمل شيئاً[1]. وهذا صعب على الذهن البشري أن يتصوَّره أو يعقله، وهذا حق، لأن أقوال المسيح وأعماله التي من الآب أيضاً هي مقولة ومعمولة من مصدر إلهي لا يُرى ولا يُسمع إلاَّ بالإيمان

[1] أنظر يو ٥: ١٩.

بالمسيح الكلمة المتجسد. هنا بواسطة المسيح المتجسد تتجسد المقولات العليا التي من الآب لتُرى وتُسمَع، وهي أصلاً لا تُرى ولا تُسمع. لذلك كان الذين يسمعون المسيح ويرون المعجزات لا يؤمنون أنها بالله معمولة، لأن الذي يتكلّمها ويعملها إنسان مثلهم. نقول، لهذا تجسد ابن الله لكي يوصِّل للإنسان المدركات الإلهية والأعمال الإلهية باعتبارها مقولة ومسموعة من الآب، ولكن منطوقة ومعمولة بالابن، بمعنى أن الأقوال والأعمال إلهية محضة صادقة مائة بالمائة، ولكن يصعب الإيمان العقلي البشري بها. لذلك يُعقّب المسيح على هذا بأنها مُعلَنة للأطفال والرُّضَّع ولكن مخفية «عن الحكماء والفهماء»[٢].

لهذا يدعو المسيح سامعيه إلى الإيمان به أولاً قبل أن يؤمنوا بالأقوال والأعمال، حتى يدركوا أنها بالله معمولة.

وتوضيحاً لهذه الحقيقة الصعبة نرجع إلى قصة صموئيل النبي وهو طفل ينام في الهيكل، هذا كلّمه الله وناداه: «صموئيل صموئيل»، فحَسبَ أن عالي الكاهن يطلبه، بينما عالي الكاهن لم يوجِّه له النداء. فلمَّا أدرك صموئيل ذلك ردَّ على الله، فبدأ الله

[٢] لو ١٠: ٢١.

يكلم صموئيل دون عالي[٣]. فصوت الله أُرسل إلى قلب صموئيل دون أذنيه لأنه صوت سماوي.

٢٨ يوليو ٢٠٠٥



---

[٣] أنظر ١ صم ٣.

- ٣١ -

«الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي، فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها، لأني ماضٍ إلى أبي، ومهما سألتم باسمي، فذلك أفعله ليتمجد الآبُ بالابن»

إنجيل يوحنا ١٤: ١٢، ١٣

هنا يضع المسيح أعماله رهن الإيمان به، فالإيمان بالمسيح هو إيمان بكل أقوال وأعمال المسيح. وهنا موازنة سرِّية عجيبة: أن الإيمان بالمسيح يصير مصدراً لأعمال كأعمال المسيح. هذا يوصلنا إلى حقيقة أبدية أن الإيمان بالمسيح يساوي المسيح عاملاً وقائلاً.

لذلك ترك لنا المسيح، قبل أن ينطلق، قوة جبارة تستحضره عاملاً وقائلاً، لأن ليس الإنسان بعدُ هو العامل أو المتكلم، بل المسيح نفسه حاضراً بالإيمان، وهذا يعتبر أقوى الأعمال التي عملها المسيح على الأرض بأن استودع نفسه وروحه وأقواله وأعماله في وجود حقيقي حاضر دائماً بالإيمان الصادق والمُخْلِص

به. فقول المسيح: «ها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر»[1]، يُؤخَذ بالإيمان الذي يحقق وجوده وقوله وعمله في كل لحظة.

هنا سرٌّ لاهوتي كبير جداً هو أن يسوع المسيح انطلق بالجسد فقط، ولكن ظل باقياً معنا عاملاً ومتكلماً بلا مانع. وطبعاً هذا يُحسَب ضمن أسرار التجسد. فالتجسد ظهر لنا زمانيـــاً، وإلى مدة زمانية محدودة، ثم انطلق بالجسد، ولكن في حقيقة الأمر أنه ظلّ موجوداً بسرٍّ لاهوته باعتباره الكلمة نور الحياة، الذي لـــو انفصل عنا لدخلنا في الظلمة الأبدية، فهو موجود حـــيٌّ فعَّـــال بقوله وعمله بمقتضى الإيمان، لأن الإنسان لم يَعُد في مقدوره أن يعيش خارج المسيح. فالذي تم بالإيمان بالمسيح هو دخولُنـــا في سرِّ الشركة الإلهية مع المسيح، هو فينا ونحن فيه باستحالة الفراق أو الاستقلال.

لذلك يقول المسيح «مهما طَلَبتُم باسمي فأنـــا أفعلـــه». بـــل ويستمر المسيح في تأكيد هذه الحقيقة، أنه حتى إذا طلبنا أعمالاً أكبر من قامتنا فهو يعملها، لا لكي يُرضينا، بل ليُكمِّل تمجيـــد الآب الذي يسمع ويعمل بحسب رجاء الابن.

---

[1] مت ٢٨: ٢٠.

لذلك كان المسيح يُطمْئِن التلاميذ أن لا يحزنوا لأنه سيتركهم، بل عليهم أن يفرحوا، لأنَ وجوده معهم حينذاك سيزداد قـوة وفاعلية، حتى لو طلبوا طلبات تفوق قامتهم، فهو حتماً يستجيب ويعملها، ليتمجد الآب بالابن.

فارتفاع الابن صاعداً إلى السماء أَدخل البشـرية في حالـة جديدة أَعلى مما كانت عليه وهو موجود في وسـطهم. هـذه الحقيقة كان يراها المسيح وظلَّ يُطَمئِنُهم أنهم كـان يجـب أن يفرحوا بأنه سينتقل عنهم إلى الآب لأن ذلك سيكون لحسـابهم هم، فهم الرابحون من انطلاق المسيح إلى الآب. وأضاف المسيح لطمأنتهم، أنه سيرسل المُعزِّي من عند الآب ليأخذ مما للمسـيح ويعطيهم، وليُعرِّفهم كل الحق، ويُذكِّرهم بكل ما قال المسـيح وعلَّم[٢]. كل هذا يكشف أن ارتفاع المسيح إلى الآب كان فعلاً لصالح الإنسان. فيلزم أن يستفيد الإنسان من هذا الموقف ويطلب ما يريد.

٢٨ يوليو ٢٠٠٥

---

[٢] أنظريو ١٤: ١٦، ٢٦؛ ١٦: ٧، ١٣، ١٤.

- ٣٢ -

«إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيُعطيكم مُعزِّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكثٌ معكم ويكون فيكم»

إنجيل يوحنا ١٤: ١٥-١٧

محبة يسوع المسيح شيء والإيمان به شيء آخر. فالمحبة عِشْق ترتبط به الأرواح والقلوب والضمائر والعواطف. ومحبة المسيح هي خروج عن النفس، لا يستطيع إنسان أن يحب نفسه ثم يحب آخرَ حباً نقياً حاراً وفي نفس الوقت يحب المسيح. فمحبة المسيح صيام عن الدنيا بكل ملاهيها وأموالها، على حد قول بولس الرسول، الذي انتخبه الله وهو سائر كالهائج يسجن أولاد المسيح ويجرُّ النساء إلى السجن وإلى الرَّجْم. وبينما هو سائر في طريقه قابله المسيح من فوق، وأوقف جنونه وأَفقَدَه بصره. ولمَّا سأل بولس: «من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده»[١]. وفي الحال دخل المسيح قلب بولس، فصار المسيح

[١] أع ٩: ٥.

كل شيء لبولس، أحبه حباً أنساه نفسه وكل أعماله. ولمَّا ازداد رباط الحب قال قوله المشهور: «صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم»[٢]، بمعنى أنه مات عن الدنيا والدنيا ماتت في عينيه. وعاش بولس عيشة العاشقين للمسيح وكل أعماله، فافتقده الرب وبادله حباً بحب، فصار يكرز في كل أنحاء العالم بالمسيح. وتحوَّل الحب عند بولس إلى شهادة. وهذا هو قصد المسيح الذي على أساسه مات على الصليب، حتى أنَّ بَذْلَه ذاته على الصليب سافكاً دمه إلى آخر قطرة، كان لهدف واحد أن يرتبط بروحه مع كل مَنْ يقبله ويؤمن به، أي بَذْلٌ ببَذْلٍ.

والنسبة ليست مقبولةً، فبذْلُ المسيح لذاته يجمع في ذاته جميع نفوس أجيال الإنسان من أول الزمان إلى آخر كل زمان. ولكن في سرِّ بذل المسيح تتصور النفس الواحدة وكأنها تساوي نفس المسيح، لأن كما سبق وقلنا ليس في اللاهوت جَمْع أو قِسْمة أو عَدَد أو انقسام. فنفس المسيح في اعتبار المسيح تساوي أَي نفس لأي خاطئ. لذلك فإن الثقل اللاهوتي لبذل المسيح هائلٍ وبلا حدود، قادر على فعل الفداء بقوة وسلطان، ما يلزم جداً لكل إنسان أن يضعه في اعتباره. فالمعروف والذي يتحتم فعلاً أن يُعرف، أن **المسيح مات من أجل كل خاطئ مهما كان صغيراً**

[٢] غل ٦: ١٤.

أو **حقيراً أو ضعيفاً**. فالفداء هو سرُّ اللاهوت العامل في كل نفس، بنفس القدر الذي يعمل في أي نفس أخرى.

من أجل هذا وضع المسيح موازنة أخرى تكشف عن علو معنى الفداء: أنَّ مَنْ أحب المسيح وحفظ وصاياه، فالمسيح يطلب من الآب لكي يسكب عليه الروح القدس للإقامة الدائمة، والحفظ، والسَّتر، والعناية، وكشف الحقائق. والروح القدس غريب عن العالم، فالعالم يجهل الروح القدس ويجهل عمله، لذلك وجب على الإنسان أن يفتخر بعمل الروح القدس ويعتمد عليه كمُعزٍّ، ومُقوٍّ، ومُنقذ، وكاشف للحقائق وعلاَّم الغيوب، وكلها صفات لا يدركها العالم.

نرجع ونكرر أن سرَّ محبة المسيح موجود في حفظ وصايا المسيح والعمل بها. ومحبة المسيح هي أثمن وأعظم عمل يقوم به الإنسان: «الذي يحبني يُحبه أبي، وأنا أُحبه، وأُظهر له ذاتي»[3]. والمسيح لا يمكن أن يظهر إلاَّ لمختاريه المحبِّين الذين ضَحَّوْا بكل شيء في سبيل محبته وحفظ وصاياه.

٢٨ يوليو ٢٠٠٥

---

[3] يو ١٤: ٢١.

- ٣٣ -

«قَدِّسهم في حَقِّك، كلامُك هو حقٌّ»

إنجيل يوحنا ١٧: ١٧

الابن يطلب من الآب أن يقدِّسهم. والتقديس هنا أن يصبحوا بجملتهم لله، ولا يكون للعالم فيهم مشيئة أو عليهم سلطان. وهذا التقديس عمل إلهي يحفظهم من الداخل، ويفصلهم عن العالم، فلا يعود للعالم سلطان عليهم إذ يملك الله كل مشيئتهم وشهوتهم، كما يقول القديس بولس: «قد صُلِب العالم لي وأنا للعالم»[١]، أي أصبحتُ مائتاً عن العالم بإرادتي، والعالم أصبح مائتاً عندي. معنى هذا أن يكون الإنسان منحازاً كلياً للإنجيل، وكلمة الله تكون حيَّة في قلبه وفكره. وهنا المسيح أسرع قائلاً: «كلامك هو حق»، أي أن الإنجيل يصبح عند الإنسان حقيقة الحقائق، ومرجعَه في كل فكر وعمل. وتصبح كلمات الإنجيل ذات مذاق حلو في فمه يستشهد بها ويتمسَّك.

والتقديس إذا جاء من عند الله، يرتفع به الإنسان في الحال عن

---

[١] أنظر غل ٦: ١٤.

كل ما للدنيا، حاسباً نفسه أنه عبدٌ ليسوع المسيح، يملك عليه ملكاته كلها. والتقديس يأتي بعد التبرير، أي أنَّ المسيح يسبق ويبرِّره، أي يمنحه برَّه الخاص. والتبرير يأتي بعد الاختيار، أي يتحتم أن يكون مختاراً أمام الله. والاختيار يسبق كل شيء لأنه يتم في الأزل حينما يُحسب الإنسان أنه من نصيب الله، فيكون من أهل بيت الله وزمرة الأبرار القديسين منذ الدهر[٢]، ينعم بِعشْرة فائقة في الحب والتبنِّي لله، فيصبح المُقَدَّس نوراً على منارة، وتصير حياته وأعماله كلها شهادة. وغاية مواهب وعطايا الله هي التقديس، حينما يتملَّك المسيح حياتَه، فيصبح نوراً على منارة، مستمداً نوره من نور المسيح الذي لا ينطفئ؛ وعليك أن تتصور جماعة القديسين معاً، فإنهم يكوِّنون كياناً واحداً مضيئاً لأنهم يكونون متحدين معاً.

وشهوة قلب كل إنسان أن يطَّلع على هذه الزمرة المقدسة المضيئة في بيت الله. فهم خلاصة تعب المسيح والحاملون لعطْر صليبه، وعليهم تيجان مضيئة بنور الله وسط كل الخلائق السماوية. فالإنسان حينما يسبق اختياره، ثم يسبق تبريره، ثم يسبق تقديسه، يُصبح خليقة سماوية عالية القدر عند السمائيين،

---

[٢] أنظر أف ٢: ١٩.

لأن ما يميِّزهم عن بقية الخلائق أهم إما سُفكت دماؤهم، وإما عُذِّبوا وجُرِّبوا وماتوا قتلاً بالسيف أو بالوحوش، واحتملوا التعذيب حتى أسلموا الروح، ورفضوا النجاة ليفوزوا بتاج الخلاص الثمين[٣].

بهذا يطلب الابن من الآب أن يُقدِّس له أولاده المؤمنين به، لأنه انطلق وتركهم تحت رعاية الله الآب وتقديسه. ورجاء المسيح من الآب أن يستعلن لأولاده المؤمنين باسمه قوة كلام الله في الإنجيل، بمعنى أن يلقِّنهم الحق، والحق هو جوهر الكلام والأعمال والوصايا بمنظور إلهي فائق المعرفة، فيصبحوا قديسين بالضرورة، لأن كلام الله هو الحق، وهو التقديس، وهو النور للنفس، لا ينطفئ بل يضيء إلى الأبد.

٢٨ يوليو ٢٠٠٥

---

[٣] أنظر عب ١١: ٣٥-٣٧.

- ٣٤ -

«ولأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي،
ليكونوا هم أيضاً مقدَّسين في الحق»

إنجيل يوحنا ١٧: ١٩

أعجب ما يمكن أن نسمعه من المسيح قدوس الله الابن الوحيد، أن يقول إني «من أجلهم أقدس أنا ذاتي». والمعروف من الملاك المبشِّر أن مولود العذراء القديسة مريم وُلد باسم "قدوس الله"[١]. ولكن العجب هنا أنه يكشف حياته كلها على الأرض أنها كانت قدوسة وبلا عيب. وحتى لكي يُخرِس أعداءه المتربِّصين به وهم يتابعون حياته ليجدوا فيه ما يمكن أن يشكوه به، قال لهم: «مَنْ منكم يُبَكِّتني على خطية»[٢] واحدة عملتُها!؟ فحياة المسيح كانت تحت الملاحظة الدقيقة من قِبَلٍ الأعداء، وهو يعلَم ذاته. ولكنه لا يقول هذا ليُبرِّر ذاته، فهو البار الذي برَّر كثيرين، وإنما القصد والغاية كانت حياة الذين يؤمنون به، فلكي يكونوا

---

[١] أنظر لو ١: ٣٥.

[٢] يو ٨: ٤٦.

قديسين وبلا لوم قدَّس هو نفسه أولاً ونقّاها من كل لوم، حتى لا تكون عثرة في تعليمه، بل قدَّم لهم نموذجاً حيّاً من القداسة والبر الفائق لكي يسلكوا سلوكه.

فالمسيح كمعلم للبر، أتقن البرَّ والقداسة قبل أن يُعلِّم بهما. فهو هنا، وبتعبير غاية في الاتضاع، يقول إنه من أجل المؤمنين به يُقدِّس ذاته أمام الآب، ليكونوا هم أيضاً مُقدَّسين في الحق. والمسيح سبق وقال بكل وضوح: «أنا هو... '**الحق**'»[٣]. وهنا تأتي كلمة '**الحق**' كصفة للقاضي، فالمسيح **مُعلِّمُ الحق** وقاضٍ **بالحق**، أي حينما يتراءى المؤمنون أمام الله يُحسَبون قديسين **بالحق**.

والذي يلفت نظرنا جداً في هذا الطلب أو عرض الحال الذي يقدمه المسيح للآب ويتقدَّم به لتلاميذه، أن المسيح يعلن عن حقيقة لاهوتية مستترة، وهي أنه يقدم تلاميذه للآب ليكونوا على مستوى المسيح في الحق والقداسة والبر، الأمر الذي اكتسبه التلاميذ من المسيح بالمثال والتعليم. فنحن هنا أمام عرض عام على مستوى كرازة المسيح وتعليمه وشهادته، وكلها تنطق بأن المسيح هو قدوس القديسين الذي سلَّم لتلاميذه القداسة،

---

[٣] يو ١٤: ٦.

وعلّمها، وطلبها من الآب، حتى يكونوا على مستواه. هذه حقيقة لاهوتية تُذهل العقل. ونحن نتساءل: أيَّ معلِّم هذا وأيَّ تعليم هذا؟ إنه أكثر من تسليم وتسلُّم، وأيَّ تسليم؟ تسليم لاهوت صافٍ كالبللور، وتعليمٌ يرتفع بمستوى الإنسان ليضعه أمام الله؟

فالقداسة كانت منهج المسيح التعليمي، ومركز توجيهه وتسليمه، بل وكان مصدر سعادته وفرحه أن يكون له تلاميذ على مستوى ما في القداسة والبر.

ثم أنظر معي نظرة عميقة ثاقبة، ألا ترى أن المسيح قبل أن يرتفع إلى السماء ضَمِنَ أنْ يكون على الأرض مُسَحاء[٤] على مستواه في التعليم والتلقين والتسليم؟

٢٨ يوليو ٢٠٠٥

[٤] في التعليم الكنسي، كل معمَّد وممسوح بالميرون يُلقَّب "مسيحاً".

- ٣٥ -

«حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب»

إنجيل لوقا ٢٤: ٤٥

سرُّ الإنجيل الأول والأعظم هو أنه لم يُكتب لذوي العقلية البشرية أي الذهن العادي، لأن الإنجيل هو كلام الله وليس كلام الناس، فإذا كان الذهن على مستوى الكلمة، يصير الإنجيل مفهوماً ومقروءاً بالحق، ولكن الذهن الطبيعي لا يفهم ما لله، لذلك في موضع ما قال بولس الرسول إن «الإيمان ليس للجميع»[١]. ولكن الإيمان هو ثمرة الذهن المفتوح من الله ليفهم كلام الله. وانفتاح الذهن هو حصوله على سرِّ الله الذي يعطيه لمختاريه الذين يلحُّون في طلب الإيمان.

وهذا هو عمل الروح القدس، فالآب والابن يعملان بواسطة الروح القدس، لذلك كان عمل الروح أعظم تمهيد للإيمان بالمسيح، لأنه يشرح الكلمة ويُلبسها ثوب النور، فلا تعود لُغزاً يحتاج إلى حلٍّ، بل نوراً يُضيء أمامٍ الذهن، فيفهم كل المعضلات بلا جهد. فالإنجيل لا يحتاج جهداً من الإنسان إلاَّ المثابرة فقط،

---

[١] ٢تس ٣: ٢.

فالذين يثابرون على قراءة الكلمة، تنفتح مفهومات الكلمة للذهن، فيقرأ الإنسان ويتلذَّذ بالقراءة، لأن كلام الإنجيل حيٌّ هو، ومُحيي أيضاً، لأن كلام الله مكتوب بروح الله. وانفتاح الذهن ليس هو الذكاء والفطنة ولا الحذق، إنما سريان الروح من كلام الله المكتوب ليدخل أعماق النفس والروح، فينتعش الإنسان كأنه نال إكسير الحياة.

وقد عبَّر عنه بولس الرسول بأنه الرائحة الذكية لله، بمعنى أن الإنجيل يُنعش الروح، لأنه من روح الله[٢].

وانفتاح الذهن هو قبول طاقة لاهوتية سرِّية تكشف الحق الذي في الكلام، والحق هو نور وحياة. وفي البداية يظل الإنسان يتعثَّر في معاني الكلمات، وتقف أمامه الكلمات وكأنها ألغاز؛ إلى أن يتحنن الله ويسوق على الإنسان نعمة الفهم، فيستضيء الذهن كما بنور، فيبدو الكلام واضحاً ومفهوماً ولذيذ المذاق، حتى لا يعود الإنسان يتأفَّف من قراءة الإنجيل، بل يُقبِل إليها بشَغَف وحرارة واشتياق.

وكان التلاميذ في البداية يتعثَّرون في كلام المسيح ويطلبون المعونة من المسيح أن يشرح لهم المضمون، إلى أن استقرَّ فيهم

---

٢ أنظر ٢كو ٢: ١٤.

روح الله فصاروا فُصحاءَ وحاذقين في الكلام والتعبير بقوة الروح الذي فيهم، فكان يتعجب كلٌ من يعرفهم: «أتُرى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين؟»[٣]، أي فلاحين وصيادين ولا يعرفون أصول الكلام. ولكن بعد أن قَبِلوا الروح القدس، صاروا يُحيِّرون الكتبة والفريسيين والكهنة بمعرفتهم، فكان يتعجب الناس منهم، وأخيراً علموا أنهم كانوا مع يسوع. وهكذا وضح كلام المسيح أنه حقٌّ: «أنا هو نور العالم»[٤]، «أنا هو الحق»، «إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً»[٥]. فالتلاميذ كباقي الناس الذين كانوا يسمعون المسيح «تعجبوا ومجَّدوا الله الذي أعطى»[٦] كلّ هذا العلم والمعرفة والشفاء. والمسيح كان صادقاً جداً، إذ استطاع أن يسلِّم التلاميذ روحه الخاص وعلاقته بالروح القدس، حتى صاروا معلِّمين أذهلوا الكتبة والفريسيين وحتى الكهنة.

وهكذا أصبح التلاميذ منارةَ تعليمٍ وتسليمٍ كمُعلِّمهم، وضَمِن المسيح أن الرسالة ستدوم وتمتد.

٢٨ يوليو ٢٠٠٥

---

[٣] أع ٢: ٧.

[٤] يو ٨: ١٢.

[٥] يو ٨: ٣٦.

[٦] مت ٩: ٨.

- ٣٦ -

«إن ثَبَتُّم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحقَّ، والحقُّ يحرركم»

إنجيل يوحنا ٨: ٣١، ٣٢

الثبوت في كلام المسيح هو ثبوت في المسيح نفسه، لأن المسيح لا يتكلم من عنده بل هو نُطقُ الآب فيه[1]. لذلك فالثبوت في المسيح هو الثبوت في الله. وكلام الله مُحيي، يُروي ويُغذي ويملأ، لأنه حقٌّ، والحق جوهر إلهي. ومن يستعلن الحقَّ، لا يعود عبداً لخطية أو شرٍّ أو شبه شرٍّ، لأن الحقَّ يَفُكُّ أَسْرَ الإنسان للطباع والفكر والمشيئة، فيصبح الإنسان خليقة الله الجديدة، ويعتبره المسيح أنه تلميذه، بمعنى أنه مرتبط به برباط المحبة والتبعية، لا يشاء ولا يختار لنفسه، بل تكون مشيئة المسيح هي مصدر فكره وعمله، ولا يكون اختياره بحسب فكره أو بحسب عينيه، بل روحُ المسيح الذي فيه هو الذي يقوده في طريق الحياة والحق، والمسيح ينير له خفايا الحقائق، فيزداد معرفة ونوراً واستعلاناً.

---

[1] أنظر يو ١٢:٤٩؛ ١٤: ١٠.

مثل الرسول بولس الذي أضاء الله عينيه وقلبه، وسَكَب فيه من روحه، فصار يكرز بالمسيح بعد أن كان يقتل المسيحيين. بل ورفَعه الله ليرى ويسمع الأمور الإلهية التي لا يسوغ لبشر أن يطَّلع عليها. هذه كلها كانت مواهب نعمة الله التي حلَّت على هذا الرسول المبارك، علماً بأن بولس الرسول لم يكن تلميذاً، ولا رأى الرب، ولا سمعه، ولكن عوَّضه المسيح عن ذلك فأصبح مُعلِّم الإنجيل بالدرجة الأولى، والعارف بكل أسرار الحياة الأبدية، وكل الأسرار المخفية أُظهرت له.

إذن، مَنْ يتتلمذ للمسيح، يُستعلن له الحق، فيَصبح عارفاً بكل خفايا الإنجيل وكل أسرار الحياة الأبدية.

وألْهَم الله التلاميذَ والرسلَ ليكتبوا ما سمعوه من المسيح وما حفظوه من وصاياه، فصار كلام الإنجيل هو كلام المسيح، وبآن واحد أصبح مصدراً للحق الإلهي الذي يسكن الكلمة ويكشف أسرارها لمختاري الله. وهكذا أصبح كل المؤمنين تلاميذَ الرب. وبرع منهم الكثيرون، فصاروا أبواق الإنجيل المسموعة في كل أركان العالم. ولم يكن هذا بحذاقة الواعظ وخدام الكلمة، ولكن هو بوق الحق الذي يُسمع في القلوب القديسة فيتكشَّف لهم الكلام وتُستعلن لهم حقائق الإيمان المسيحي، حتى صارت الأرض

تباهي السماء في النور الإلهي الذي يشعُّ من كل أركان العـــالم. وصدق قولُ المسيح: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر»[٢].

والآن تأمَّل، أيها القارئ العزيز، وٱنظر كيف صارت كلمـــة الحياة مسموعة في كل العالم، ونحن الآن على مسافة ألفي ســـنة منذ كُتِبت الكلمة وصارت مقروءة. أليس هذا عجباً؟ أيُّ عالِمٍ، أيُّ معلِمٍ، أيُّ حكيمٍ، أيُّ نبيٍّ، استطاع أن يجعل كلامـــه يحيـــا آلاف السنين ويزداد نوراً وبهاءً ومجداً؟ أليس هذا وحده معجزة الإنجيل الذي صار كتاب الحياة للطفل والشيخ والأعمى والأصمِّ على حدٍّ سواء. فحقُّ المسيح يخترق القلوب قبل الآذان. وٱنظـــر معي كيف تحرر الناس من رِقِّ العبودية وسيادة الجبابرة وظلـــم الرؤساء والولاة حتى صارت حقوق الإنسان ينادي بها ســـكان الغابات، وباسم حقوق الإنسان يسقط رؤساء الشعوب لتســـود الحرية ويرتفع حق الإنسان في حياة حرَّة؟ أليس هـــذا مصـــدره كلمة الله التي بَنَت الضمائر؟

٢٩ يوليو ٢٠٠٥

---

[٢] مت ٢٨: ٢٠.

- ٣٧ -

«أنتم نور العالم»

إنجيل متى ٥: ١٤

رسالة لخدام الكلمة (١)

وُصِفَ المسيح بالروح بيد يوحنا الرسول أنــه «**الكلمــة**»[١]. وأضافَ، أنه كان «**النور الحقيقي** الآتي إلى العالم»[٢].

وفعلاً كان المسيح مصدر إشعاع في كل مكان ذهب إليــه، ولكن أولاد الظلمة رفضوه وثاروا عليه، وحــاولوا مــراراً أن يرجموه، فكان يذهب من وسطهم[٣].

ولمَّا ارتفع المسيح وجلس عن يمين أبيه، ظهر إشعاع الكلمــة بصورة لا تُعانَد، على فم رسله وتلاميذه. ولكن ظلَّ اضــطهاد أولاد الظلمة مصدر عثرة للخُدَّام. ولكن الأمر المُلفت للنظر أن الكلمة انتشرت وامتدَّت وقويت في كل أرجاء العالم. لماذا؟

---

[١] يو ١:١.

[٢] يو ١:٩.

[٣] يو ٨: ٥٩؛ لو ٤: ٢٩، ٣٠.

لأن الكلمةَ بحد ذاتها نورٌ، تعمل بقوة في القلوب وتمتد وتؤثِّر في كل الأوساط، فالذي عيَّنه الله ليخدم الكلمة لا يحتاج إلى جهد كثير ولا لعِلْم كثير، لأن الكلمة تخرج من فمه لتعمل عملها في كل قلوب السامعين بقوة ذاتها، لأن كلمة المسيح مُعَانَةٌ دائماً بالروح القدس. فانظر، يا عزيزي القارئ، خادم كلمة الرب، أن الكلمة ذاتها نورٌ نفَّاذٌ تسري في القلوب بقوة الروح القدس، فأصبح خادم الكلمة خادمَ نورٍ، أي يُشعُّ بنور المسيح أينما سار. ولكن ما هو نور الكلمة؟

نور الكلمة هو استعلانٌ دائمٌ للحق الإلهي. فخادم الكلمة هو مصدرُ حقٍّ، والحق هو استعلان كل أسرار المسيح. والمسيح قال: «أنا هو الحق»، فكل أمور هذا العالم تحتاج إلى من يوضِّح عملها روحياً ويحلّ كل مشكلاتها على أساس ما قدَّمه المسيح من وصايا وتعليم. وهكذا يصبح خادم الكلمة مصدرَ معرفةٍ وحقٍّ ونورٍ تنتقل من إنسان إلى إنسان ومن جماعة إلى جماعةٍ، وهذه كانت وصية المسيح الأخيرة لتلاميذه قبل أن يرتفع: «اذهبوا وتَلْمِذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتُكم به، وها أنا معكم كلَّ

الأيام إلى انقضاء الدهر، آمين»[٤].

وهنا، فلْيَنْتبه القارئ والخادم، أن كلمة المسيح لا تعمل وحدها، بل المسيح بنفسه يَعِدُ أنه سيكون مع كل خادم وكل كلمة، فخادم الكلمة هو رفيق المسيح، لا يكرز وحدَه ولا يتكلم فقط، بل مع كل كلمةٍ قوةٌ ومعونةٌ ونورٌ وحقٌّ. فكلمة «أنا معكم» تجعل الخادم مُعاناً بقوة إلهية فائقة ومحفوظاً بيد الرب، لا يحمل همَّ الطريق ولا همَّ الأعداء والمُعثِرين، ويكون ليلُه مُضاءً فلا يتعثَّر، ومهما كان الطريق ضيِّقاً وكَرِباً فاليد العُليا تسنده من فوق، وصوت الرب يُشدِّده، وينظر الخادم بعينيه المعونة وهي تأتيه في وقتها، وقبل أن ينادي يسمعُه المسيح، ويدُ المسيح ممدودة دائماً للمساعدة، ولا ننسى أن المسيح قال: «أنا هو الطريق»[٥].

٥ أغسطس ٢٠٠٥

---

[٤] مت ٢٨: ١٩، ٢٠.

[٥] يو ١٤: ٦.

- ٣٨ -

رسالة لخدام الكلمة (٢)

المسيح يَعتبر أن خادم الكلمة هو غصن في الكرمة، وعلى قدر ثبوته في الكرمة يُثمر. فالمسيح يقول: «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم»[١]. والثبوت في الكرمة يضمن وصول عصارة الكرمة إلى الغصن، فالثبوت في المسيح ضمانٌ لمورد الكلمة المَقولة، بل وضمانٌ لتأثيرها ونتائجها.

والرابطة التي تربط الكرمة بالغصن هي الكلمة الحيَّة، فالإنجيل بالنسبة لخادم الكلمة هو حياته التي يستمدها كل يوم من الإنجيل. فبقدر ما يحيا الخادم بالإنجيل، بقدر ما تصدر منه كلمات الحياة التي تُحيي النفوس التي تسمعها لتحيا بها.

فهنا كلمة الحياة في الإنجيل هي نفس مدلول قول المسيح: «أنا هو الماء الحيُّ»، «إن عطش أحد فلْيُقبِل إليّ ويشرب، من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حيٍّ»[٢]. فهنا كلمة الإنجيل بمثابة دفعة يدفعها الخادم في الإنسان المُدْنَف على

[١] يو ١٥: ٤.

[٢] يو ٧: ٣٧،٣٨.

(أي على وشك) الموت في خطاياه، فيقوم ويحيا ويمجد الإله الحيَّ الذي نجّاه من موت مثل هذا. وهكذا يُحيي الإنجيل موتى الخطية بواسطة الكلمة الحيَّة التي تخرج من فم الخادم، مدفوعة بقوة صاحب الكلمة وصاحب الحياة. وهكذا ينادي المسيح بصوت الخادم «إن عطش أحد، فلْيُقْبِل إليَّ ويشرب»، ليصير هو ينبوع الماء الحيِّ.

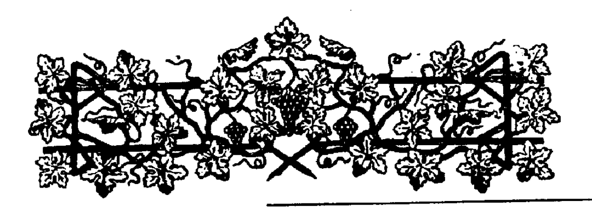
ووصْفُ المسيح للإنسان العطشان، هو نداء سرِّي لأسرى الخطية التي مَصَّت دماءهم وتركتهم بين الحياة والموت. هنا خادم الكلمة هو بوقُ الرب المُنادي للعطاش إلى البر والحق ليُقبلوا إلى التوبة، ليصيروا مصدرَ حياة، بعد أن كانوا على طريق الهاوية. فالخادم الأمين على أرواح الخطاة ينادي ولا يكفُّ عن النداء، ليسمعه المُدنفون على الموت، عسى أن يسمعوا فترتد أرواحهم فيهم، فيقومون قَوْمَة الابن الأصغر ليأتي إلى أبيه.

وعلاقةُ الغُصْن بالكرمة علاقة وجودية، أي عندما توجد الكرمة توجد الأغصان. فالغصن عند الآب السماوي ثمين للغاية، لأنه هو الكرَّام الذي يُنمِي الأغصانَ ويزيدها على الكرمة، لتُصبِح الكرمة بحسب قلب الكرَّام، الذي يأتي في الحين المناسب ليأخذ الثمر.

وخدام الكلمة محسوبون لدَى الكرمة كأغصان، ولدَى الآب أصحاب ثمار، فهم أعزَّاء لدَى الكرَّام، بمعنى أنهم مدعوُّون من قبَله ليدخلوا الحياة الأبدية. فهم بثمارهم يَمثُلون لدى الكرَّام على أنهم وارثون للكرمة، أي أصحاب ملكوت السموات. لهذا كان من أهم عناصر الخدمة، الدعوةُ للحياة الأبدية. فإن كان الباب الذي يُدعَوْنَ إليه ضيِّقاً والطريق الذي يسيرون فيه كَرِباً، فملكوت السموات يُقدَّم لهم ولتلاميذهم عن سعَة[3]. وإن كانوا ونحن معهم محسوبين أننا لسنا من هذا العالم[4]، «فلَنا في السموات بناءٌ من الله، بيتٌ غير مصنوعٍ بيد»[5]، بل صنعه الآب السماوي، والابن فيه يُحَيِّي ضيوفَه، وكلهم «أهل بيت الله»[6].

فخُدَّام الكلمة هم بالنهاية خُدَّام حياة أبدية.

٥ أغسطس ٢٠٠٥



[3] ٢بط ١: ١١.

[4] يو ١٧: ١٦.

[5] ٢كو ٥: ١.

[6] أف ٢: ١٩.

- ٣٩ -

رسالة لخدام الكلمة (٣)

خدام الكلمة هم الأشخاص الذين اختاروا خدمة الله أفضل من خدمة العالم. وهذه رسالة بحد ذاتها عالية القيمة عند الله والناس.

يقول الكتاب إنه لمَّا أَدخل الابن إلى العالم قال: «ذبيحة وقرباناً لم تُرِدْ، ولكن هيَّأْتَ لي جسداً»[١]. فما هو معنى ذلك؟ معناه أن ذبيحة المسيح بجسده مُعلَّقاً على الصليب هي أفضل وأعلى قيمة من كل القرابين والذبائح التي قُدِّمت في العهد القديم. إذن، فخدمة ذبيحة المسيح على الصليب في العهد الجديد هي خدمة موازية، ولكن أعلى شأناً من خدمة كهنوت العهد القديم. وبالتالي صحَّ في المؤمنين قول الكتاب: «جعلَنَا ملوكاً وكهنة لله أبيه»[٢]، لأننا نخدم الملك المسيح رئيس الكهنة الأعظم لله. هذه هي درجة خدام الكلمة، أي خُدَّام الإنجيل، أي حاملي صليب المسيح سائرين في الشوارع والأزقَّة، يكلمون الناس

---

[١] عب ١٠: ٥.

[٢] رؤ ١: ٦.

بالكلمة الحيَّة.

ومرة أخرى نتمنى أن يرتفع معنا القارئ ليدرك قدر خدمة الكلمة عند الله والناس، فإنجيل القديس يوحنا يعرِّفنا من هو الكلمة قائلاً: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله». ولكي يستوثق القارئ من أن الكلمة هي الله في أعلى مظهره وجوهره، يقول لنا سفر العبرانيين إن الله «كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه...الذي، وهو بهاء مجده، ورَسْم جوهره، وحاملٌ كلَّ الأشياء بكلمة قدرته»[3]. هذا هو الكلمة، عزيزي القارئ، الذي خصَّص بعض الناس أنفسهم لخدمته. إذن، فخدمة الكلمة تساوي الكلمة في عظمتها وعلوِّ شأنها، ليس عند الناس فقط بل وعند الله الكلمة. وهنا نتوقف لحظة لنتأمل معاً في درجة خدمة الكلمة التي هي المعنى المباشر لقول الكتاب «جعلَنا ملوكاً وكهنة لله أبيه»، فهل يوجد في الأرض كلها والعالم درجة أكرَمَ وأعظم من هذه الدرجة؟

هذا الكلام نوجِّهه لخدام الكلمة ليكونوا على دراية بدرجتهم أمام الناس والله، لا لكي يتعالوا على الناس، بل لكي يعلموا أن خدمة الكلمة هي بالتالي خدمة الناس لرفعهم من إحساسهم

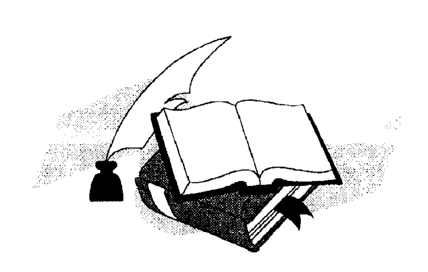
---

[3] عب ١: ٢،٣.

بالتدنّي بسبب خطاياهم، لكي يعلموا يقيناً أن خطاياهم ساوَتْ الصليب عند المسيح، وبالتالي هي تساوي الملوك والكهنة أمام الله الآب. فخدمة الكلمة للخاطئ تساوي في قدرها ملكـــاً علـــى عرشه أو رئيس كهنة قديماً يقدِّم دم الثور في قدس الأقداس.

نقول هذا السرَّ في أذن خادم الكلمة، لكي يملك زمام خدمته حسناً، أي قراءة وتفسير الإنجيل متواتراً حتى يصبح مهنته الأولى والعظمى في العالم، وبآن واحد يغضُّ الطَّرْف عن أمجاد الـــدنيا ومالها وعيالها، لأنه أصبح محسوباً خادم الإنجيل الذي ليس مـــن هذا العالم ولا يصلح لخدمة هذا العالم، فالإنجيل هو دستور الملك والكاهن الأعظم.

٦ أغسطس ٢٠٠٥



- ٤٠ -

«لأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي»

إنجيل يوحنا ١٧: ١٩

في هذه الكلمات يلخِّص الرب ماهية إرساليته التي تضمن عمل اتحاد اللاهوت بالناسوت، أي الجسد. ونحن نعلم أن جسد المسيح هو الكنيسة، فإرسالية تجسُّد المسيح هي تقديس كنيسته على الأرض. ونحن نعلم أن الكنيسة، أي المؤمنين بالمسيح الذين تجسَّد ليقدِّسهم، أصبحت هي عامود الحق وقاعدته، بمعنى أنها تحمل الحق الإلهي على الأرض، وهي بآن واحد متصلة اتصالاً جوهرياً بالسماء، أو بمعنى آخر هي مُعلنةٌ حقَّ الله للناس. وهي بآنٍ واحد استعلانٌ لجوهر الله الحق استَعلاناً معطاءاً، أي ليس مجرَّد استعلان لحق الله فقط بل وعطاءاً سرياً فائَقاً للحق الإلهي أو الله ذاته.

ولا يغيب عن القارئ أبداً أننا حينما نتكلم عن الكنيسة فنحن نتكلم عن نفوس الذين وُلِدوا جديداً لله في بشرية غاية في القداسة، أو أنها تحمل القداسَة في جوهرها. وهكذا نأتي إلى معنى «أُقدِّس أنا ذاتي»، أي يُقدِّس لنفسه شعباً جديداً جدَّة السماء

عينها، شعباً يحمل "أنا" المسيح في صميم كيانه البشري، الذي يستمده من جوهر قداسة المسيح وتقديس الروح بمسرَّة الآب.

فالمسيح تجسَّد ليخلق لنفسه بشرية جديدة من عمق نفسه، حسب مسرة الآب الذي طَبَع شكله وصورته على الإنسان الجديد المخلوق جديداً بحسب مسرة الآب. وهكذا نعود إلى الخلقة الأولى التي نفخ فيها الله شكله وصورته، التي أخفق آدم في أن يحقق غرض الله الأساسي في الخلقة الأولى للإنسان، ولكن أعادها المسيح في ملء بهائها ومجدها بتقديسه لذاته حتى إلى ملء قداسة الله. ولكن السرَّ الأعظم يكمن في معنى تقديسه لذاته، إذ معنى تقديسه لذاته هو تقديمنا إلى الله على صورة الله ذاته، مُكمِّلاً فينا مشيئة الآب من خلقتنا منذ البدء.

أما كيف نجح المسيح في خَلْق صورتنا الجديدة، فهذا أعمق أسرار المسيح الكائنة في سر الصليب، حيث انكشف لنا معنى تقديسه لذاته، أو تقديسه لنا، وذلك في صبغ جسده الميت على الصليب بدمه الحامل لسرِّ الحياة الأبدية التي وهبها للإنسان. فبالصليب والموت والدفن، نجح في أن يُسلِّمنا قوة موته التي غلب بها الموت ذاته، وظفر بمَنْ له سلطان الموت وأباده[١]. فلما أماتنا

---

[١] انظر عب ٢: ١٤.

المسيح معه بموت جسده، أَحيانا معه مجدَّداً بسكب الحياة الأبدية في موتنا، فقُمنا معه شركاءَ لحياته ومجده وقداسته.

وهكذا ينكشف لنا معنى «لأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي»، وهو سر المسيح الأعظم، وسر خلقتنا الجديدة: فمن أجلنا تجسد، ومات مصلوباً ليسفك دمه الحَامل سر الحياة الأبدية ليُحْيي موتَنا فيه بحياته الأبدية التي فيه.

ولكن لا يزال أمامنا سرٌّ رهيبٌ أبقيناه حتى النهاية، حتى يكون هو سر حياتنا حقاً:

ماذا يعني المسيح من قوله: «**لأجلهم أقدِّس أنا ذاتي**»؟ فما هي ذات المسيح؟ هذه الحقيقة وهذا السر الرهيب امتدَّ بنا من أول الرسالة حتى آخرها، فذات المسيح هي في الحقيقة ذاتنا الجديدة المخلوقة فيه على صورة مجده.

فالمسيح مات حقاً ليَهَبَنا ذاته الجديدة التي قدَّسها لنا على الصليب. نحن الآن ليس لنا ذات منفصلة عن المسيح، بل المسيح هو ذاتنا الجديدة. ونحن أحياء بحياته، وحياتنا الجديدة هي حياته، والمسيح حياتنا: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ»[٢].

٢٢ سبتمبر ٢٠٠٥

---

[٢] غل ٢: ٢٠.

- ٤١ -

«ما لي ولك يا امرأة، لم تأتِ ساعتي بعد»

إنجيل يوحنا ٢ : ٤

العذراء تطلب الخمر الجيد في غير أوانه، فالخمر الدون (أي العتيق) هو الذي يليق بعريس الأرض وعُرسِ الناس، أما الخمر الجيد فهو خمر السماء، هو دم ذبيحة الصليب. هكذا استعجلت العذراء زمان مرارة الصليب، فشتَّان ما بين ساعة مسرة العريس الأرضي ومدعوِّيه، وبين ساعة مسرة السماء بمرارة الصليب ومفديِّيه. ساعة المرأة حاضرة في كل زمان ومكان، وساعة المسيح تنتظرها الأرض والسماء بفارغ الصبر، وهي ساعة ينتظرها الزمان منذ أن كان زمان وإلى آخر كل زمان. هي ساعة تنتهي عندها السماء والأرض لتعطي مكاناً لسماء جديدة وأرضٍ جديدة، هي ساعة ينتهي عندها الإنسان بخلقته القديمة لتعطي مكاناً للإنسان الجديد الذي على صورة خالقه في القداسة والمجد. وشتَّان ما بين ساعة المرأة وساعة المسيح؛ كانت العذراء، بقَوْلها هذا، تتعجَّل زمان الخلاص الحقيقي ومسرته الإلهية وهي لا

تدري، فحقّق لها المسيح بالرمز ما سيحققه بالواقع، ولكن ظلّ البَوْن شاسعاً جداً بين خمرٍ ذات مذاق جيد، ودم ينزف على الصليب مع شوك ومرارة!

كانت العذراء طيِّبة غاية الطيبة، فقد أرادت أن تذيق المدعوِّين، مُسبقاً، جودة الخلاص في شبه جودة الخمر وفرح المدعوِّين، فلا تلوموها، يا إخوتي، فقد كانت تعيش هذا الخلاص في وجه ابنها الحبيب كل يوم وكل ساعة.

ولكن يسوع لم يشأْ أن يردَّ طلب أمه، فحوَّل لهم ماء التطهير، وكان يملأ ستة أجران، إلى خمر، فبمجرد أن ملأوها ماءً واستقوا، تحوَّل الماء إلى خمر جيد أذهل رئيس المتَّكأ. هنا لا يفوت علينا المعنى السرِّي جداً لتحويل ماء التطهير المُعدِّ للتطهير طيلة أيام الأسبوع، لكل يوم جرن خاص، إلى خمر جيد، الذي يحمل معنى قوة تطهير الدم. حسب رؤيتنا السابقة فإن الخمر الجيدة في الساعة التي أشار إليها أنها ساعته، ستكون هي دم الصليب الذي تمَّ به تطهير الإنسان، كل إنسان، وفي كل زمان. هكذا استجاب المسيح لطلب العذراء ولكن على المستوى الذي يليق به، فخمر العريس الحقيقي كان دمه. أما قول الشاربين منه أنه خمر جيد، فتمييز عن خمر الناس، وإشارة خفيَّة عن سعادة

الإنسان بخلاصه الذي سيكون.

أما قولهم عن الخمر الدون الذي قدَّمه لهم العريس في البدء، فهو تعبير عن سخط الإنسان على ماضي الخطية التي أَسكَرهم بها الشيطان وهم لاهون!!

عجيب، يا إخوتي، إنجيل عرس قانا الجليل، فهو مملوء إشارات وأسراراً، وأعظم أسراره هو ظهور المسيح كعريس حقيقي وتحويله مستلزمات العرس إلى حقائق إلهية تكشف عن مدى الأسرار التي تحيط بالإنجيل.

ولا يفوتنا، يا إخوة، أن نشكر العذراء التي كشفت لنا سرَّ الخمر الجيد، الذي أصبح عماد كل قداس وكل تقديس، فالكنيسة حاضرة دائماً في ذهن الإنجيل.

٢٣ سبتمبر ٢٠٠٥



– ٤٢ –

«يا سمعان بن يونا أتحبني؟»

إنجيل يوحنا ٢١: ١٥

من أنت، يا سيد، الذي تطلب محبة أولادك وتلاميذك، لم نسمع بهذا قط، لم يَقُلْها فيلسوف ولا ملك ولا عظيم قط؟ فمن أنت، يا سيدي، الذي تطلب حبنا ووِدَّنا؟ أأنت الإله ابن الإله؟ أأنت عظيم السموات والأرض؟ أأنت ملك الدهور وسيد الكون كله؟ من أنت، يا سيدي، لأني احترتُ جداً، أتطلب حبَّ إنسان وأنت خالق البشرية كلها، وكلها تدين بعبوديتها لك؟ ثم هل تطلب وِدَّ من خانك وأَقْسمَ بين الخادمات أنه لا يعرفك؟ ولما ضيَّقوا على كذبه أخذ يحلف ويشتم؟ لو كان سؤالك هذا قبل الصليب لما اندهشنا، ولكن بعد أن قُمتَ ودُفِعَ ليدك كل ما في السموات والأرض! أنت الذي تخدمك الملائكة وتقشعرُّ أمامك رؤساء الملائكة، تطلب ودَّ عبيدك؟

يا لتعطُّفاتك الجزيلة على ضعفنا وهواننا! أيها القارئ العزيز، أنظر أنت ما أنت، أكاذبٌ أم سارقٌ أو حالفٌ بالباطل، أم

ضاربٌ أم شاتمٌ أم مُخاصمٌ بلا سبب، أنظرْ ولا تَخفْ ولا ترتاب أبداً فهو يطلب حبك!!!

أيها القارئ العزيز، هل خُنْتَ الرب؟ هل أقسمتَ به كذباً؟ هل كفرتَ به وطلبتَ وِدَّ الشيطان؟ هل نسيتَ كل مواعيده وأهملتَ إنجيلَه وصادقتَ السكِّيرين وعشقتَ الزواني؟ اطمئن جداً فهو لا يزال يطلب ودَّك، حقاً بالحقيقة، فهو يطلب حبَّ بطرس بعد أن خانه أمام جارية!!!

يا سيدي، أنا متحيِّرٌ في حبك، هل هو حب إنسان لإنسان؟ أم هو إلهٌ تعالى فوق السماوات. هل تريد حبَّ بطرس ولا تحبني؟ أنا خُنتُك كخيانة بطرس، فهل تَحبسُ حبك عني؟

يا إله السماوات والأرض، أنا أُحبُّك، أحبك أحبك أحبك، فهل تحبني؟ إن عاداني كل الناس؛ إن عاداني الدهر بكل مصائبه فلن يهمَّني شيء. شيءٌ واحدٌ أطلبه، حُبُّك، فهل تحبُّني؟

لو أحببتَني فسوف أفتخر على كل الناس وكل عظماء الدنيا، ولن أطلبَ، بعد حبك، حبَّ أي إنسان في الوجود، حتى ولو كان أبي وأمي وأخي وأختي، لأن حبك سيملأ عليَّ الدنيا ويملأ عليَّ السماء وكل جندها. سأجلس بين صفوف قديسيك

وأنبيائك وأرفع صوتي أمامهم جميعاً وأقول إنك تحبني.

إن كانت الدنيا قد كشَّرت عن أنيابها عليَّ، وإنْ خسرتُ كل أموالي، وخسرتُ كل أحبَّائي وأصدقائي، وعاداني أبي وأمي وأنكر معرفتي كل أبنائي، ثم فُزْت بحبك وحدك، أكون قد غلبتُ الدنيا وكل الناس.

والآن، لئلا أتوه في حب الله، أسألك يا قارئي العزيز، أتحبُّ الرب؟

إني، مثلك، آخذ لسانَ بطرس وأردُّ على الرب قائلاً: «يا رب أنت تعلم أني أُحبك» (يو ٢١: ١٥).

أحبك يا رب حُبَّين: حبّاً لأنك أحببتني، وحبّاً لأنك أهل لذلك.

وأخيراً أتوسل إليك ربي، أن لا تحاسبني على طول لساني، وآخذ بطرس شفيعاً لي لديك.

٢٤ سبتمبر ٢٠٠٥

- ٤٣ -

«إن آمنتِ ترين مجد الله»

إنجيل يوحنا ١١: ٤٠

انتبه أيها القارئ السعيد، فنحن هنا أمـــام مـــدخلٍ جديـــد للاهوت! ولكي ينجلي أمام القارئ هذا المدخل السرِّيّ، يلزم أنْ يُعْرَف أن المسيح هو الذي يقولها!

فمجد الله صار رؤيا، والرؤيا تفيد الاستعلان. والرؤيـــا لأي شيء؟ للقيامة العتيدة أن تبدأ بقيامة لعازر من الأموات بعـــد أن أنتن في القبر أربعة أيام.

والعجيب أن مرثا تردُّ متعجِّلةً: «أنا قد آمنتُ أنك أنت المسيح ابن الله»[1]! ولكن تخطَّى الرب إيمانها الأوَّلي والأساسي أنه يسوع المسيح ابن الله بأن أضاف إنَّ أخاكَ سيقوم من بين الأمـــوات! فقَبلَت المرأة ، ولكنها انتظرت! انتظرت التحقيق على يد المسيح، فكان!!!

أمَّا المهم، أيها القارئ العزيز، فهو أن نستخلص من هذا مـــا

[1] يو ١١: ٢٧.

ننشده هنا اليوم وهو أن الإيمان رؤيا، نعم رؤيا!! ولكي أُقرِّبها إلى ذهنك الصاحي أقول، كمن يقول: "إن لم أَرَ بعينيَّ فلن أصدق" في أمورنا العادية؛ ولكن هذا هو الإيمان عينـه إن رفعنـاه إلى مستوى الرؤية الجوهرية، والرؤيا الجوهرية هي عينها الله ذاته.

فالإيمان الحق هو رؤيا الحق، والحق الوحيد هو الله. والأمـر تحصيل حاصل، فإن رأيتَ الله تكون قد آمنتَ بالله؛ هنا يلـزم بالضرورة أن يكون الإيمان بالله رؤيا[٢]. ولكن على أي أساس؟ إن إيمان مرثا يقينيٌّ يقوم على إيمانها الصادق أن المسيح سيُقيم أخاها من الموت، أو بمعنى أكبر وأعمّ، أن الله يقيم من بين الأمـوات. فالمسيح هنا يتكلم من واقع حاله، فقد قال، وقد تم ما قال، إنه سيقوم من الموت في اليوم الثالث، الذي تمَّ على يديِّ مرثا في أمر لعازر. لقد رأت مرثا بعينيها أن أخاها قام من بين الأموات بعد أربعة أيام مدفوناً في قبرٍ!! إذن فالمسيح لم يكلِّف مرثا برؤيا مجد الله على أساس أنها سترى بعينيِّ رأسها القيامة من بين الأموات.

والقيامة من بين الأموات كما عرَّفنا الإنجيل أنها بمجـد الله، فالمسيح قام من بين الأموات بمجـد الله،[٣] فاسـتُعلِن مجـد الله

---

[٢] أنظر عب ١١: ٢٧ «كأنه يرى من لا يُرى».

[٣] انظر رو ٦: ٤ «كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب».

للإنسان علناً؛ وليس ذلك فقط، فنحن نعلم علم الإيمان واليقين أن المسيح مات بالجسد، وعلمنا علم اليقين والإيمان أن الكنيسة، أو نحن، جسده؛ فقد مُتْنا مع المسيح حقاً وبالحقيقة، وقد قُمْنا بقيامته أيضاً حقاً وبالحقيقة؛ فنحن نكون بذلك نحيا بقيامته. فإن كنا نحيا القيامة بمجد الله وقوته، أفلا تكون هذه القيامة أو الإيمان بالقيامة رؤية حقيقية وجوهرية بالفعل. ولكن احذر، إن الرؤية الجوهرية لا تُرى بالعين لأنها رؤيا الحق، والحق لا يُرى بالعين!

هنا نبلغ إلى العنوان «إن آمنتِ ترين مجد الله»، وكان المسيح صادقاً جداً لأن مرثا فعلاً رأت القيامة بعينها فآمنت بقلبها، فتحولت رؤيا العين إلى رؤيا جوهرية، لأن مرثا حينما عاشت القيامة مع أخيها، إنما عاشت الحق بالحق، فبلغت قمة الرؤيا لمجد الله!!

٢٥ سبتمبر ٢٠٠٥

- ٤٤ -

«اَذهبي ولا تُخطئي أيضاً»

إنجيل يوحنا ٨ : ١١

في قصة المرأة الزانية نرى البشرية واقفة أمام الرب وهي ممسوكة بالخطية؛ والعجب أن ينظر الناس إلى أنفسهم كأنهم أبرار غير خطاة طالما لم ينكشف أمرهم، لذلك فالمسيح هنا لا يخاطب المرأة المسكينة التي أُمسِكت في الخطية، إنما هو في الحقيقة وعين الواقع يخاطب البشرية المكشوف أمرها أمام عينيه؛ ولأنه يراها من خلف الصليب فيعطيها الحلّ بالذهاب مغفورة الخطية سابقاً ولاحقاً، يعطيها الغفران لا عَطفاً على حالها، ولا مِنَّةً من ملك المجد، ولكن من صُلْبِ آلامه المفزِعة من جرَّاء المَسامير المدقوقة بها يداه ورجلاه على خشبة الصليب.

هذه حقيقة إلهية، يا إخوة، أن المسيح يغفر الخطية للإنسان لا تلطُّفاً منه، ولا من فضلة قوَّته وجبروته، بل من جرَّاء ذلَّة نفسٍ انحطَّت إلى الحضيض. فالخطية هي الجبارة والمستبدة التي كسرت نفسه على الصليب، وأنزلته إلى تراب القبر مقهوراً من ظُلْمها

واستبدادها. فالخطية، يا صديقي، هزمت - بالتدبير - عظمة إله السماء والأرض وأنزلته إلى الهاوية، و لم يتخلّص من فخِّهـــا إلاّ بمرارة المُرِّ ووجع الموت. ولولا قوة الآب ما خرج المسيح مـــن ظلمة القبر، فالمسيح انتصر على الصليب والقبر بقوة مجد الآب، وقام بعد أن قهرته - بالتدبير - خطية الإنسان وأذاقته عـــذاب الصَلْبِ ودفنِ القبر، فلم يقهر الموتَ إلاّ مجدُ الآب!!! بعد صراخ شديد ودموع، وإن كان سُمع له من الآب فمن أجل تقواه[1]!!، وهنا دخلت دالة الابن لدى الآب كوسيط وحيد، لولاه ما قام المسيح من القبر، فالمسيح قام من الأموات بمجد الآب ودالة بنوَّته كإله.

يا إخوة، لا تستهينوا بالخطية، فهي التي صلبت المسيح، وأذاقته مرارة الموت ودفن القبر.

ولماذا تُغفر الخطية بالاعتراف، فهي تماماً تماماً كالزانيـــة الــــتي أُمسكت في ذات الفعل، و لم ينقذها من جهالة الإنسان وحُكم الموت بالرجم، إلاّ توسُّط المسيح، وظَهْرُه مسنود على الصليب، فخطية الإنسان تُغفَر له بتوسط وضع الخطية على خشبة الصليب حيث اضمحلّت. لأن أكبر عدو قاتل للخطية هو صليب المسيح،

[1] أنظر عب٥: ٧.

وكذلك مَنْ يتمسَّك به!

فإن كانت الخطية قد استلزمت إخلاء المسيح ملك المجد لذاته وارتفاعه على خشبة الصليب، وألزمته القبر ثلاثة أيام، فلا يعود أحد يستهين بفظاعة الخطية. لذلك أصبح صليب الآلام والذلّة ملجأنا الوحيد الذي نجري إليه من وجه الخطية ونتمنَّع!

كما أُذكِّركم، يا إخوة، بقانون الكنيسة الحتمي الذي استلَمَته من يد المصلوب بحتمية الاعتراف بالخطية، لأن الاعتراف بالخطية هو بمثابة تعليق الخطية على مسامير الصليب، فالاعتراف بالخطية هو اعتراف بصليب المسيح وموته، ومن ليس له موت الصليب ليس له قيامة.

٢٥ سبتمبر ٢٠٠٥



- ٤٥ -

«ينبغي أن تُولَدوا من فوق»

إنجيل يوحنا ٣: ٧

وفي أصل اللغة تأتي كلمة "ينبغي" بمعنى "يلزم أو يتحتَّم" must. فالمسيح يُكلّم هنا بني الملكوت، أبناء الله الحيّ، الذين جاء المسيح ليخلقهم خصيصاً لميراث السماء. فحتمية الميلاد من فوق تفرضها حياتنا الأبدية فَوْق. والمسيح يُبَسِّط علينا سرَّ ميلاده الرهيب الأزلي، فهو مولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق. ففي هذا القالب العالي جداً والمخيف جداً وغير المدرَك ولا موصوف قط، يستخلص لنا من ذاته القدوسة جداً والسرية جداً، ميلاداً جديداً يليق به أن نُدْعَى أولاد الله وإخوة الرب، لنحيا بحياته وننعم معه بسرٍّ أبيه الخفي في بيته السماوي العالي عن الوصف.

لذلك لا يَخفى عن القارئ أن الميلاد الإلهي الجديد من فوق هو من لمسات الآب ونفحة الابن وأشابين الملائكة كلها ورؤساء الملائكة وكل الطغمات السماوية، لأن خليقتنا الجديدة ستلتصق

بكل الخلائق السمائية التي ستعمل معاً لحساب خلقتنا الجديدة بين مُعِين وحارس ومُهلِّل، لأن خلْقتنا الروحية الجديدة ستدخل الزمرة السماوية عن جدارة، فالله أبوها والمسيح الابن أخوها. لذلك لا نُغالي، يا إخوة، إن قلتُ لكم إننا فوقَ سنصير بشبه آلهة[1]، لا كما نرى أنفسنا، بل كما يرانا خُدَّام ملكوت الله؛ وحُجَّتي معي، فنحن سنكون مشابهين لصورة الابن في كل شيء، والله نفسه محسوب "أبانا"، وهيئتنا سماوية مائة بالمائة، ويضمنا معاً بيت الآب.

لذلك أعود فأقول لكم، لا تستهينوا بقول المسيح «يلزم أن تُولَدوا من فوق». والإنجيل شاهد بما أقول، فهو ينص أنه إذا أُظهِر المسيح سنُظهَر معه[2] و«نكون مثله لأننا سنراه كما هو»[3]، بمعنى أننا سنرى حقيقة قُربه منا وقُربنا منه صورةً وهيئة طبق الأصلِ[4]، صناعةُ الآب بروحه القدوس. ويَستعلِن لنا المسيح أمراً مذهلاً، إذ يقول موجهاً الكلام للآب، وهو في الحقيقة إعلان

---

[1] أنظر يو ١٠: ٣٤، ٣٥.

[2] أنظر كو ٣: ٤.

[3] ١يو ٣: ٢.

[4] «عيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين» (رو٨: ٢٩).

لنا: «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مُكَمَّلين إلى واحد»[٥]، يا للسرِّ، وعليك أن تصدِّق أننا فَوْق سنكون بشبه آلهة[٦]، وسنكون ضمن مصافِّهم في المجد، لأن مجد الآب سيضُمُّنا.

والعجيب جداً أن بعد هذا التحليق السماوي ومعاشرة الآب والابن كآلهة بالنعمة[٧]، يعود المسيح ويضع نموذجاً عملياً سِرِّياً إعجازياً لكيفية ميلاد الإنسان من فوق، وذلك بتأسيس سَرِّ المعمودية الرهيب الذي به نمارس بالفعل موت المسيح ودفنه ثلاث مرات تحت الماء، ثم نقوم بنفخة الروح القدس، نتقبَّل روح الإنسان الجديد الذي نُقدِّسه مباشرة بالتناول من جسد الرب ودمه؛ أمور لا يَستعلِنها إلاَّ الروحيون، ويعيشها المؤمنون على رجاء ميلاد السماء.

فكل من تعمَّد بمعمودية الماء والروح، يتهيَّأ للميلاد السرِّي السماوي الذي لن يُستعلَن إلاَّ باستعلان المسيح!

٢٦ سبتمبر ٢٠٠٥

---

[٥] يو ١٧: ٢٣.

[٦] أنظر ٢بط ١: ٤.

[٧] أنظر يو ١٠: ٣٤،٣٥.

«أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني»

إنجيل يوحنا ١٧: ٢٢

اسمعوا أيها الأصدقاء، اسمعوا وَعُوا. إذ لم يقتصر الأمر أن نكون شركاء موته وشركاء قيامته وشركاء جلوسه عن يمين الآب! وما هو المجد؟

يقول سفر العبرانيين: «الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء»[١] أي وارثاً للآب في مجده وملكوته ولاهوته. ثم يصف سفر العبرانيين المسيح وصفاً جوهرياً فائقاً على كل مستوى مهما عظُم وارتفع، إذ يقول: «الذي به أيضاً عمل العالمين (أي عالم السماء بأمجاده وملائكته وسلاطينه وعالم الأرض)؛ الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره»[٢]. وما معنى "بهاء مجد الآب"؟؟ فالبهاء هو النور الساطع الذي لا تقوَى على التحديق فيه عينُ بشر أو ملاك، الذي ينفذ في الخليقة النورانية

---

[١] عب ١: ١،٢.

[٢] عب ١: ٢،٣.

السماوية فيجعلها شفافة لا تُرى إلاَّ بعين الله. هذا هو بهاء مجد المسيح أيضاً المنبعث من بهاء مجد الآب، شيء لا يسوغ لنا نحن البشر أن نتأمَّله، وإلاَّ نُصابُ بالعَمَى. فبهاء مجد الآب والمسيح هو حِكْرٌ على من يرتاد السماء العُلا، التي لا يَلِجُها بشر إلاَّ إذا غطَّى اللهُ عينيه كما فعل مع موسى.

فأنظر، أيها القارئ، وتعجَّب، أن المسيح لا يعطينا جسده فحسب، بل ويهبنا هالة مجده الخاص الذي تتوارى منه الملائكة. والعجيب أن معنى أن المسيح يعطينا مجده الذي له، فهذا يجعلنا فوق الخليقة كلها في السماء وعلى الأرض، وهذا سرُّ قول المسيح أن نكون معه والآب واحداً[٣].

فالمجد سيُظلِّلنا، يا إخوة، وأي مجد؟ مجد اللاهوت، الذي اختارنا الآب أن نكون فيه حسب مسرة نفسه التي قصدها لنا منذ الأزل[٤]. أنا عالم أنه عسير علينا أن نتصوَّر ذلك فينا، لأننا لا زلنا لابسين التراب وصانعي خطية! ولكن ماذا نعمل وسهم الله البارق الحامل نيَّات الله الفائقة أَمْسى يخترق الدهور والأجيال والأزل، ليحطَّ فوق رأس الإنسان، الذي جعله الشيطان غريماً له.

---

٣ أنظر يو ١٧: ٢١.

٤ أنظر أف ١: ٦-٩.

فكون الله يُشرِكنا، في مشيئته الأزلية، أن نكون على صورة مجده في البر والقداسة والحق، جعلنا ودون أن نخوض أية معركة مع العدو، غالبين ظُلْمَه واستبداده، وراكبين فوق رأسه وهو مذلول تحت أرجلنا.

فلا ننسَ، أيها الإخوة، أنَّ نصيبنا في مجد المسيح والآب هو النصيب المقابل والمعادل العكسي لإذلال خليقة الإنسان منذ الدهر تحت عنفوان الشيطان الذي لا يرحم.

فكون المسيح يَهَبنا مجده الذي له من الآب، فهذا بمثابة مسح الدموع من عين الإنسان التي سكبتها دهوراً بأكملها ولا مُغيث! لقد وَهَبَنا الشيطان الخطية والعار والدمار، والضعف والهوان، ودسَّنا تحت التراب دهوراً بأجمعها وليس من يرثي!! ولكن في المقابل أرسل الله ابنه ليرفع الإنسان من ذلَّة الخطية والعار، ويُسكننا السماء بعد أن أسكننا الشيطانُ الأرض تحت التراب. وفوق الكل، وبالرغم من الكل، وهبنا الله المجد الذي له.

وهكذا كَفْكَفَ المسيح دموعنا، وعِوَضَ الخطية والعار والهوان، وهبنا مجده الذي له.

٢٦ سبتمبر ٢٠٠٥

- ٤٧ -
أنظـــــــروا إلـــيَّ

سرٌّ من أسرار استعلان قوة الله الخفية، أعلنها الله قديماً للشعب الراحل من مصر متغرِّباً في صحراء مخيفة. كان موقفاً في غايـــة الحرج لموسى، لمَّا حطَّ الشعب السائر ليلاً ونهاراً في وديان وقفار لم تطرقها قدم سابقاً، إذ خرجت عليهم حيَّات، يصفها الكتاب المقدس أنها حيَّات محرقة[١]، دلالة على أنها شديدة الفتك والإيذاء. فصرخ الشعب لموسى، لأن الوفيَّات كانت بالجملـــة. فصـــرخ موسى بدوره للرب أن ينقذ شعبه، فأمر الله أن يصنع حيَّة مـــن نحاس مثل تلك الحيَّات ويعلِّقها على صاري. وأمر الرب أمـــره السرِّي العجيب الذي لا يزال يرنُّ في آذاننا، أن كل من تلدغـــه الحية يرفع نظره إلى الحية النحاسية فيُشفَى في الحال. ولا يخفـــى على القارئ المعنى الخفي للرمز، أن الحيّة كانت ترمز إلى الـــرب يسوع القادم ليسحق رأس الحية إنما في سرِّ الصليب الذي هـــو صارية خلاصنا الآن.

---

[١] عد ٢١: ٤-٩.

فالحية النحاسية هي رمز للحيَّة القديمة لوياثان، التي أوقعت حوَّاء وآدم في عصيان الله، فكانت لدغتها مميتة، إذ تركت في طبيعة حوَّاء وآدم وفي نسلهما فيما بعد "چين" الخطية التي دخلت كعنصر غريب قتَّال للناس، كل الناس، يتوارثه الأبناء عن الآباء بلا استثناء. وهكذا رُفِعَت قضية الإنسان برُمَّتها أمام الله. فلما أزمع الله أن يعتق الإنسان من لدغة الحيَّة القديمة، أي لوياثان، والمدعو الشيطان، أي من الخطية التي هي لدغة الحية التي بلا شفاء، والتي هي هي الخطية في مفهومها كإفراز "چين" الشيطان الذي يسمم به الطبيعة البشرية برُمَّتها، فكانت عملية إرسال ابنه القدوس ليولد من عذراء قديسة، التي كانت قد تصنَّفت من كل جنس البشرية، ليجري الله فيها عملية تقديس وتطهير فائق للعادة. وإذ لم يكن قد لمسها بشر، اختارها الله لينفخ في أحشائها جنينها الإلهي بالروح القدس، فحملت تسعة أشهر، وولدت ابناً هو في الحقيقة ابن الله وقدوسه الفريد في القداسة. وهكذا دعا المسيح نفسه «ابن الإنسان»، وهو في حقيقته وجوهره ابن الله.

وأجرى الله فيه، وهو القدوس بن القدوس، أن يَحمل حملاً إرادياً، وليس طبيعياً، لدغة الحيَّة، أي يحمل خطية البشرية كلها

وبلا استثناء، حملها المسيح في جسده بعد تمنُّع شديد، بل وصراخ ودموع أمام الآب والناس ليعفيه الله من شرب كـــأس خطيـــة الإنسان المسموم. فتمَّم أن يموت وهو الإله الحيُّ الذي لا يموت، فكان موته بالجسد كفّارياً، ليس عن نفسه، بل عن عامة الإنسان كله، كل خطاة الأرض بلا استثناء. مات المســيح و"چــين" الخطية، بل وكل الخطايا، في جسده، فمات المســيح بالجســد وأمات بموته "چين" الخطية، وأفناه إفناءً، ولمّا أكمل واجبــات الموت وسحق أصوله وفروعه، قام من بين الأموات بمجد الآب، فقام الجسد خالياً من رائحة الموت، فأصبح الجسد المُقَــام هــو جسد البشرية كلها مطهَّرة ومقدسة.

عَوْدٌ على ذي بدء. كما كانت الحيَّة النحاسـية في عصــرها الغابر مصدر شفاء في الحال إن نظر إليها الذي تلدغــه الحيَّــة! هكذا نأتي هنا إلي أصل الرمز وقوته الجبَّارة، فالمسيح وهو مُعلَّق على صارية الصليب، وهو قاتل "چين" الخطيــة في جســده، أعطى من قُوَّته ولاهوته وقُدسيته لكل من ينظر إليه، وهو في أية ضيقة أَحكَمَها له العدو، أن يحتضنه بروحه ويعزله عن الشيطان في الحال.

فأصبح هذا ملجأ الإنسان الوحيد إن أحاط به العدو ليفترسه.

وهذا ما حدث في أيامنا وسمعنا به سمع الأُذن، وصاحبة القصة هي فيبي حينما انطلقت وراءها قوة البوليس قصداً منهم وتكليفاً أن يذبحوها، كانت تجري يميناً وشمالاً وهي مذعورة، وإذا بالمسيح يظهر لها ويقول لها بالحرف الواحد: "لا تخافي، أنظري إليّ"، ونظرت، فنجت نجاةً إعجازيةً يتحدث بها العامة والخاصة.

٢٨ سبتمبر ٢٠٠٥



- ٤٨ -

«وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل»

إنجيل يوحنا ١٠: ١٠

عاش الإنسان موته منذ آدم إلى آخر عصور الظلام؛ لا ينعاه ناعٍ، ولا يذرف أحدٌ عليه دمعة. تزاحمت عليه القبور، ورُبَّ قبر صار قبراً مراراً، ضاحكاً من تزاحم الأضداد. ومهما هَيَّأت القبور من الخارج، فما زالت تحمل العظام المنتنة وكل نجاسة. وسيّانٌ أكان صاحبها ملكاً أو صعلوكاً، فالكل أمام الموت خاضعٌ ذليل، وسيرة الموت تعلو فوق سيرة. وهكذا ورث آدم عنِ الشيطان شوكة الموت التي انتقلت من جيل إلى جيل، إلى أن رنَّ صوت جند الملائكة من علوِّ السماء، هاتفين بالمجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وفي الناس السرور[1]. وكان السرُّ في هذا الهتاف الملائكي هو ميلاد المخلِّص للإنسان، هو المسيح الرب من السماء في مذود بقر.

ونادى منادٍ من السماء أخيراً، أن استيقظ أيها الإنسان وقُمْ

[1] لو ٢: ١٤.

من الأموات فيضيء لك المسيح[٢]. ورنَّ الصوت عبر الأيام السعيدة: أنْ صار للإنسان حياةٌ جديدة وقبولٌ في السماء. وارتعشت العظام في القبور استعداداً لقيامة إلهية سيجوزها الإنسان في المسيح. وإن كان الموت قد عتَّق في العظام النَخِرَة وبلاها بلاءً، فلا تزال تنتظرها قيامة مظفَّرة بمجد سماوي تهتف لها السموات. فالآتي قَرُبَ مجيئُه مع تهليلٍ وفرحٍ يملأ السماء والأرض. فالأرض ستُخرج موتاها، والبحار والقفار وأركان العالم كله ستقدِّم موتاها، لأن الأمر قد صدر لقيامة الإنسان بمجد وجلال.

أيها الآتي تعالَ، تعال سريعاً، فنحن على أتمّ استعداد للقيام. ويأتي الآتي من السماء وجيوش القديسين تتبعه[٣] لتستقبله النفوس الفرحة والمكلَّلة بالمجد، مجد القيامة، العتيدة أن تكون سريعاً جداً.

فقد أتى المسيح حياتنا ليهبَنَا قيامة غير منظورة، لنذوق فيه ومعه أفضل ما أَعدَّ لمختاريه.

فحياتنا العتيدة أن تكون في ملكوته نذوقها الآن بالرمز والتشبيه. فملكوت الله كائن في داخلنا، نستعلنه بقدر ما يشاء

---

٢ أف ٥: ١٤.

٣ أنظر مت ٢٥: ٣١ ويه ١٤.

الله من أجل حياة أفضل في نور نعمته، والمسيح ينادينا من فوق: «لاتخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت»[٤]. فأعضاء بيت الله قد أُعِدَّ لهم أفضل ما في الحياة والخلود. لهذا، ومن أجل هذا، جاء المسيح ليُعدَّ لهم أعظم نصيب!

ونصيبنا، أيها الإخوة، في حياة المسيح نعيشه هنا بالروح، لأنه سماويٌّ هو، وليس من الأرض في شيء. فالمدينة التي أعدَّها المسيح لمختاريه تتلألأ في السماء، ولا نرى الآن إلاَّ ظلَّها على الأرض. وأرواح القديسين الذين فيها تُطلُّ علينا من فوق فتُنعش نفوسنا، يحثُّوننا على الصبر، فالزمن قريب والمسيح الآن ملء حياتنا، أو نحن نحيا ملْئَه سيَّان، استعداداً لظهورنا بظهوره، لأننا واثقون أننا سنكون مثله[٥]، يغطِّينا مجده. فأيَّةَ حياة فُضلَى هذه التي نحياها؛ فإن كان العربون الآن هكذا ثميناً وأخَّاذاً فماذا سيكون العطاء الأخير؟ فإن كنا قد ربحنا الآن حياة الفَضْل السرِّي، فماذا سيكون فَضْلُ المسيح علينا عند اللُّقيا الأخيرة. وفضل المسيح علينا فَضْلان؛ فضلٌ نستنفده الآن ونحن متغربون عن موطننا

---

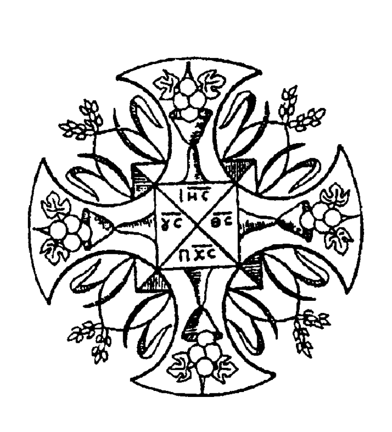
[٤] لو ١٢: ٣٢.

[٥] أنظر كو ٣: ٤؛ ١يو ٣: ٢.

السعيد، وفضلٌ باقٍ لنا مدى الأبدية. نعم لقد جاء المسيح ليعطينا حياة ويعطينا أفضلً.

فافرحوا، يا إخوة، فرحاً، فنصيبنا أفضل نصيب، لن ينــزعه منا مُنازع.

٢٩ سبتمبر ٢٠٠٥



- ٤٩ -

«أنا هو نور العالم»

إنجيل يوحنا ٨: ١٢

من خصائص النور أنه يضيء في الظلمة، فإذا وُجِد النور تبددت الظلمة. إذ يستحيل أن يوجد النور وتوجد الظلمة معاً. هذه ناحية خفيَّة في قول المسيح أنه نور العالم، معناه أن بمجيء المسيح اختفت الظلمة من العالم إلى الأبد، كما اختفت معها كل أعمال الظلمة.

والكناية هنا عميقة للغاية. فالمسيح هنا، وبقوله أنه هو نور العالم معناه المباشر أنه جاء ليسحق الشيطان، المَكْنِيَّ عنه بسلطان الظلمة. كما يشير إشارة نهائية وأبدية أن المسيح جاء ليسحق كل أعمال الشيطان الذي كان قد فرضها على العالم. كما أن الموتى في القبور يمثلون عالم الظلمة. فكان همُّ المسيح الأول أن يبدد عالم الموت والموتى، فأضاء بقيامته الحياة، وبدَّد الموت، وأقام بقيامته موتى القبور. وكانت قيامة لعازر من الموت هي التوطئة الأولى لإظهار سلطان المسيح على الموت والموتى. وكان

صوت المسيح الذي جلجل الأرض بأن: "لعازر قُمْ"، هو صوت البشارة المفرحة لكل موتى القبور والدهور، أنه لن يكون موت ولا موتى فيما بعد، فرئيس الحياة ملَكَ، وامتدَّ مُلْكُه إلى أبد الآباد.

وليلاحظ القارئ اللبيب أن النور والحياة هما أفضل خصائص طبيعة المسيح، فالمسيح الذي قال «أنا هو نور الحياة»[1]، هو هو القيامة بأمجادها. وإن قال قائل إننا نحن إلى الآن نموت ونذوق ظلمة القبر، فليتأكّد القارئ أنه موت لقيامة، وظلمة يعقبها نور الحياة الأبدية. فنحن لا زلنا نحمل آثار الخطية ننفضها عنا بالموت. ونجوز مرارتها في ظلمة القبر. فليدرك القارئ أن المسيح دفع ثمن الخطية كلها على الصليب والقبر، ليبلغ بنا إلى قيامة ظافرة أبدية. ونحن إن كنا سنموت، فسيظل المسيح حياتنا، وإن دخلنا ظلمة القبر فالمسيح نور حياتنا الأبدية. فنحن نجوز الموت وظلمة القبر مع المسيح لنرث فيه ومعه الحياة الأبدية بنورها الذي لا ينطفئ.

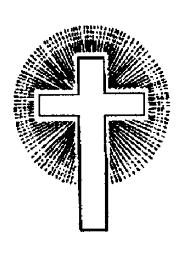
ومن خصائص النور في قول المسيح «أنا هو نور العالم»، هو نور المعرفة. وهنا نرتفع مع القارئ إلى قمة النور وقمة المعرفة،

[1] أنظر يو ٨: ١٢.

فالنور في جوهره هو المعرفة، والمعرفة في جوهرها هي الحـــق. ثم إن المعرفة ليست هي معرفة الفهم والعقل، بـــل هـــي معرفـــة الاستعلان. والحق في جوهره هو الله. إذن، فبقول المسيح «أنا هو نور العالم»[٢]، يكون قد بلغ بنا إلى عتبة بيت الله!

هذا هو المسيح، أيها القارئ العزيز، فهو حينما يقول «أنا هو نور العالم» فهو يعني أنه الباب والطريق المؤدي إلى قلب الله. من هنا نعرف أننا مدعوون إلى قبول المسيح قبولاً إلهيـــاً باعتبـــاره، حسب قول سفر العبرانيين، أنه بهاء مجد الله ورسم جوهره[٣]، أمر يملأ النفس بالبهجة والفرح والسرور الفائق. فقول المسيح «أنـــا هو نور العالم» هو بمثابة أنه يوقفنا على عتبة مقادس العليِّ.

٢٩ سبتمبر ٢٠٠٥



---

٢ يو ٨: ١٢.

٣ انظر عب ١: ٣.

- ٥٠ -

«أنا هو الطريق والحق والحياة»

إنجيل يوحنا ١٤: ٦

عندما يقول يسوع: أنا هو الطريق، يبدو لأول وهلة أنه يتكلم عن فكره وفلسفته وقيادته، وهذه التعابير هي تليق بعقولنا. ولكن الذي يراه المسيح في نفسه أن المسألة ليست تعليماً وتوجيهاً وقيادة. فسرُّ الطريق في المسيح مرعب، وعندما كشفه، صار هذا أعجب أقوال المسيح، فهو لا يختص بأي تعليم. فأمر الطريق الذي يقصده المسيح شيء، وأما الذي نوَدُّه ونودُّ أن يكون الطريق على مستوى منطق القيام والوصول كأي طريق فهذا شيء آخر. إذ يفاجئنا المسيح أن الطريق الذي يقصده هو الطريق الذي يقود الإنسان دون أي عناء منه، عقلياً أو فكرياً أو فلسفياً لأنه طريق لا تطأه قَدَمٌ، إذ يقصد المسيح أنه هو نفسه الطريق المؤدي إلى الله أبيه[1] ، أو بمعنى آخر، الطريق الذي يؤدي إلى الحق والحياة الأبدية، والذي لا يدركه عقل أو يوصف بأوصاف.

---

[1] آنظر يو ١٤: ٦.

هذا الطريق افتتحه لنا المسيح بموته بالجسد على الصليب[٢]، فإن شاركناه في هذا الموت الإرادي بالإيمان نكون عبرنا معه الحاجز الأعظم الذي يفصل الإنسان عن القيامة، وهو الموت. لأنه لمّا مات المسيح بالجسد أمات معه الخطية، ولما قام، قام بمجد الآب قاهراً الموت والخطية معاً، فكان وكنا معه خليقة جديدة تحيا بالروح وقوة الآب. معنى هذا أنه بموت المسيح بالجسد وشركتنا فيه، عَبَرَ المسيح ونحن معه من هذه الحياة التي نحياها الآن ومآلها الموت المحقق. فكان كسر الجسد على الصليب هو الطريق الحديث جداً الذي أسسه الرب بموته ليوصِّل الإنسان معه إلى يمين الآب في السماء، أي بالحري إلى الحياة الأبدية مع الله. وإذا تلفّت الإنسان إلى ماضيه وحاضره ومستقبله، ملتفتاً إلى كل الفلاسفة والعلماء، والآباء والأتقياء، يتيقّن لنا أن الطريق الذي أنشأه حياً حديثاً بموته على الصليب هو طريق ينقل الإنسان من هذا العالم بهمومه وخرافاته وآلامه وأوجاعه وأكاذيبه، وأعدائه المتربِّصين به، ينقله مرة واحدة إلى ملكوت الله وبيت الآب وعشرة الملائكة والقديسين العائشين في أعياد مسرة الآب بهم.

وهكذا ينتهي بنا الحديث إلى ذي بدء «أنا هو الطريق والحق

---

٢ أنظر عب ١٠: ٢٠.

والحياة»، ونزيد على ذلك باكتشافنا أن جسد المسيح لا زلنا نُعيِّد له في الكنيسة، فجسد المسيح ودمه على الصليب لا زلنا نُعيِّد لهما على مائدة الرب حيث نقيم تقديساً حقيقياً لجسد الرب ودمه، ونأكله مأكلاً حقّاً ونشربه مشرباً حقّاً، بمعنى أنه يستمد وجوده وتحقيقه معنا من جسد الرب النازف على الصليب. فصلب جسد المسيح وسفك دمه لم تكن حادثة من حوادث التاريخ، بل كانت استعلاناً حقيقياً سجلته السماء في أرشيفها ليبقى حيّاً نابضاً في كل العصور والأدهار، يأخذ وجوده وكيانه وحقه وحقيقته من جسد المسيح المُقام الدائم الوجود. يؤيد ذلك تأييداً قول المسيح ليلة العشاء السري أنَّه في كل مرة تأكلون جسدي وتشربون دمي تذكرون وجودي المحقق فيكم إلى أن أجيء[٣].

فهو باقٍ حيّاً بوجوده النابض ليلة العشاء إلى يوم الاستعلان الأخير.

٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥

---

[٣] أنظر ١كو١١: ٢٦.

- ٥١ -

«تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم»

إنجيل متى ١١: ٢٨

المسيح هنا يفتح بابه للذين لَفَظَتْهم الجماعات، والذين لفظوا بدورهم جميع الجماعات؛ الشاردين والمتشردين والمتسكعين في الشوارع والمقاهي والبارات وبيوت الدعارة، الذين انحرفوا عن جادَّة الطريق وخرجوا عن مألوف الناس، وأصبحوا لا يستريحون لخادم أو واعظ أو ناصح، حتى سئمت نفسهم الحياة.

إلى هؤلاء ينادي المسيح من فوق صليبه: تعالوا إليَّ، ولا تخافوا مني، لأني حامل خطاياكم في جسدي بمشيئة أبي وبمنتهى رضاي. فأية خطيئة اقترفتموها وأنا لم أحملها في جسدي؟ فأنا حاملٌ في جسدي كل زنا الزواني وكل جرائم اللصوص والقتلة، وكافة المجرمين في حق أهلهم وبيوتهم وأصدقائهم وأعدائهم سيَّان. فكل عداوة اقترفها إنسانٌ أنا أحملها برضا على جسدي. فممَّن تخافون؟ وأنا جعلت نفسي شريك كل قاتلٍ ومعتد، وكل سارق ومختلس؛ أنا أنا جعلت نفسي أخاكم في الخَطية، حملت عارها

على جسدي، ونزفت من أجلها دمي على الصليب حتى الموت. من هنا، ومن أجل أني متُّ بالخطية من أجل الخطيـــة، أقـــول: تعالوا إليَّ، ولا تخافوا، أو تخجلوا مني، فأنا أخوكم في خطاياكم، ولكني استطعتُ بدمي أن أُكفِّر عنها جميعاً من أجلكم. وافرحوا معي لأني لما متُّ بالخطية للخطية، تبرَّأتُ من عارها لأُبـــرِّركم معي، فهل تقبلون برِّي المجاني. لا أطلب أي ثمـــن لتبريـــركم، أخذتُ برِّي المجاني من أبي لما سكب مجده عليَّ فأقامني من موت الخطية وأحياني معه في مجده! وها أنا أدعوكم باسم أبي: اقبلـــوا برِّي المجاني، فأنا صرت باراً بقوة أبي مجاناً، وأعطاني برَّه لكـــي أُبرِّر به كل من يأتي إليَّ باسم أبي[1]. فهل تقبلون دعـــوتي الـــتي دفعتُ ثمنها بذَبْحي على الصليب ونزيف دمي حتى الموت؟

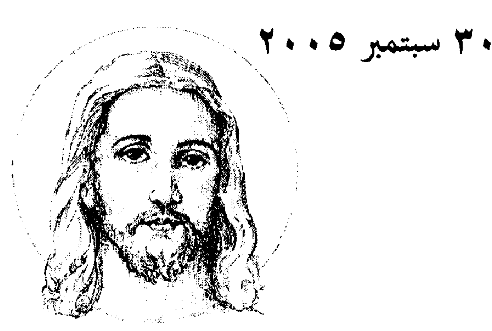
لست أطالبكم بشيء، هذا وعدي أمام أبي والملائكـــة، إنمـــا اقبلوا موتي من أجلكم لتشتركوا في مجد قيامتي بمجد الآب، فها أمامكم دعوتي، صدِّقوها، ولو أنها صعبةٌ جداً هذه النقلـــة مـــن الخطية إلى البرِّ المجاني، ومن حُكم موت أبديٍّ إلى حياة بوعـــد أبدي. هل يصدِّق أحد أن الخاطئ يصيرُ باراً، والميت يقوم ويحيا حياة الأبد؟ أنا أعلم أن الأمر جديد عليكم وصعب الفهم جداً

---

[1] أنظر رو٣: ٢٤-٢٦.

وصعب القبول جداً، ولكن أنا يسوع المسيح ابن الله «كوكب الصبح المنير»[2]، «ملك الملوك ورب الأرباب»[3]، أعاهدكم أني سأمرُّ معكم خطوة خطوة من سُمِّ الخطية إلى ترياق عدم الموت، فثقوا بي، فإن أبي أعطاني «كل سلطان في السماء وعلى الأرض»[4]، وأعطاني أن أشفي كل مريض، وأن أُحيي كل ميت، وأُبرِّر كل خاطئ، فتعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين الذين أذلهم وأذلَّتهم الخطية، تعالوا إليَّ يا ثقيلي الأحمال التي وضعها الشيطان على ظهوركم الضعيفة فأنا أنا أريحكم، هذا وعدي أمام أبي والملائكة وكل سكان السماء الذين سيفرحون معكم فرحاً لا يُنطَق به ومجيد.

٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥



تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين... وأنا أريحكم

---

[2] رؤ٢٢: ١٦.

[3] رؤ١٩: ١٦.

[4] مت٢٨: ١٨.

- ٥٢ -

«إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب، من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حيّ»

إنجيل يوحنا ٧: ٣٧،٣٨

إن كان هناك عطشٌ حقيقي إلى المسيح، وإن كان ارتواءٌ منه بالتالي فهو ارتواء حقيقي، فغاية المسيح هنا ليست هي إعطاء مجرد ماء عذب كماء العالم؛ بل هي عنصر حياة سرِّي ألبسه المسيح ثوب الماء العادي حتى يصل إلى غرضه في توصيل أعظم حقيقة روحية في الوجود الروحي.

فكما أن الماء في الأرض عنصر هام جداً، القلّة منه تُحدث عطشاً جسدياً، هكذا الماء الحيّ الذي يتكلم عنَه المسيح، فهو عنصر الحياة الروحية؛ فإن قلّ معدله في حياة الإنسان، جفّت روحه وانصدّت عن الله وعن ما هو لله. وإن ارتوى الإنسان بروحه حقاً من ماء الحياة الذي يعطيه المسيح، يفتح فاه فتخرج منه أنهارٌ من كلام الحياة المُحيي، قادر أن يُعزِّي ويفرِّح ويروي العطشان إلى الحق، لأن ماء الحياة الأبدية هو "حق".

وعدم الارتواء من الحق هو حالة ابتعاد إرادي عن مصدر

الخلاص، حيث تجف الروح ولا تعود تجد مسـرة في حـديث المسيح وأعماله. لهذا، ومن أجل هذا، يقول المسيح هنـا: «إن عطش أحد فليُقْبل إليّ ويشرب». ولينتبه القـارئ أن عمليـة الشرب هنا هي تعبير عن بلوغ حالة الإيمان الحقيقي. وعلامـة الإيمان الحقيقي بالمسيح، هو ما يصدر عن النفس مـن شـهادة وبلوغ حالة فرح حقيقي يجذب إليه الناس. ويعتبر المسـيح أن الإنسان الذي يرتوي بالإيمان لا يكف عن الشهادة للمسـيح، وكأنها أنهار ماء حيٍّ متدفقة تُعزّي الآخرين.

أما المناسبة التي قال المسيح فيها هذه الآية، فكانت اللحظة التي يضرب فيها رئيس الكهنة الجرَّة الفضِّية التي تحمل ماءً لـذكرى انسكاب الماء من الصخرة التي كانت تتبع الشـعب السـائر في القفار، حيث كان موسى يضرب الصخرة فيخرج منها ماءٌ غزيرٌ يكفي الشعب كله. وكانت الصخرة تتبع الشـعب السـائر في البرية، وكانت الصخرة هي المسيح حسب قول الكتاب[1]. ففـي لحظة ضرب الجرَّة الفضية المملوءة بالماء على المذبح كان يخـرج منها الماء، فكانت ذكرى مبدعة لتسَحُّر الشـعب في الـبراري وحفظ المسيح لهم وإروائهم بالماء. في هذه اللحظة رفع المسـيح صوته «إن عطش أحد فليُقبل إليّ ويشرب»، تعبيراً عن مجـيء

---

[1] ١كو ١٠: ٤.

العهد الجديد الذي يقود فيه المسيح وليس موسى الشعب. كما يستعلن المسيح هنا "سرّ" الصخرة التي كانت تتبع الشعب لإروائه في كل سنين التيه. وهنا يعبِّر المسيح بالماء الحيّ عن الإيمان بالخلاص العتيد أن يملأ حياة الشعب ويرويهم بالحق. ولا يفوتنا هنا لفتة كريمة لفت بها يوحنا الرسول أنظارنا إليها، عندما قال إنَّه عندما طعن الجندي جنب المسيح بالحربة «خرج دم وماء»[٢]، تعبيراً عن مصدر الحياة الأبدية التي استُعلنت بصليب المسيح. فالماء تعبيرٌ مقدسٌ عن الحياة التي في الدم. من أجل هذا تمزج الكنيسة خمر الإفخارستيا الذي يُمثل الدم بقليل من الماء حتى يتم الوحي.

وأخيراً، لا أُخفي عن القارئ أعظم أسراري التي عشتُها في المسيح، أن مذاقة الإيمان بالرب لا تُدانيها أي مذاقة جزتُها في حياتي، فلا الماء العذب عند العطشان، ولا الخمر الجيد عند شرِّيب الخمر، يداني مذاقة يسوع المسيح ربي: «ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب»[٣].

٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥

---

[٢] يو ١٩: ٣٤.

[٣] مز ٣٤: ٨.

- ٥٣ -

«أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به»

إنجيل يوحنا ١٥: ١٤

لقد صدق داود في مزموره القائل: «سِرَاجٌ لرجلي كلامُك ونور لسبيلي» [١]، فكلامك يا ربي يضيء لنا في ظلمة هذا الدهر.

كلامك بؤرة نورٍ نسير على هداه، ونحن لا نستطيع أن نسير في ظلام هذا العالم دون أن يقودنا كلامك.

فإن توقف نورك عن الهداية أمامنا، فكيف نسير؟ وإلى أين نسير؟ لأن نورك يقودنا إليك. فكيف نأتي إليك إن لم يمسك نورك بيدنا، فكلمتك حيَّة وفعَّالة ومضيئة، تسير أمامنا وإن توقَّفتْ توقّفنا.

وحبك هو القوة الوحيدة التي تدفعنا إليك، فكيف نأتي إليك إن لم يَدفعْنا حبك.

فأنت قطب المحبِّين الذي يجذبنا نحوك، فكيف نأتي إليك إن لم

---

[١] مز ١١٩: ١٠٥.

يُهْدنا شعاعُ حبك. إن مصادر القوة في العالم كثيرة ومتعددة الفعَال والأفعال، ولكن قوة حبك هي سرُّ الوجود الوحيد الذي يجذبنا نحوك، فإن بَطَل جذبُك لنا، كيف نسير وكيف نأتي إليك؟ وجوهر حبك مذّخر في كلمتك، وكلمتك خبَّأناها في أعمق أعماقنا لئلاّ يزيِّفها العالم فننحرف عن قُطْبك الجاذب لمحبي كلمتك. فلستَ أنت، يا سيدي، وحدَك الذي تحب من يحفظ كلامك، لأننا نحن أيضاً إن لم نحفظْ كلامك، يستحيل علينا أن نأتي إليك وسط دروب العالم المظلمة، أيها النور الحقيقي الذي يضيء عالمنا المظلم. ونحن أحبَّاؤك بسبب كلامك الذي اذّخرناه في داخل قلوبنا، فأنت وحدك تعلم أن كلامك الذي نفذ إلى داخل قلوبنا هو ذخيرتنا الوحيدة في عالمنا المظلم.

وذخيرتنا الوحيدة هذه هي مَطْمع الشيطان المتربِّص بنا ليخطفها من داخل قلوبنا، فنحن نستغيث بك أن تجعل كلامك مغروساً في لحمنا ودمنا، بعيداً عن أهواء العدو وخداعه فلا ينزعه منا.

وكلامك حلو يا سيدي «أحلى من العسل وقطر الشهاد»[٢]، فنحن اخترناه ذخيرة فريدة دون كل أطايب العالم؛ فإن حفظنا

[٢] مز ١٩: ١٠.

كلامك فليس ذلك منَّة منا بل هو انجذاب كانجذاب الحديد للمغناطيس، فأية منَّة للحديد إن هو التصق بالمغناطيس. ومن ذا قادر أن يفصل كلامك عنَّا، فعلى قدر ما تحبنا، نحن نحبك، ويقوى حبك في قلوبنا، فنغلب به العالم. وبقدر ما تجذبنا يا سيدي ننجذب إليك، فالفضل في حبنا لك هو حبُّك لنا. وصَدَق نشيد الأنشاد حين قال: «أنا لحبيبي وحبيبي لي»![٣] فنحن لك بقدر ما أنت لنا. وحبنا لك هو تحصيل حاصل، فأنت السابق ونحن اللاحقون.

فأرجوك يا سيدي، أن تحبنا لأننا نحن نحبُّك، ولا نستطيع أن نحيا بعيداً عن حبك، لا لحظة واحدة ولا طرفة عين. فالموت والعدو يترصداننا إن لم يجذبنا حبُّك! ونحن يا سيدي نحبك حبَّين: حبّاً لأنك أحببتنا، وحبّاً لأنك أهلٌ لذاك!

أول أكتوبر ٢٠٠٥

---

٣ نش ٦: ٣.

- ٥٤ -

«أنا هو الخبز الحيّ الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم»

إنجيل يوحنا ٦: ٥١

أَكَلَ الإنسانُ الأول من ثمرة الشجرة المحرَّمة، فمات آدم وزوجته، ووَرِثَ نسلُهما جميعاً هذا الموت، فملك الموت عليه من آدم وإلى آخر الدهور، إلى أن أتى يسوع المسيح ابن الله من السماء ليعطي الإنسان خبز الحياة ليحيا ولا يموت. ثمرة الشجرة المحرَّمة كانت بمثابة الخبز المسموم الذي أكله الإنسان كله ومات، أمَّا المسيح فقد أتى بخبز من السماء صُنْعِ أبيه، وهو جسده الإلهي الحيُّ. كان جسداً سريّاً للغاية، مظهره لحم وعظام، وجوهره حياة أبدية. ولكي يقسمه بالعدل على جميع الناس، صَلَبه بإرادة أبيه حاملاً كل خطايا العالم، ومات به ودُفن فماتت فيه كل خطايا العالم، وقام من الموت بمجد الآب، فقام فيه كل الناس بمجد أبيه. هكذا صارت شركة الإنسان الجديد الذي قام بقيامة

المسيح شركةً حقيقيةً في الجسد المُقام.

وحينما قدَّم المسيح قبل صلبه مباشرة سرَّ العشاء الأخير بخبز وخمر قائلاً: هذا جسدي وهذا دمي، وقسَّمه وأعطاه لتلاميذه ليأكلوا من جسده ويشربوا من دمه في سرٍّ إلهيٍّ رهيب لا يُنطَق به، كان هذا بمثابة أكل خبز الله النازل من السماء ودم الابن الوحيد المسكوب على الصليب. وأصبح الإيمان بجسد المسيح ودمه المأكول والمشروب بمثابة نوال الحياة الأبدية التي فيه.

كانت عمليةً طويلةً وشاقةً جداً كلّفت المسيح الموت على الصليب، حاملاً خطايا العالم كله، كلّفته موته ودفنه وقيامته بعد ثلاثة أيام حيّاً مُمجَّداً. وحينئذ صارت الآية الإلهية النيِّرَة: «من يأكل جسدي ويشرب دمي، يحيا إلى الأبد»[1]، ولن يذوق الموت القديم بل يكون له الحياة الأبدية. وهكذا أتمَّ المسيح خلاص العالم كله بموته وقيامته، مُقَدِّماً جسده بمثابة خبز الحياة الأبدية الذي يأكل منه الإنسان ولا يموت.

وهكذا بموته على الصليب حاملاً خطايا العالم كله، أمات الخطية، عضَّة الحيَّة القديمة لوياثان، التي استبدَّت بالإنسان كل

---

[1] أنظر يو ٦: ٥٤.

الدهور السالفة، كما ظفر المسيح على الصليب بكل قوات الظلمة، الشيطان وكل أعوانه[٢]، وأعتق الإنسان من أخطر عدو له الذي أذاقه الموت والخطية والعذاب طيلة العهود السالفة ما قبل المسيح.

والآن أتوسل إليكم، أيها الإخوة، أن لا تستهينوا بما عمله المسيح لتكميل خلاصنا، كما لا تستهينوا بأكل خبز الحياة النازل من السماء والمُعطي حياة لكل العالم، لأنه كلَّف الآب موت ابنه على الصليب، وكلَّف الابن الوحيد أن يقبل الموت من أجل القيامة التي أكملها في نفسه لقيامة وحياة كل إنسان.

وكان الرمز القديم لجسد المسيح الخبز الحقيقي الذي نزل من السماء، هو المنُّ السماوي الذي أنزله الآب من السماء، بإعجاز فائق، ليأكل منه الشعب السائر في البراري والقفار حتى أوصله إلى ضفة الأردن، ثم انقطع المن حينما دخل الشعب الراحل من مصر أرض الموعد حيث خبز القمح، أي خبز الراحة.

فالمنُّ الذي غذَّى به الله شعبه طيلة أربعين سنة ليحيا في براري الموت الرهيبة، كان هو الصورة المصغَّرة لأكل خبز الحياة جسد

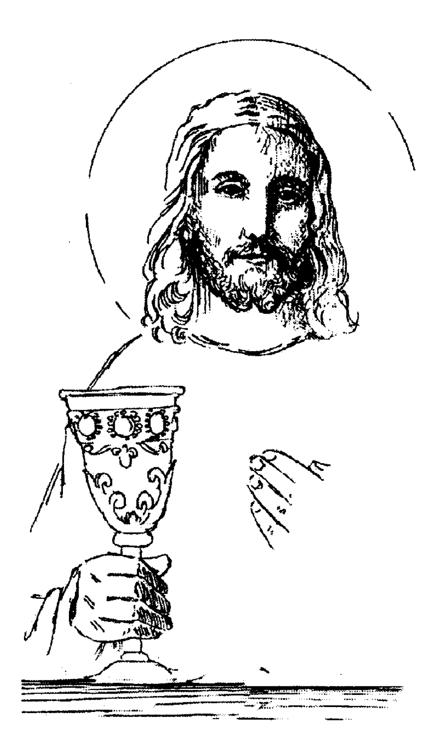
---

٢ أنظر كو ٢: ١٥.

المسيح.

وكان المنُّ هو الخبز الذي أرسله الله من السماء ليُعزِّي به الشعب في العناء، أما خبز الحياة فهو خبز الراحة الأبدية.

أول أكتوبر ٢٠٠٥



- ٥٥ -

«وأنا أطلب من الآب، فيُعطيكم معزِّياً آخر، ليمكث معكم إلى الأبد»

إنجيل يوحنا ١٤: ١٦

غرباء نحن وسنظل غربـــاء، إلى أن يُـــدخلنا الآب إلى بيتـــه الأبدي، لنصبح «أهل بيت الله»[١]، فيكون ملَء الفرح والسرور الذي لا يمكن التعبير عنه. الآن نحن حزانى لأننا لا زلنا مُخيَّرين بين الخير والشر، ولا تزال الإرادة تجنح ناحية البعد عن الله.

الآن نحن لنا المسيح ملء حياتنا، وهو قادرٌ أن يخطفنا من يـــد العدو، ولكن الإنسان هو الإنسان، يميل بإرادته نحـــو الخطيـــة، ويحتاج لمن يجذبه نحو الحق. المسيح يعلم أن الإنســـان ضـــعيف متوشِّح بجسد ترابي، والجسد يميل إلى أصله. حـــتى وإن كـــان الروح نشيطاً، فالجسد ضعيف أُلعوبة في يد العدو. لذلك كـــان ذلك هو همُّ المسيح من نحونا الذي يُقلقهُ، فإن كان هو كفـــيلاً بإنقاذ الإنسان ومحو الخطية والإقامة من الموت، فمَـــنْ سيســـند الإنسان حال غيابه؟ لأنه مزمعٌ أن يرتفع ويصير مع الآب. هنـــا

---

[١] أف ٢: ١٩.

تحتَّم على المسيح أن يتوسَّل إلى الآب أن يرسل مُعزِّياً آخر كفيلاً بأن يسند الإنسان حتى يستودعه في يد الآب. والروح القدس هو روح الآب، فعندما يرسل الآب روحه القدوس، نكون في حفظ الآب والابن والروح القدس. لذلك بادر المسيح من جهته أن يمهِّد لحضور الروح القدس بأن ألبسَ الإنسان قيامته، وهي قائمة بمجد الآب، كما تنازل الابن وأعطى الإنسان مجده الذي من الآب «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني»[٢].

وهكذا دخل الإنسان في دائرة الثالوث الأقدس بجدارة، لا لأنه يستحقها، بل من أجل توسُّل الابن ورضا الآب، فالآب خطَّط منذ الأزل «أن يكون الإنسان واحداً منا»[٣]. ولكن الفضل كل الفضل للمسيح الذي صار إنساناً[٤] لكي يُهيِّئنا أن نكون فيه أولاً، لنكون بعد ذلك مُهَيَّئين أن نكون في الآب. وقد صرَّح قبل الصليب باطمئنان شديد مخاطباً الآب، أنه نجح أن يزفَّنا للآب كخليقة جديدة سماوية: «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد»[٥]. شيء لا يمكن التحدُّث عنه، أن يصبح الإنسان بعد أن

---

[٢] يو ١٧: ٢٢.

[٣] آنظر تك ٣: ٢٢.

[٤] آنظر يو ١: ١٤.

[٥] يو ١٧: ٢٣.

يخلع عتيقه القديم الملوَّث بالخطايا، أن يكون واحداً مع الآب والابن. وهكذا كان إرسال المُعزِّي الآخر من عند الآب ليستلم دوره في صياغة روح الإنسان لتكون وِفقَ الآب والابن، هو اللمسة الأخيرة التي وضعها المسيح في تركيب الإنسان ليدخل دائرة الآب والابن والروح القدس كشريكٍ مُنْعَمٍ عليه.

وحالما حلَّ الروح القدس، المعزِّي الآخر، يوم الخمسين من قيامة الرب المجيدة، بدأ يعمل ويصيغ في الإنسان الجديد بروح نشطة فعَّالة أدهشت التلاميذ وكل الناس، وبدأ الإنسان يتكلم بلغة جديدة ليؤكد قبول الروح الجديدة التي رفعته من مستوى خليقة قديمة إلى خليقة جديدة بشبه خالقها في المجد[6]. وبدأت عمليات الشفاء الإعجازي لتُعبِّر عما ربحه الإنسان من روحٍ جديدة. وهكذا تحقق مطلب المسيح لإخوته على الأرض أن ينالوا عزاءً سماوياً، ولِيُنقَلوا من يد الابن إلى يد الروح القدس والآب في السماء، لتتميم عمل الابن، وفرح الابن بعمل يديه، وأعطى وعده لتلاميذه أنه سيكون معهم «كل الأيام، إلى انقضاء الدهر»[7].

٢ أكتوبر ٢٠٠٥

---

[6] أنظر كو ٣: ١٠.

[7] مت ٢٨: ٢٠.

- ٥٦ -

أعجب ما في الخلاص،
هي النهاية المذهلة التي سينتهي إليها الإنسان

+ أيها الآب القدوس، احفظهم في اسمك الـــذين أعطيـــتَني، ليكونوا واحداً كما نحن.

+ ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيهـــا الآب فيَّ وأنــــا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.

+ وأنا قد أعطيتُهم المجد، الذي أعطيتَني، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد.

+ أنا فيهم وأنت فيَّ، ليكونوا مكمَّلين إلى واحد.

+ وعرَّفتُهم اسمك وسأُعَرِّفهم، ليكون فيهم الحـــب الـــذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم.

يو١٧: ١١، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦

واضح من الآيات السابقة أنه عندما يتم الخـــلاص ويأخـــذ الإنسان خلقته الجديدة بالروح، ويخلع الإنسان العتيق مســـبقاً، وأنه بعد أن يكون الابن المحبوب قد ارتفع إلى الأمجاد العُلا، فإنه

سيُقدِّم مفديِّيه المُخلَّصين، والحائزين على برِّه، والذين لهم صورة الله في القداسة والمجد على شبه خالقهم[1]، سيقدمهم إلى الله أبيه لينالوا حِفْظَ الآب كأعضاء جدد في أهل بيت الله[2]، مرفوعاً عنهم كل شوائب دخيلة على صورة الله التي فيهم، لينالوا عن حقٍّ وجدارة، الشركة مع الوجود الإلهي مع الآب والابن. وذلك بتدخُّل الروح القدس الذي يملأهم من بهاء مجد الله.

والوحدة الممنوحة للإنسان الجديد مع الآب والابن بواسطة تدخُّل الروح القدس، هي وحدةٌ فائقةٌ على ذهن الإنسان، لأنها ترفع كل ما للإنسان ليكون على شبه أبيه في المجد تماماً. هذه الوحدة المجيدة في الآب والابنِ، تجعل إقامة الإنسان في ملكوت الله في ملء الحياة الأبدية إقامةً رسمية، تخضع لها الملائكة ورؤساء الملائكة، هؤلاء الذين خدموا خلاص الإنسان فيما مضى. لذلك ستكون مسرَّتهم بالإنسان، كخليقة سماوية جديدة، فائقة للوصف بتمجيد وهتاف لا يهدأ. ويرد عليهم المفديُّون بترنيمة موسى والخروفِ، التي سيُلَقِّنُها لهم أرواح القديسين، وسيفرح الإنسان جداً كثمرة لدموعه السابقة وآلام وضيقات العالم التي جازها على رجاء هذا الوعد.

---

[1] أنظر أف ٤: ٢٤.

[2] أنظر أف ٢: ١٩.

وفرح خلاص الإنسان الذي أُكمِل بالقيامة، سيرتفع إلى فرح سماوي لا يُنطَق به[٣]، يدوم معهم بدوام وجودهم أمام الله وبرفقة الحمل، الذي سيضيء عليهم كسراجٍ أشدَّ لمعاناً من الشمس، حيث نور الله والحمل لا ينطفئ، فهو دائم الضياء كمصدر إشعاع للمعرفة الجديدة التي سيسكبها الله عليهم؛ حتى يدخلوا إلى سرِّ الله والحمل، فتنكشف أمام أرواحهم كل أعمال الله في القديم والجديد، وكأنها أنشودةٌ عذبةٌ لا تحتاج لمن يشرحها لأنها تكون بحروف من نور يتلألأ.

وسيفرح المُخلَّصون بالأنبياء قديماً وحديثاً، ويتآخون مع التلاميذ والرسل، وتكون السماء كلها مملوءة بأرواح الأبرار والمُخلَّصين والشهداء الأماجد، لابسين تيجانهم في كرامة فائقة عن الوصف، والمسيح ينتقَّل بين الصفوف يهدي نفحات حبِّه لكل القديسين الذين أحبُّوه وأحبَّهم.

وهكذا يلتصق الماضي بالحاضر، وليس مستقبلٌ بعد، بل خلودٌ يغشاه الإنسان في حضرة الآب والابن، والكلُّ ينطق بالمجد.

٢ أكتوبر ٢٠٠٥

---

٣ أنظر ١ بط ١: ٨.

- ٥٧ -

«آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور»

إنجيل يوحنا ١٢: ٣٦

من أعمق الأوصاف التي أعطاها المسيح لنفسه قوله إنه النـــور الحقيقي الذي ينير العالم، لأن صفة العالم الطاغية أنـــه الظلمـــة وعالم الظلمة، وهي ليست صفة مجازية ولكن صفة تكاد تستبطن العالم في عمق حقيقته. ولا يخفى علينا أن العالم اســـتمدَّ صـــفة الظلام من الشيطان، لأن العالم وُضِع في الشرير وتملَّك عليه عَلَناً، وبذلك صار كل أولاد العالم أبناء ظلمة وظلام، لا يرتـــاحون للنور ولا يأتون إليه لئلا تُوبَّخ أعمالهم. فأبناء الظلام يرتـــاحون للظلام لأنه يتناسب مع سلوكهم.

وكان الظلام يَلفُّ العالم كله؛ إلى أن نادى مناد من الســـماء مُعطياً المجد لله، لأنَّ النور جاء للعالم ليُبدِّد شمل الظلّمـــة ويُبـــدِّد الظلام. المسيح الرب من السماء، نورٌ من نور، وكما تُشـــرق الشمس فينتهي الليل بظلمته الكئيبة وينتشر النور ليضيء العـــالم كله، هكذا أشرق علينا يسوع المسيح من السماء ليجعل العـــالم

عالم نهار لا ليل، وعالماً يضيء للقلوب بنور سماوي. ولأول مرة يدرك الإنسان الحق وينجذب إليه ويسير في هداه، والحق هو جوهر الوجود الإلهي، ومن عَرِفَ الحق تحرر في الحال من كل أعمال الظلمة وغَلَبَ العالم.

وهكذا قال المسيح أنتم أبناء، أبناء الحق والله، لأني أَعْلَمتُكم بكل ما عند الله[1]؛ وعندما خاطب المسيح الفريسيين قائلاً إن من يتبعني يعرف الحق ويصير ابناً لله، ولمّا حاجُّوه أنهم أبناء وليسوا عبيداً، أبناء إبراهيم، قال لهم إنهم عبيد لأنهم يعملون الخطية، ومن يقترف الخطية يكون عبداً للخطية[2]. وهكذا فإن ميزة النور أنه السير في نور الله، فنور الله هو معرفة الحق والمسير على هداه. لهذا جاء المسيح ليعلِّم بالحق ويشرق على القلوب التي أحبَّت الله وسارت في نور وصاياه. هنا ينادي المسيح عن حقٍّ وجدارة: «آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور»[3]، فكل من آمن بالنور انكشف الحق في قلبه وتَبعَ النور والحق. وعدو النور الوحيد هو الخطية، فالخطية هي جوهر الظلمة، إن صحَّ هنا التعبير، لأن الظلمة ليس

---

١ أنظر يو ١٥: ١٥.

٢ أنظر يو ٨: ٣٤.

٣ يو ١٢: ٣٦.

لها جوهر فهي كذب وخيال، وليس لها وجود إلاّ عند الشيطان، والشيطان غريب عن الحق والنور، بل إن الحق والنور إذا أشرق ينصعق الشيطان ويتلاشى. لأن الشيطان ينسج وجوده من سَداة[٤] الظلمة ولُحمَة[٥] الكذب. والكتاب يُعرِّف الشيطان بأنه الكذاب وأبو كل كذاب[٦]. فالخطية هي أكبر خدعة دسَّها الشيطان في حياة الناس، وهي لا وجود لها، وكل من يقترفها يلغي وجوده بيده. أما من آمن بالنور، فقد آمن بالحق وصنع له وجوداً في المسيح والله.

فيا إخوة، النور هو المسيح، ومن آمن بالمسيح يكون آمن بالنور والحق والحياة، وصنع له وجوداً في حضرة الله والقديسين والملائكة. فالنور والظلمة هما الوجود والضياع، فالخيار هذا علقم، لأنه إمَّا وجود وإمَّا ضياع. فيا حبيبي اختَرْ الوجود والحياة، ويقول المسيح محذراً، إن «النور معكم زماناً قليلاً»[٧].

٣ أكتوبر ٢٠٠٥

---

٤ الخيوط الطولية من الثوب.

٥ ما نُسِجَ عرضاً في الثوب.

٦ آنظر يو ٨: ٤٤.

٧ يو ١٢: ٣٥.

- ٥٨ -

«أنا هو الطريق والحق والحياة»

إنجيل يوحنا ١٤ : ٦

لمَّا قال يسوع إنه الطريق، لم يقصد فقط تعاليمه عن الحق، ولكن كان يشير إلى ما هو أعظم من ذلك بكثير، فقد كان يقصد أنه سيجعل جسده الذي سيقدمه على الصليب هو هو الطريق الوحيد الحقيقي الذي يوصِّل الإنسان إلى الله والحياة الأبدية، الأمر الذي على أساسه قال: «من يأكلني فهو يحيا بي»، وأيضاً «من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية»[١]. والذي على أساسه قال سفر العبرانيين قولته الخالدة: «لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيّاً بالحجاب أي جسده»[٢]. فجسد المسيح هو الطريق الحيُّ الوحيد الذي يُوصِّل الإنسان إلى السماء حتى قلب الله.

وهكذا يعطينا المسيح وصفاً لطريق الحياة الأبدية، فريداً من نوعه، لم يسمع به إنسان ولم يخطر على قلب بشر.

---

[١] يو ٦: ٥٧، ٥٤.

[٢] عب ١٠: ١٩، ٢٠.

فأصبح أكلِ الجسد السرِّي الذي يُقام تقديسه على المذبح طريقاً مأكولاً، شيء لم يُسمَع إطلاقاً، ولا يمكن تصوُّر مدى قداسة أكل جسد الرب السرّي، الذي كما عرفنا سرَّ المسيح أنه، أي المسيحِ، يكون حاضراً وقت تقسيم الجسد الذي يُقال عنه بالسرِّ «كَسْر الخبز»[٣]. وأعظم دليل على صدق هذا السرِّ الرهيب أن تلميذَيْ عمواس، لمّا أَلحّا على الرب أن يميل إلى بيتهما، لأنه غروب الشمس كان وشيكاً والمسيح يتظاهر أنه غريب على الطريق، دخل الرب بيتهما، ولمّا قدَّما خبزاً له وبدأ يكسره، استُعلِن لهم أنه هو المسيح الرب واختفى في الحال. فتيَقَّنت الكنيسة أن المسيح يكون حاضراً سرّاً أثناء كل كسر الخبز، أو بمعنى أصحَّ، أن المسيح هو الذي يكسر الخبز سرّاً ويُطعم المتناولين بيده، هذا هو بالحقيقة سرُّ قول المسيح: «أنا هو الطريق»[٤].

أما قوله إنه الحق، فهو أعظم أسرار المسيح، هو جوهر ألوهية ابن الله. لأن العالم قبل مجيء المسيح كان يعيش في ظلام وخداع وأكاذيب الشيطان التي سقاها للإنسان، فكان كأن الشيطان تبنَّى الإنسان وألْبَسه ثوب كُفْره وكذبه وخطاياه، فما عاد الإنسان يرى نور الله ولا يدرك الحق الإلهي، إلى أن وُلِد ابن الله،

---

[٣] أع ٢: ٤٢.

[٤] يو ١٤: ٦.

وتجسَّد ابن الله، فتبنَّى الإنسان، كل إنسان، لَّما صُلب عن الإنسان ليذوق الموت عوض الإنسان. وحمل كل خطايا الإنسان في جسده، وصُلب بها ومات ودُفن، فأمات الخطية وظفر بعدو الإنسان الوحيد الذي أذاق الإنسان المذلّة والموت تزييفاً وافتراء، وغشاً وظلماً، وتجنِّياً ما بعده تجنٍّ[٥]. فلما قام المسيح من الموت، كانت طعنة مميتة ساحقة للشيطان، إذ أعطى المسيح للإنسان ملء الحياة الأبدية، وأصبح الموت والخطية في خبرِ كان.

أما قول المسيح إنه الحياة، فهذه أصبحت نصيب الإنسان، لأن المسيح أعطى نفسه للإنسان فأصبح الإنسان يقول: «لي الحياة هي المسيح»[٦]، فالمسيح هو حياتنا حتماً، فنحن لا نحيا بعد بأنفسنا لأنفسنا، بل نحيا المسيح بالمسيح. ففخرنا الأعظم في هذه الحياة أن الإنسان لم يعُد هو الذي يحيا، بل المسيح يحيا فيه[٧].

يا لهذا الغنَى الذي نفتخر به، فبعد الإيمان بالمسيح لم يعُد للموت سلطان علينا، فلن نذوق الموت إلى الأبد.

٣ أكتوبر ٢٠٠٥

---

[٥] أنظر كو ٢: ١٥.

[٦] في ١: ٢١.

[٧] أنظر غل ٢: ٢٠.

- ٥٩ -

«إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني.»

إنجيل لوقا ٩: ٢٣

إتِّباع المسيح أعظم أعمال الناس، لأن عمل الإنسان يؤول دائماً إلى ذاته، وكل من يطلب لحساب ذاته ينتهي دائماً بخسارة ذاته. فالذات تطلب دائماً أمجاد الدنيا، وأمجاد الدنيا كلها زائلة. لذلك فإن المسيح اشترط على من يأتي وراءه أن ينكر ذاته، فإنكار الذات يُخلي الإنسان من مطالب نفسه. ولكي يبرهن الإنسان على أنه لا يطلب ما لنفسه فإنه يُعرِّضها لفقدانها، وهذا هو معنى حمل الصليب. فالذي يحمل صليبه هو إنسان يُعرِّض نفسه كل يوم للهلاك. وهنا يستدرك المسيح هذا التنازل المتدرج، ليسند بيده الحانية وروحه الفادية الإنسان الذي يحمل صليبه ويتبعه بأن قال إن الذي «يُهلك نفسه من أجلي يجدها»[1]. ومعنى "يجدها" أنه يصنع لها وجوداً عند المسيح والله. فالذي يجد نفسه يعني يحفظها سالمة إلى حياة أبدية. هكذا، يا إخوة،

[1] مت ١٦: ٢٥.

سيرة الرجل الذي يتبع المسيح، فهو حتماً يدرك نهاية سعيدة فوق الدنيا كلها بكل أمجادها.

فالمفاضلة أمام من يريد أن يتبع المسيح، أو أمام من يتهرَّب من التبعية له، هى إما سعادة الحياة الأبدية مع المسيح للذي يتبعه من كل قلبه، وإما تعاسة حياة تنتهي بخسران المجد السماوي.

فأنظر، يا حبيبي، أيهما تختار، ولأيهما تعيش، والمسيح في هذه الآية يجعلها وفق إرادتك، ولكن الذي يخفيه المسيح وراء هذه الآية هو شخصه البديع، فهو يقبل كل من يأتي إليه ويحتضن كل من يتبعه، ويرفع ثقل الصليب عن كاهله ما دام قد صمَّم أن يحمل الصليب. فاعلم، أيها الصديق، أن الصليب هو صليب المسيح وحده، وهو حكْرٌ عليه، لا يقبل بأي حال من الأحوال أن يحمله غيره. والمسيح يقول احمل صليبك واتبعني ليختبر حرية إرادتك، فإن صمَّمت على حمله، رفعه عنك في الحال لأنه ملْكٌ له وحده، ولا أحد يجرؤ أن يحمل صليب المسيح عن المسيح!! فالتَفتْ إلى أغوار معنى الآية، لأن المسيح هو سرُّ كل آياته، يطرَحها أمامك وهو ممسك بها بحيث لا تستطيع أن تستقلَّ بها من دونه.

ومن الأمور المشجعة جداً للحياة في المسيح، أنه وعد وعداً

أبدياً أنه معنا كل يوم وإلى أبد الدهر[٢]. وكونه معنا يعني شركة مُفرحة يحمل فيها عنا كل أثقالنا، وقد عمل "مثالها" على الصليب الذي عليه حمَّل جسده كل خطايا الإنسان، ولم يكن هذا تكليفاً صعباً كلَّفه به الآب أبوه، ولكن أنظر وتعجَّب من نيَّة الآب في صليب ابنه التي صرَّح بها المسيح بفمه، أنه «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»[٣]. فالآن تعجَّبْ، يا صديقي، كيف اتفق الآب مع الابن أن يُهلِك الابن جسده عن كل إنسان على الصليب، لينجو كل إنسانٍ ويفوز بالحياة الأبدية. لذلك حينما نتكلم عن الخلاص، يتحتَّم أن نُعطي المجد للآب أولاً وقبل كل شيء، فالمسيح قام بمجد الآب، ليبقى مجد الآب على لساننا مدى الدهر.

والآن عَوْدٌ على ذي بدء، فالله الآب مستعد أن يتدخَّل بمجده لمن ينكر ذاته ويحمل صليب ابنه رغبة منه أن يتبع الابن. إذاً نستخلص من هذا أن كل من ينكر ذاته من أتباع المسيح، ويحمل صليبه كل يوم، فله الآب يتلقاه بأبوته ومجده ويهبه شركة فيما له.

٤ أكتوبر ٢٠٠٥

---

٢ أنظر مت ٢٨: ٢٠.

٣ يو ٣: ١٦.

- ٦٠ -

«ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال:
طوباكم أيها المساكين، لأن لكم ملكوت الله»

إنجيل لوقا ٦: ٢٠

نظرة صادقة واعية لحال التلاميذ الذين تركوا بيوتهم وأعمالهم وانضمُّوا إلى المسيح، وكانوا يعيشون من التبرعات، وكان لهم صندوق يجمعون فيه العطايا ويشترون بها حاجاتهم. ولكن أمين الصندوق كان يلتقط لنفسه كل ما كان يوضع فيه. وهكذا يتضح لنا أن المسيح كان يوفِّر أعوازهم بطرقه الخاصة. لذلك كان قول المسيح للتلاميذ "أيها المساكين"، لأنهم عاشوا مُعوَزين من أجل الله والكلمة، فصارت كلمته "المساكين" كرتبة عالية، وكلمة "المسكين" كامتياز. وأصبح كل من يحتاج إلى لقمة العيش له الطوبى في السموات. وقد صدق المسيح حينما قال إنه ليس من هذا العالم[1]، لأنه عاش فقيراً ينتقل من بيت إلى بيت، ومن مدينة إلى أخرى. وحسب تعبيره لم يكن له أين يسند رأسه، وهي أمرُّ لحظات حياة الفقراء حينما يداهمهم النوم فلا

[1] أنظر يو ١٧: ١٤،١٦.

يجدون أين يسندون رأسهم. وحتى الثعالب كان لها أوجرة، لكن المسيح لم يكن له[٢]؛ فكان نموذجاً أعلى لفقراء العالم الذين وُلِدوا ليجوعوا و لم يكن لهم من يعطف عليهم. هؤلاء كانوا هم التلاميذ الذين أعدَّ لهم عروشاً في السماء وأكاليل، وأسماؤهم على أساسات أورشليم السماوية. والعروش والأكاليل لا تُعطَى جزافاً في السماء، إذ هي مخصصةٌ لطبقة المساكين ومَنْ دونهم. فالذي كان يحظى بكعكة أيام التلاميذ كان يُشَكُّ في أمره، من أين لك هذا؟ فالكعكة كان يتقاسمها الاثنا عشر أو يلتقطها يهوذا خفية.

وأنا لست مُغالياً، فقول المسيح للتلاميذ: "أيها المساكين"، يحمل معاني الفقر والعدم. وكان المسيح من ناحية أخرى قد أعدَّ لهم مدينةً، فوقَ، لها الأساسات، والمسيح لم يبخس حظَّهم حينما دعاهم بالمساكين، تماماً كما لم يبخس حظ لعازر المسكين، ولكن هي مجرد ألقاب تحمل معنى التواضع والضعة والمسكنة الشديدة والفقر المدقع، كل ذلك على أساس الذي وُضِعَ لهم وتأسَّس في السماء.

فهؤلاء المساكين التلاميذ أعدَّ لهم عروشاً يجلسون عليها مع

---

٢ أنظر لو ٩: ٥٨.

المسيح ويدينون إسرائيل بجلالها؛ ومكتوب عنهم إنهم يلبسون ملابس بيضاء بشبه النور، ويسيرون مع المسيح أينما سار[3]، يتقبَّلون التحيات والتمجيدات.

فالفقر والعوز والمسكنة هي سمة الذين فضَّلوا عار المسيح على غنى هذا الدهر، وارتضوا ببقايا العيش وفضلات الموائد، لا عن اختيار بل عن إجبار وعَوَز.

علماً بأن المسيح لم يحطَّ من قدر تلاميذه عندما نعتهم بالمساكين، إنما هو يكشف لبني سرِّه عن مستوى تلاميذه الأخصَّاء في عينيه عن حق وحقيقة. ونحن لا ننسى جامعي الضرائب حينما باغتوا بطرس في بيته لكي يدفع الضريبة، وكانت الحقيقة المُرَّة أن بطرس لم يكن معه فلسان، ولا المسيح، ولا الصندوق. فما كان من المسيحِ إلاَّ أن قال لبطرس إذهب اصطدْ سمكة ستجد في فمها إستاراً «فَخُذْه وأعطهم عني وعنك»[4]. وهكذا انضمَّ المسيح إلى زمرة المساكين.

يا إخوة، إن هذا سرٌّ يُسمَّى سرَّ جحد العالم، وقد أعطاه المسيح اسمه ولقبه ومصيره في السماء.

٤ أكتوبر ٢٠٠٥

---

٣ أنظر رؤ ١٤: ٤.

٤ مت ١٧: ٢٧.

- ٦١ -

«الحق الحق أقول لكم: إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلي دينونة، بل قد انتقل من الموت إلي الحياة»

إنجيل يوحنا ٥ : ٢٤

هنا يضع المسيح الإنجيل مقابل الملكوت في وضعٍ مساوٍ، على أن يكون السَّمَع على مستوى الطاعة القلبية أو الإسراع في تنفيذ الوصايا. ولكي نُقرِّب مستوى السَّمَع الذي يقصده المسيح، فنقول إنه هو سَمعُ الروح الذي يحرِّك الأموات. فقد قالها المسيح مرة على التوازي: إنه ستأتي ساعة حينما يسمع الأموات صوت المسيح فيقومون من القبور[١]. ولكن يمتاز سَمَع الأحياء عن سَمَع الأموات، أن الأموات سيقومون ليلاقوا الدينونة، أمَّا هنا فسَمَع الأحياء الإرادي لصوت المسيح بشوق والتهاب يجعلهم لا يعبُرون الدينونة بل يقومون ليدخلوا الحياة الأبدية، دون أن يعبروا على الدينونة.

وهذه مِنَّة السمع الإرادي الحيِّ بقلوب واعية، فيقول الرب،

---

[١] أنظر يو ٥: ٢٨-٢٩.

ليشجِّع الآتين إليه، إنهم ينتقلون من الموت إلى الحياة، بمعنى لا يجوزون دينونةً ما.

والمسيح يشدِّد على أن أقواله الحيَّة سمعها من الآب، والآب هو الذي لقَّنه إيَّاها، والآب هو الذي أرسله من حضنه الأبوي كابن. هذا يأتي بنا إلى عمق اللاهوت، إذ يتحتَّم علينا أن ندرك أن الله آب وابن والروح القدس. ووظيفة الروح القدس في الإنجيل أنه يأخذ من المسيح ويُعلِّمنا، فكلام المسيح هو أصلاً كلام الآب، يلقِّنه الروح القدس للابن. هذه المنظومة الإلهية لا تُفرِّق بين الآب والابن والروح القدس بل هم واحد. والمسيح يشدِّد على أنه فينا وأن الآب فيه. فالإنسان المؤمن الذي تلقَّى الإنجيل، وصار كلامه حيّاً في قلب الإنسان الذي آمن بالآب والابن والروح القدس، يصير واحداً في الابن، كالابن الذي هو واحد في الآب. وهذه الوحدانية الكاملة هي التي رفعت الإنسان وهيَّأته للحياة الأبدية في ملكوت الله والابن. ويصير بذلك الإنسان خليقة جديدة سماوية بشركته الحيَّة في المسيح، فنصير مؤهَّلين أن نجلس مع المسيح عن يمين الآب، وذلك حسب مسرَّة الله الأزلية.

الجديد هنا والذي يستأثر بفكر الإنسان، أن المسيح يبدأ بسَمَع

الكلام. فبسمع كلام المسيح نضع أرجلنا على السلَّم الصاعد إلى السماء، أمَّا وصولنا إلى الحياة الأبدية فهو يعتمد على يقيننا أن مصدر الكلام هو الله الآب. فمصدر الكلام مسئول عن وصولنا إليه. وكأن سَمْعَ صوت الابن كفيل أن يأتي بنا إلى المصدر الخارج منه. القوة هنا مصدرها اثنان، الآب الذي أرسل المسيح ليعطينا الحياة الأبدية، وكلام المسيح نفسه الحائز على سرِّ الابن الوحيد، أي قوة القيامة لمجد الآب من الموت إلى يمين عرش الله.

الآية هنا مختصرة للغاية، ولكن تشمل في أعماقها لاهوت الخلاص، فهي قائمة أولاً على الآية «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية»[٢]، والآية «الكلام الذي أُكلِّمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الآب الحالّ فيَّ هو يعمل الأعمال»[٣]، و«الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني»[٤]، و«الكلام الذي أُكلِّمكم به هو روح وحياة»[٥].

٥ أكتوبر ٢٠٠٥

---

[٢] يو ٣: ١٦.

[٣] يو ١٤: ١٠.

[٤] يو ١٤: ٢٤.

[٥] يو ٦: ٦٣.

- ٦٢ -

«إن أحبَّني أحد يحفظ كلامي، ويحبُّه أبي وأنا أُحبُّه، وإليه نأتي، وعنده نصنع منــــزلاً»

إنجيل يوحنا ١٤ : ٢٣

المسيح هنا يُقدِّم كلامه كعربون محبة فائقة القــدر، ويضــع حِفْظه موضع التكريم الشخصي الذي يســتحق الصــداقة، لأن زيارة المسيح للبيت شيء غاية في الودِّ الذي يجلــب البركــات السمائية، بل إن حِفْظ وصايا المسيح برهانٌ علــى اســتحقاق الإنسان لزيارة الآب. والمسيح يرفع مستوى الزيارة إلى الضيافة الدائمة. فأنْ يصنعَ الآب والابن زيارة دائمة للبيت، فقد يكونان قد رفعا مستوى البيت ليكون سماءً جديدةً ودائمةً. وهذا ما يُعبِّر عنه المسيح بالحياة الأبدية، أي بحياة تستمد وجودها مــن دوام وجود الآب والابن، وهذا أعلى قدرٍ للحياة.

والآن نأتي إلى كلمة المسيح "من يحفظ كلامي": الحفظ هنا ليس مجرد استيعاب فكري، بل يمتد إلى هذيذ دائمٍ الليل والنهار، لا يفلت من الكلمة حرفٌ أو معنىً إلاَّ ويرددً القلبُ صداه، لأن

صوت ابن الله لا يملك الإنسان أعزَّ أو أغلى منه. وصوت المحبوب يرنُّ في القلوب، وحبيب الابن حبيب الآب، فدخول الآب مجال حياة الإنسان يرفعه إلى مستوى الابن.

لذلك فإن قول المسيح، إنه والآب يصنعان منزلاً لمن أحبَّ المسيح وحَفَظَ وصاياه، هو قمة ارتفاع الإنسان في مجال الله، والمُنتَهى لتنازل الآب والابن لمستوى البشر، حيث ندخل في دائرة عجيبة التوازي، فقمة ما عند الإنسان يقابله قمة ما عند الله.

والمسيح هنا يفتح طريقاً سرِّياً يصلُنا به وبالآب: فالمحبة الإلهية عظيمة القدر، وأن يحب الإنسان المسيح، فمعناه هنا دعوةٌ سرِّيةٌ ليدخل بيته، شرفٌ ما بعده شرف أن يتنازل المسيح ويدخل إليه: ولكن الأمر المذهل حقاً هو أن يتنازل الآب أيضاً ويدخل إلينا. لأن سليمان الملك يصرخ صراخاً نبوياً مخاطباً الله الذي تنازل ودخل هيكله الذي بناه له: من أنا حتى يأتي الله إلينا، وسماء السموات لا تَسَعُك؟[١] تصوُّرٌ إبداعيٌّ من سليمان، ولكن هي عظمة الله تظهر لمحبي اسمه ومحبي ابنه. فالذي يحفظ وصايا المسيح مَثَلُه مثل من يصنع سُلَّماً رأسه في السماء بينما يرتكِزُ في القلب،

[١] أنظر ١مل ٨: ٢٧.

والله ينــزل عليه ويصعد، وكأنما أصبحنا مكان مسرَّة لــلآب والابن، يتفضَّل ويزورنا ويُهدينا وجوده وحبه.

من يُصدِّق هذا، أن الإنسان يصير بيتاً ومنــزلاً لله، حيــث سلَّمَنَا مفتاح الباب وحق الاستقبال: فماذا نقول إلاَّ ترديد آياته وحفظ وصاياه بقلب ينبض بالحب: «أُحبُّك يا ربي»[٢]، أُحبُّــك وأُحبُّك، وكيف لا أُحبُّك وأنت صاحبُ نفسي ومَلِكُ حيــاتي ونبضُ قلبي، فأنا أعيش على حبِّك، وحبُّك يُغــذِّيَ روحــي، ويُشبع نفسي، ويردُّ روحيٍ. وكلماتك هي متنفَّسي التي أستنشق منها حياتي، صباحاً ومساءً ووقت الظهر أناديك، فتتنازل وترد عليَّ فأعيش. فأنت سرُّ حياتي، وكلامك نور لسبيلي أتحسَّــس عليه صِدْقَ مسيرتي.

بالليلِ أناديك من على فراشي فيرتاح جسدي الموجوع الذي هدَّته السنين والأيام، فقد بلغ عمري عندك السادسة والثمانين، كلها أتعاب، ولكن تعزياتك تُلذِّذ نفسي. عبدك يعقــوب أبــو إسرائيل كان يرى حياته أكثرها تعب وبلية، ولكن أقول الحــق أمامك إن أيامي وسني حياتي كلها تنطق بلُطفك وإحســانك، ويدُك تسندني فأخلص.

٦ أكتوبر ٢٠٠٥

---

[٢] مز١٨: ١.

- ٦٣ -

«لأن هذه مشيئة الذي أرسلني، أنَّ كلّ من يرى الابن ويؤمن به، تكون له حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير»

إنجيل يوحنا ٦ : ٤٠

هدية الآب لنا كانت إرسال الابن وفي يده إنجيل الحياة، ليسلِّمنا الكلمة ويهبنا الحياة الأبدية. فأصبحت رؤية الابن وسماع صوته بمثابة تذكرة العبور إلى «ملكوت ابن محبته»[١]. فمن يُصدِّق هذه العطايا السخيَّة التي منَّ بها الآب على الإنسان بعد عداوة وجفاء وطوفان مريع. والذي يقرأ العهد القديم يستطيع أن يُقدِّر هذه العطايا السخية التي يخرج منها عبيق الحب.

نعم، هكذا أحب الله العالم ووهبه ابنه وحياته وملكوته[٢]، فمن يصدِّق؟ الإنسان الذي اختبأ وراء الشجرة لأنه عريان، ولم يحتمل أن يراه الله وهو في خزيه ومذلّته، نعم هذا هو الإنسان الذي يتكلم بلسان ابن الله ذاته ويتحدَّث عن رسالته التي أتى بها من

---

١ كو ١: ١٣.

٢ أنظر يو ٣: ١٦، كو ١: ١٣.

الله أبيه، حتى أنه بمجرد أن ينظر الخاطئ الابن ويـرى هيئتـه، تكون له حياة أبدية. بل وابن الإنسان هذا يَعد الـذين مـاتوا بخطاياهم، أنه بالإيمان به سيُقيمهم في اليـوم الأخـير عـابرين الدينونة بشبه ملائكة الله.

إفرحي يا مريم التي وَلَدَت لنا ابن الإنسان، الذي جاء ليُعيـد لآدم بُنوَّته لله وميراثه الأبدي لملكوت الله، ليسلِّمه لبنيه تسـليمَ ميراث فائق عن الحدِّ، لأن نسل آدم صار في ابن الله وارثاً لكل ميراثٍ الله. هكذا كما قلب الشيطان الحقائق وجعلنا أعـداء الله وعبيد العالم، شاءت إرادة الله أن يقلب لنا عداوتـه إلى محبـة صادقة لله، وعبوديتنا للعالم إلى سيادة عليه، لنـدوس الشـيطان تحت أقدامنا ونعبر العالم كله إلى الله.

فمشيئة الآب صارت لنا قطب الحياة الجديدة الذي يجذبنا نحو الله، أما الإيمان بالمسيح ابن الله فقد صار لنا كقوله بمثابة الطريق والحق والحياة[٣]، وطالما نحن نراه رؤيا الحق والإيمـان، ونمسـك بكلامه، نكون قد ضَمَنَّا الوصول إلى بيت الله، وصرنا من أهله وأحبائه[٤].

---

٣ آنظر يو ١٤: ٦.

٤ آنظر أف ٢: ١٩.

وكما أُعطِي لنا أن نمسك بالمسيح في حياتنا حينما نحفظ وصاياه، هكذا بالتالي سيصير المسيح نفسه ممسكاً بنا ونحن أموات، ليُقيمنا مغفوري الخطايا لميراث حياة لا تزول.

فٱنظروا، يا إخوة، إلى أين أَوصَلَتْنا مشيئة الآب. فامسكوا بالمسيح ليمسك المسيح بنا. فتمسُّكنا اليوم بالمسيح ما أَهْوَنه وما أسهله، فهو أن نحبه ونحفظ وصاياه، نظيرَ أن يمسك بنا ونحن أموات في خطايانا، ليعبِّرنا هوة الموت، ويرتفع بنا إلى أعلى السموات لنحيا مع الله!

والإيمان بالمسيح ابن الله ينقلنا من عبيدٍ للخطية والعالم والشيطان إلى أبناءٍ لله وورثة في ملكوت ابنِ محبته[٥]. والإيمان لن يزيد عن الثقة به، وترديد اسمه في قلبك وفمك، والاستغاثة به وقت الضيق، ليُظهر ذاته ويأتي إلينا وينقذنا.

ولا أحد يستطيع أن يأتي إلى المسيح، إن لم يجتذبه الآب أولاً[٦]. فلْنَضَعْ هذا في قلوبنا ونسلِّم حياتنا ومشيئتنا للآب، طالبين ومتوسلين إليه أن يجعلنا من مختاريه، لأن العالم يمضي وشهوته[٧]،

---

٥ آنظر كو١: ١٣.

٦ يو ٦: ٤٤.

٧ آنظر ١يو ٢: ١٧.

أما من يطلب مشيئة الآب ويتوسل إليه يكون قد ربح الابن والآب معاً. أما محبة الابن فهي رَهْن حِفْظ وصاياه، ووصاياه ليست ثقيلة علينا[8]، لأنه يشجعنا بقوله: «احملوا نيري عليكم... لأن نيري هيِّن وحملي خفيف»[9]. ومن يحفظ الأَلْفَا[10] في وصاياي أُكمِّل له الأُومِجَا.

٦ أكتوبر ٢٠٠٥

---

[8] ١يو ٥: ٣.

[9] مت ١١: ٢٩، ٣٠.

[10] الأَلْفَا والأُميجا أول وآخر حرف في الحروف الهجائية.

- ٦٤ -

«إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً»

إنجيل يوحنا ٨ : ٣٦

قال المسيح، سابقاً، إنَّ من يفعل الخطية يكون عبداً للخطية، هذه حقيقةٌ مُرَّة، **فالإنسان وُلد من بطن أمه حُرّاً، وهو يبقى حرّاً إلى أن يفعل الخطية فيفقِد حريته في الحال**، لأن أبا الخطية ومخترعها هو الشيطان، أما الخطية في حدِّ ذاتها فهي الضياع واللاَّشيء وأكبر كذبة اخترعها الشيطان. لذلك حُسبَ الشيطان الكذَّاب الأول وأبو كل كذاب[1]، وأصل كل العدم. لذلك لمَّا صُلِب المسيح بالجسد بإيحاء الشيطان وفعْله، وكان المسيح حاملاً «فِي جسده على الخشبة»[2] كل خطايا الإنسان، فلما مات المسيح بالجسد أمات الخطية مرَّة واحدة، ولمَّا ألغى المسيح الخطية ظفر المسيح بالشيطان وكل أعوانه[3] وسحقه سحقاً بالصليب. إذ أفنى كل قوة الشيطان وسلطانه لمَّا ألغى الخطية، **وثَبتَ فعلاً أن الخطية**

---

[1] أنظر يو ٨: ٤٤.

[2] ١بط ٢: ٢٤.

[3] أنظر كو ٢: ١٥.

لا شيء ولا حقيقة ولا وجود لها. وهكذا تحرر الإنسان بواسطة صليب المسيح من سلطان الشيطان وضلاله، لما بادت الخطية وفَنِيَت، لذلك يأتي هنا عنوان المقالة «إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً»، فلا شيء ولا أي قوة في الوجود تقدر أن تهزم الخطية والشيطان لتُحرر الإنسان من عبودية الخطية والشيطان، أما قوة حرية الإنسان الوحيدة فهي نابعة من صليب المسيح وجسده الممزَّق على الصليب، فلما أُسرَ الشيطان تحرر الإنسان، ولما مات المسيح بالجسد ماتت الخطية إلى الأبد وعاش الإنسان.

وكيف يصير الإنسان عبداً للخطية لَمَّا يمارسها؟ ذلك لأنه إنما يصنع الخطية بإيحاء الشيطان فيصير الإنسان عبداً لإيحاءات الشيطان، ولا شيء في الوجود يفكُّه من أَسْر الشيطان. فلما انسحق الشيطان بصليب المسيح، تلاشت الخطية، ودخل الإنسان في حرية المسيح.

وما هي حرية المسيح؟ يقول المسيح: أنا هو الحق[٤]، فالحرية التي يحررنا بها المسيح من الخطية ومن سلطان من له سلطان الخطية، هي الحرية الحقيقية، ولا توجد أية حرية في الوجود تُدعَى حرية حقاً إلاَّ حرية المسيح. لماذا؟ لأن المسيح هو جوهر

[٤] أنظر يو ١٤: ٦.

الحق الإلهي الوحيد، وتأتي كل أعماله من جوهر الحق. لذلك يقول المسيح ويؤكد، أَنَّ مَنْ حرَّره المسيح، فبالحقيقة يكون حُراً. وبمعنى أكثر وضوحاً، يكون أنَّ مَنْ حرَّره المسيح، يصبح له وجود حقيقي أمام الآب. وهكذا ينتقل الإنسان من كذب الخطية وسلطان أبي كل كذاب، إلى حق الله والدخول في الحق الإلهي. فإن كان الحق الإلهي هو الحياة الأبدية أيضاً، فهكذا ينتقل الإنسان من العَدَم في الخطية إلى الوجود في حياة الخلود.

والابن يحررنا لحساب الآب، وينقلنا من بيت العبودية تحت سلطان الخطية إلى حرية أبناء الله. وهذا استلزم أن يخلقنا جديداً، خلقة جديدة لا على صورة آدم بل على صورة خالقنا في المجد، لا خلْقة جسدية بعد، لأن المخلوق من الجسد جسد هو[٥]، لذلك لزم أَن يخلقنا بروحه من روحه، من فوق وليس من الأرض. فنحن صرنا خليقة لحساب السماء وليس لحساب الأرض والتراب، لذلك لزم أن يكون لنا سماءٌ جديدةٌ تُخلَق لحسابنا كما خُلقنا لحسابها، يسكن فيها البر والأبرار[٦]، يدشّنها لنا القدوس

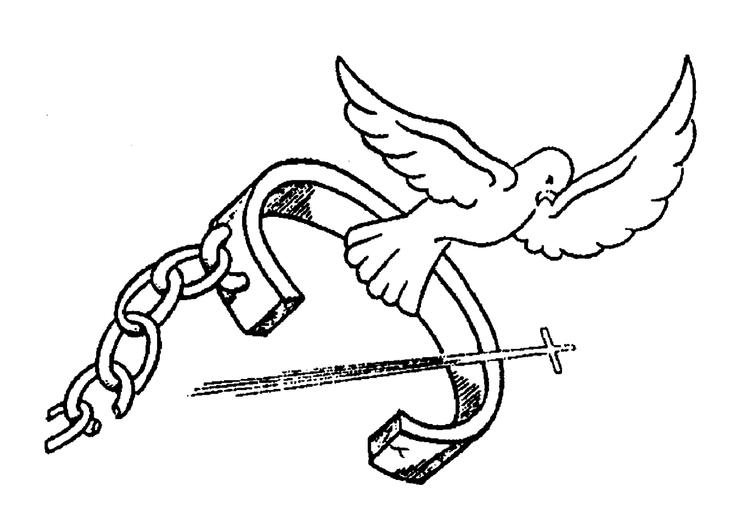
---

[٥] أنظر يو ٣: ٦.

[٦] ٢بط ٣: ١٣.

ليُزفَّ فيها لكنيسة الروح كعريس اشتراها من الأرض بدمه[٧]، أما نحن بني العرس فنفرح بعريسنا فرحاً يدوم إلى الأبد.

٦ أكتوبر ٢٠٠٥



[٧] أنظر رؤ ٢١: ٢.

- ٦٥ -

«كل ما يعطيني الآب فإليَّ يُقبل، ومن يُقبل إليَّ لا أُخْرِجه خارجاً»

إنجيل يوحنا ٦ : ٣٧

حينما نختار المسيح إلهاً لنا، يبدو لنا أننا نحن الذين اخترناه. ولكن الحقيقة أن أول خطوة نحو المسيح لا تأتي منا ولا من المسيح، وإنما الآب هو المُبتدِئ دائماً في اختيار أَتْبَاع المسيح بصورة غاية في السرِّية لا يدركها الإنسان، لأنها تكون مخاطَبة قلبية، كما هو مكتوب في رسالة أفسس أن الله «اختارنا فيه (في المسيح) قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرة مشيئته»[١]. أما السرُّ المخفي وراء هذا الاختيار والتبنِّي فيكشفه بولس الرسول أنه «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب»[٢].

---

١ أف ١: ٤، ٥.

٢ أف ١: ٦.

يلزم هنا أن ننبه ذهن القارئ أَنَّ اختيارنا قد تمَّ منـــذ الأزل، كما أنه تمَّ في المسيح، وهو الكلمة الذي كان عند الله في البدء[٣]، وهذا يكشف لنا أن بداية حياتنا الإلهية في الله تمَّت منذ البدء.

والعجيب حقاً هنا أن بنوَّتنا لله الآب تمَّت أيضاً منذ البـــدء، وإنما في المسيح الابن المحبوب. يتَّضح هنا للقارئ أن سيرتنا تأخذ وجودها ومعناها وهدفها منذ البدء، وكأنما نحن خليقة سماويـــة كان وجودها في الله ومع الله لحساب مجد الله وغِنَى نعمته قبـــل أية خليقة أخرى، وبُنوَّتنا لله الآب جزء لا ينفصِل عن الله مـــن حيث سبْق الوجود على أية خليقة أخرى!

ولكن ينبغي أن نُظهر هنا شدة تعلُّقنا في المسيح، إن كان من جهة الاختيار أو الوجود أو التبنِّي لله. فالآب اختار أن نكـــون أبناءً له حسب مسرة نعمته، ولكن ليس بمفردنا، ولكن في المسيح وبالمسيح.

وهذا في الحقيقة أساس وأصل وجودنا في الله منذ الأزل أو منذ البدء الإلهي، أي أن سيرة الإنسان الروحية مخبَّأة في سيرة المسيح ابن الله، حيث وجودنا الروحي مرتبط لاهوتياً بوجود المسيح منذ

---

[٣] أنظر يو ١: ١.

البدء لحساب مسرة مشيئة الله الآب ولمدح مجد لاهوته قبل الدهور وفي كل الدهور حتى الأبد.

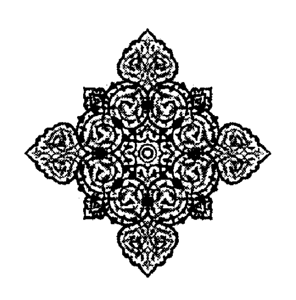
هذه أساسات لاهوتنا، كانت مختبئة في كل الماضي وأُعلِنَت فقط في الأزمنة الأخيرة، حسب استعلان بولس الرسول، الذي حاباه الله بالاختطاف حتى السماء الثالثة، حيث رأى وسمع هذه الأمور وقال عنها إنه لا يسوغ التكلُّم بها لأنها فائقة على المحيط الذهني المفتوح، وأَعطى استثناءً واحداً أن الكاملين فقط يدركون هذه المدارك العالية. ونحن بعد أن استنار ذهننا بمعرفة أسرار المسيح أصبح من اللائق لنا أن نطّلع عليها. وقد سردها بولس الرسول في رسالته إلى أفسس أُمِّ مدائن آسيا الصغرى التي خصَّها بكرازة طويلة ورسالة فريدة، وهي المدينة التي استضافت يوحنا الرسول فيما بعد وكان أسقفها الموهوب.

ومن الأمور المدهشة أن يخصَّ بولس الرسول هذه المدينة ويرسل لها أهم رسائله على وجه الإطلاق، والتي تفتح بصائرنا على معرفة العلاقات الأزلية التي تربط خلقة الإنسان الروحية ببدء أزليَّتها في مشيئة الآب وفي شخص المسيح ابن الله، فتبدو خلقة الإنسان الروحية في غاية الأهمية، والتي على أساسها يقول المسيح آيته الذهبية: «كل ما يعطيني الآب فإليَّ يُقبِل، ومن يُقبِل

إليَّ لا أُخرجه خارجاً». هذه الآية يستحيل فهمها أو تتبُّعها لاهوتياً إلاَّ على نور رسالة أفسس، حيث يبدو الآب هو القائم الأول باختيار الإنسان الجديد وتسليمه للمسيح الابن لتكميل خلاصه، كما أن الآب هو صاحب حقيقة تبنِّي الإنسان حسب مسرَّته الشخصية إنما بواسطة المسيح الابن المحبوب.

وتكاد تكون هذه الآية، التي جعلناها عنواناً لرسالتنا، الآية الوحيدة التي تكشف أهمية رسالة أفسس لاهوتياً، كما هي جوهر سرِّ الاختيار الذي قام به الآب من نحو مختاريه، كما أن هذه الآية تكشف سرَّ التبنِّي للآب، وغاية هذا السرِّ الذي هو تمجيد الله.

٨ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٦٦ -

«ليس بكَيْلٍ يعطي الله الروح»

إنجيل يوحنا ٣ : ٣٤

الروح القدس كما رأيناه وسمعنا به في يوم الخمسين، ينسكب سكيباً من السماء على المختارين، ينـــزل بشبه ألسنة نار، مشيراً إلى طبيعته النارية التي ظهرت جَليّاً في العُليّقة، ولكنها من نارٍ في مظهرها، ولكن جوهر نار الروح القدس نطقٌ إلهيٌ يُعبِّـــر عـــن وجوده بالكلمة، لأن نار الروح جوهرٌ إلهيٌ يُعبِّر عن وجــوده الإلهي بالكلام المُعبِّر عن وجود الله كما في أمر العليقة، وفي نُطْق التلاميذ بلغةٍ يفهمها مَنْ يفتح قلبه لله. وقوله «ليس بكيل يعطي الله الروح» هو إشارة بديعة إلى موهبة الابن التي ظهرت للعَيَان بطرق متعددة ومعجزات متتالية، وبحديثه بكـــلام الله المتعلِّـــق برسالته المزمع أن يكمِّلها حتى الصليب. ولم ندرك عمق لاهوتها إلاّ بعد انطلاقه إلى السماء. وباختصارٍ إلهي، نقـــول إن كَيْـــل الروح القدس لا تَسَعُه السموات والأرض، وقد خصَّ الإنســـانَ الجديد المولود من الروح من فوق، الشيءَ الكثير. فقد استطاع

الروح القدس أن يُلقِّن الإنسان الجديد كلّ ما يخص المسيح والآب، وجهَّزه ليدخل الشركة مع الآب والابن، والقيامة مع المسيح للجلوس عن يمين الآب، وأن يليق للحياة الأبدية، ويَنْعَم بسرِّ الخلود. أيُّ كيلٍ هذا، وبأيِّ معيارٍ تحوَّل الإنسان من خليقة ترابية مآلها اللعنة والموت، إلى خليقة سماوية تحيا بالروح لتنعم بشركة سرِّية فائقة مع الله.

إن الكيل الذي كال به الله عطيته للإنسان من أعظم أسرار الله والوجود، فلا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا نبي، إلاَّ الابن، يمكن أن يُعبَّرَ به عن الكيل الذي كال به الله الروح وسكبه علينا سكيباً. ولكي نوَضِّح الأصل الجديد الذي قُطعنا منه، نسمع المسيح ابن الله يقول: «لأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي»، و«أنا قد أعطيتُهم المجد الذي أعطيتني»[1]، كما حلّ علينا المجد الإلهي الأبوي عندما رُفِعَ يسوع المسيح من الأموات، فرُفِعْنَا معه بمجد الآب، وصرنا في المسيح من «أهل بيت الله»[2] عشيرة جديدة سماوية للإنسان، تنعم بملكوت الله الأبدي، تحيا مع الابن في ظل الآب.

---

[1] يو ١٧: ١٩،٢٢.

[2] أف ٢: ١٩.

نعم نسأل، بأيٍّ كيلٍ أعطى الله الروح للإنسان الجديد؟ شيءٌ يفوق التقديرات البشرية ولا نستطيع أن نتبيَّنه كله، فهو مذكور بإيجاز شديد لا تقدر خليقةٌ ما أن تفكَّ شفْرته!

وعقلنا يتحيَّر، ومهما جاهدنا لا نستطيع أن نعبر الهوَّة التي تفصل الإنسان الساقط قديماً، عن إنسان الله في الخليقة الجديدة، لأن الهوَّة التي تفصل جنسنا عن اللاهوت لا يمكن أن يعبرها عابر، و لم يكن يستطيع أحد أن يقيس الكيل الذي كال به الله هذه النقلة العظمى إلاَّ يوحنا المعمدان الذي رأى الروح نازلاً على المسيح، وهكذا عبَّر عن استحالة قياس الكيل الذي كال به الروح بقوله هذا عن الحقيقة الرهيبة والعظمى: «ليس بكيل يعطي الله الروح»[3].

ويا أحبَّائي، إن نزول المسيح ابن الله ليتجسَّد بجسد إنسان، ويحلَّ فيه «ملء اللاهوت جسدياً»[4]، ويحمل خطايانا في جسده على الصليب[5] ويموت ويُدفن، ويقيمه الآب بمجده وسلطانه، ونحن فيه، لنجوز القيامة المجيدة معه، ونرث ميراثه الإلهي

---

[3] يو ٣: ٣٤.
[4] كو ٢: ٩.
[5] ١بط ٢: ٢٤.

السمائي، هو السرُّ الأول والأعظم لحصولنا على قسط من الروح يفوق عُلوَّ السماء، فنصبح على صورة المسيح ومجده، ونُدعى شركاءَ مع الآب والابن، كل هذا هو السرُّ الوحيد غير المعقول ولا المنطوق به.

فالآن يليق بنا، كأولاد لله، أن لا نكفَّ الليل والنهار عن تمجيد الآب، الذي شاء فولدنا ميلاداً جديداً سماوياً[٦]، واعتبرنا أولاداً محبوبين، وفتح حضنه ليحتضن خليقتنا الجديدة في المسيح، شيءٌ تهتز له السموات والأرض.

٦ أكتوبر ٢٠٠٥



٦ أنظر يع ١: ١٨.

- ٦٧ -

«الحق الحق أقول لكم، قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن»

إنجيل يوحنا ٨ : ٥٨

كان إبراهيم شخصية العهد القديم الأولى، وقد سُمِّيَ أبا الآباء، ويسوع المسيح يقول: «إبراهيم أبوكم»[1]. ولكن صورة إبراهيم أخذت روعتها وفرادها لمَّا طلب منه الله أن يُقدِّم ابنه حبيبه مُحرَقةً، فأطاع إبراهيم إلى أن بلغ به الأمر أن رفع السكين فوق رقبة ابنه، ولم يمنعه أي شيء إلاَّ صوت الله من فوق أن لا يسيء إلى ابنه. وفي الحال رأى خروفاً ممسَكاً من قرنيه في وسط الشجر، فأوحى إليه الله أن يعفي ابنه من الذبح ويقدِّم الخروف عوضاً عنه. فطاعة إبراهيم حُسِبت أها أعظم قدرٍ للإيمان بقول الله. وفي الحقيقة كانت هذه القصة كلها صورةً مُسبقة لتقديم الآب ابنه الحبيب يسوع ذبيحة على الصليب، ولكن العَجَب العُجاب أن يكون ذهن الآب مُنصبّاً على حبه لكل العالم!! والذي يردد هذه الآية هو الرب يسوع نفسه في إنجيل يوحنا:

[1] يو ٨: ٥٦.

«هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»[٢]، هنا يُدخلنا المسيح بهدوء في أعظم عمل عمله الآب فينا ومن أجلنا.

فلو توخَّينا الدقة والانفتاح على أعمال الله في صورة إبراهيم وعمله في القديم جداً، نحكم حكماً قاطعاً وعادلاً أن المسيح كان ولا يزال قبل إبراهيم وأعظم منه. وإن كان إبراهيم قد أخذ أعظم موقف في العهد القديم، فالمسيح لا يزال أعظم منه كمبدأ ونهاية، فهو ألف وياء الوجود، والأول والآخر في التوراة والإنجيل، في الزمن وقبل الزمن وبعد الزمن[٣]. وإن شئتَ فيمكن القول أن المسيح هو الذي أعطى للوجود حقيقته ومعناه، بل وحقيقة كل إنسان. كما يمكن القول بحسب بولس الرسول في رسالته إلى أفسس أن الله الآب اختارنا في المسيح قبل إنشاء العالم[٤]. وواضح هنا كل الوضوح أن إبراهيم قائم في كينونة المسيح، كما وأن بدون المسيح لا يمكن أن يكون لأي إنسان في الوجود اسم أو كيان.

---

٢ يو ٣: ١٦.

٣ أنظر رؤ ١: ٨، ٢٢: ١٣.

٤ أف ١: ٤.

فحينما قال المسيح: «أنا كائن قبل إبراهيم»، فهـذا أعظـم تعظيم لإبراهيم بأن يُذكر اسمه مع اسم المسيح.

وفي اللاهوت، كينونة المسيح قبل إبراهيم لا تكفـي لتغطـي كينونته، إذ هي كينونة أزلية مع الآب. وبمعرفتنا باختيارنـا في المسيح قبل تأسيس العالم، كقول بولس الرسول، كان هذا بدء تاريخ الإنسان فيما قبل التاريخ، أما تجسد المسيح فهو بدء تاريخ الخلاص للإنسان. لذلك يقول المسيح إنه هو البداية والنهايـة، ليس بالنسبة للإنسان فحسب، بل لكل الوجود. فقول المسيح أنه كائن قبل إبراهيم، فهذه مجرد حقيقة ضمنية، ولكنها تُعزَّز ضمناً تفوُّق العهد الجديد فوق العهد القديم، ووصايا المسـيح فـوق وصايا الناموس، وتكشف عظمة الروح فوق سيرة الجسد، وفخر الإنسان الجديد فوق الإنسان العتيق. فإن افتخر اليهود بالعهـد القديم ممثَّلاً في إبراهيم، نرفع نحن رؤوسنا مفتخرين بشركتنا في المسيح والآب. وإن كانت النبوة هي ثمرة العهد القـديم، فقـد أصبح الروح القدس فوق النبوة والأنبياء. لذلك فالإنسان المتجدِّد بالروح، أصبح وطنه السمائي مع المسيح غايته العليا بدل سُكنَى القبور. وإن كان الأبرار في العهد القـديم يرنُـون إلى حضـن إبراهيم، فالصدِّيقون في العهد الجديد يَرْنون إلى الجلـوس مـع

المسيح عن يمين الآب.

وإن كانت الدينونة هي وقفة حزينة في سيرة أصحاب الناموس والأنبياء، فقد أصبح «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هـم في المسيح يسوع»[٥]. وإن صار أسباط إسرائيل الاثنا عشر هـم فخر أسوار أورشليم في استعلائها، فإن الرسل الاثني عشر لهـم عروش حول عرش المسيح يجلسون عليها ليدينوا أسباط إسرائيل. وإن كان أفخر أنبياء العهد القديم مجرد أصدقاء العـريس، فـإن قديسي العهد الجديد وأبناءه المختارين سيكونون هم العروس التي سيُزفُّ إليها العريس عندما يبلغ تاريخ الإنسان النهاية.

٩ أكتوبر ٢٠٠٥

[٥] رو ٨: ١.

- ٦٨ -

«بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً»

إنجيل يوحنا ١٥ : ٥

هذه إحدى خفايا سرِّ المسيح، فالمسيح قوةٌ مستترةٌ لا تعمل في إنسان يعتمد على قوته. كما أنه عالِمٌ بكل شيء، ولكن لا يعمل المسيح في إنسان يتَّكلُ على علمه. وعلى نفس المستوى، حكمة المسيح وقدرته الفائقة، كلها مواهب إلهية فائقة جداً لا تستطيع أيَّة مَلَكَة من مَلَكَات الإنسان اكتشافَها إلاّ إذا جاء ميعادها ومناسبتها، فتخرج منه بهدوء فائق وبدون أي جهد أو اجتهاد. وأوضح نموذجٍ لقوة المسيح الباهرة، ظهر في المرأة نازفة الدم، هذه جاءت بدون أن يراها أحد، ولا طلبت هي شيئاً من المسيح، بل «جاءت من ورائه ولمست هُدْب ثوبه»[١]، فشعرت المرأة بأن ينبوع دمها قد جفَّ في لحظة لَمْس ثوب المسيح. فالتفتَ المسيح حوله وسأل: ''من لمسني؟''، فتعجَّب التلاميذ لأن الكل يزحم المسيح ويقول ''من لمسني؟''. فكشف عن القوة

---

[١] لو ٨: ٤٤.

الإلهية المستترة فيه بقوله: «إن قوةً قد خرجت مني»[٢]، فجـــاءت المرأة أمامه واعترفت بكل شيء. وأعظم مَثَلٍ لقوة المسيح الإلهية التي فيه ظهر عندما وقف أمام الجمع ونادى لعازر مـــن القـــبر، وكان قد مات لأربعة أيام خلَت، فقام لعازر حيًّا[٣]. هذه تُحسب بادرة لقيامة المسيح نفسه من الموت ومعه كـــل خطـــاة الأرض المؤمنين به.

وواضح أن كافة معجزات المسيح تكشف كشفاً واضحاً أن القوى الإلهية كانت كلها فائقة علـــى التصـــوُّر، مخفيَّـــة فيـــه يستحدثها عند الضرورة، وأحياناً بدون طلب من أحـــد، مثـــل مريض بيت حسدا الذي بقى في مرضه راقداً بجوار بركة المـــاء ٣٨ سنة إلى أن أمره الرب أن يقوم ويحمل سريره.

ولماذا جاءت معجزات المســيح بهــذه الكثــرة، وفي كـــل المناسبات؟ طبعاً كان أول سبب لها هو إظهار لاهوته وإرساليته التي من عند الآب لحساب البشرية البائسة، فحياة المسيح كلـــها معجزات أُجريت لحساب البشرية المريضة المتعبة واليائسة؛ ولكن أهم أهداف معجزات المسيح هي ليؤمن الكل برسالته التي نـــزل

---

٢ لو ٨: ٤٦.

٣ آنظر يو ١١.

من السماء لأجلها، أنه يسوع المسيح ابن الله الذي نزل من عند الآب «لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»[٤]. فكل حياة المسيح وأعماله تصبُّ في هدف واحد هو الصليب، الذي تمت فيه وبه معجزة الموت من أجل الجميع، والقيامة من أجل الجميع، كل من يؤمن. فالمسيح كما عرفناه وآمنَّا به، هو ابن الله الذي نزل خصيصاً لخلاص الإنسان. وقد تغلغل المسيح في حياة الإنسان كلها، وأدرك كل ضعفات الإنسان وعَوَزه، وأُعطِيَ من الآب أن يحمل المسيح كل خطايا البشرية وعَوَزها وعوارها وفسادها، وذلك على صليب المجد والخلاص الذي شرب هوانه ومرارته حتى الأعماق ولم يتململ. أما سرُّ الصليب الأوحد الذي ينبغي لكل إنسان أن يعرفه ويؤمن به فهو أن له فيه وفي جسد المسيح المُقام خلاصاً كليّاً وأبدياً يؤهِّله لدخول الحياة الأبدية التي ينالها بقيامة المسيح.

وهنا نأتي إلى سرِّ آية العنوان: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً».

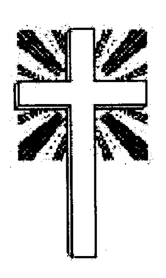
هنا يتكلم يسوع المسيح عن التزامه بخلاص الإنسان أمام أبيه، ويلتفت إلينا ليؤكد لنا أن حياتنا وأعمالنا وجهادات يومنا كلها

---

[٤] يو ٣: ١٥.

هو مسئول عنها، لأن وظيفة الابن التي أُرسل من أجلها موضوعة على كتفيه. وينبِّه ذهننا أن لا نلتفت يميناً ولا يساراً لنبحث عن معينٍ لنا أو نصيرٍ يحمل عنا نِيرنا الذي سُرَّ هو أن يجعله نِيرَه الخاصَّ (مت ١١: ٢٩).

١١ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٦٩ -

«هأنذا واقفٌ على الباب وأَقرع، إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشَّى معه وهو معي»

سفر الرؤيا ٣ : ٢٠

في توصيف المسيح لاتضاعه عندما يفتقد (أي يزور) مختاريه، يعطي هذه الصورة. ولكن افتقاده هنا لا يأتي جزافاً، ففي الداخل رُكَبٌ منحنيةٌ ونفسٌ منسحقةٌ تطلب بلهفة، وقد صار عندها السمع مرهفاً ومتلهِّفاً، وهي لا تتوقع مجيء الرب الإله القادر على كل شيء، ولكن لحْن صلاتها الحزين استرعى سمع المسيح، فمال إليه يفتقده.

لذلك عندما قرع المسيح الباب بشفرة إلهية يفهمها المختارون، وقام الإنسان سريعاً وفتح الباب، تلقَّاه المسيح على صدره وكفكف الدمع عن عينيه، واقتاده الإنسان المتلهِّف إلى لُقْيا الرب إلى مائدة طعام النسَّاك حيث الخبز والملح والماء القراح. ولما كسر المسيح الخبز أدرك صاحب الدار في الحال مَنْ هو هذا الضيف قارع الباب، فقدَّم للمسيح صحن آلامه ودموعه، فأكل المسيح

وصار في شركة مع صاحب الدار. ولكي لا يُخجِل ضعفه وفقره ومسكنته، أعطاه المسيح بيده الخبز الذي صار طعام حبه وخلاصه. وهكذا تعشَّى المسيح مع صاحب الدار، فحوَّل مائدته إلى مذبح سماوي، كما تحوَّل الخبز في فم صاحب الدار إلى وليمة سماوية تشتهيها الملائكة.

يا إخوة، هذه الرواية التي وردت في سفر الرؤيا تحتاج لمن يفكَّ لغزها، فهي تدور كلها على سماع صوت المسيح في القلب، لأنه كم من أبوابٍ قرع المسيح عليها فلم يكن مَنْ يجيب، لأنه لم يكن هناك مَنْ يسمع ويفرز الصوت. الأذن المسيحية يلزمها جداً أن تتدرب على سماع صوت المسيح. فكم من موائد أعدَّها أصحابها و لم يوجد من يتعشَّى بها، وكم من نفوسٍ أعدَّت مائدتها للعشاء، ولكن لم يكن من يسمع، فيمرُّ المسيح وليس من سامع. إن هذه الآية التي وردت في سفر الرؤيا هي تحذيرية بكل معنى، فنحن في الأيام الأخيرة، والمسيح هنا يفتقد كطقس الأيام الأخيرة.

ولكن إن نحن دخلنا أعماق هذه الآية، نكتشف أن المسيح يقولها عن حزن، إذ أن الخطاة أعوزتهم الرؤيا السديدة، إذ كان يجب، نحن البشر الخطاة، أن نكون أصحاب المبادرة ونقرع على

باب المسيح، متوسلين إليه في حالة تواضعنا أن يمدَّ يده ويُدخلنا إليه، لنجد نعمة وراحة واستجابة. فكوننا تأخرنا عن الواجب علينا، ألزمناه في كبريائنا أن يأتي هو إلينا يجوب الشوارع والحارات ويقرع على بابنا. وبصدد هذا يقول المسيح، كل «مَنْ يُقبل إليّ لا أُخرجُه خارجاً»[1]، يقول هذا وهو صادق وأمين أن ينفِّذ ما يَعِدُ به. فأنظر، يا عزيزي القارئ، الفارق بين وضع المسيح ابنِ الله وهو يأتي إلينا ويقرع بابنا، مع أن الواجب والحق أن نبادر نحن بقرع بابه.

وفي قوله السرِّي «أَدخل وأتعشَّى معه» سرٌّ رهيبٌ، ففي عشائه معنا يستتر سرُّ إعطائه لجسده ودمه، لقبول النقلة السعيدة من الأرض إلى السماء كخليقة جديدة وُهبت لنا لنكون من «أهل بيت الله»[2]، إعداداً لقبول الحياة الأبدية عنده.

بهذه يكون المسيح في هذه الآية وهو يقرع بابنا، يقدِّم تأنيباً شديداً لقصورنا في التعامل مع المسيح. كما وإن في هذه الآية نوعاً من التواضع الإلهي يجعلنا في أشدِّ اليقظة، حتى إذا سمعنا صوته استجَبْنا في الحال، لأن مَنْ هو الإنسان حتى يستضيف ابن

---

[1] يو ٦: ٣٧.
[2] أف ٢: ١٩.

الله؟ إنها رِفْعة إلى فوق، تضعنا في مستوى أصدقاء المسيح وأحبائه دون أي جهد من قِبلنا، لأن قبول المسيح هو بمثابة عطية سمائية بحد ذاتها، تحسبنا مع السمائيين كأحباء وإخوة. صحيح أن في قرع المسيح لبابنا توبيخاً أدبياً، ولكن الربح من وراء دخول المسيح إلينا، يكون بمثابة حصولنا على وثيقةِ قبولٍ أمام الآب تؤهِّلنا للجلوس مع المسيح عن يمينه.

١١ أكتوبر ٢٠٠٥



«الذي أحبَّنا، وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه، وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه، له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين»

سفر الرؤيا ١: ٥، ٦

الحب الإلهي الذي انسكب علينا من الآب والابن يكشف عمق جوهر الله القائم على الحب. فالآب أحبنا وأرسل إلينا ابنه خصيصاً حتى «لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية»[١]، والابن غسلنا بدوره على الصليب من كل إثم وخطية، وجهَّزنا لكي يمنحنا الآب شركة حقيقية في ملكوته الأبدي، أي جعلنا ملوكاً مع الآب، وتولَّى غفران خطايانا بدمه ككاهن لله أبيه لأنه ذُبِحَ عنا ودخل بذبيحته قدس أقداس الله في السماء حاملاً أسماءنا كرئيس كهنة[٢].

وهكذا صرنا ملوكاً وكهنة لله أبيه، وهو قائم أمام الله يشفع فينا، وقد استمدَّ شفاعته من بنوَّته لله الآب ومن قداسة طبيعته

---

[١] يو ٣: ١٦.

[٢] أنظر عب ٩: ١٢، ٢٤.

التي وهبنا إيَّاها بفدائنا على الصليب.

وهكذا صرنا شركاءَ الآب في حياة أبدية، وهبنا إيَّاها لمَّا فدانا الابن وأهَّلنا للبنوَّة لله، وحينما جعلنا شركاءَ مع الابن في تجسده وموته على الصليب وقيامته المجيدة.

وهكذا أصبحت شركتنا مع الآب والابن سرَّ تفوُّق خلقتنا الجديدة بالروح، وأهَّلتنا أن نكون ملوكاً وكهنة لله الآب الذي له السلطان والمجد الدائم.

وهكذا أصبحت خليقة الإنسان الجديدة هي الخليقة الأولى والعظمى التي تنطق بالتسبيح والمجد لله في علاه. وهكذا تمَّ ما علَّمَنا المسيح به في الصلاة التي علَّمنا إيَّاها: «أبانا الذي في السموات. ليتقدس اسمك. ليأتِ ملكوتك... كما في السماء كذلك على الأرض»[٣]. وبهذه الصلاة الهتافيَّة صارت إرادة الله وتسبيحه على الأرض وفي السماء معاً بواسطة الإنسان، إذ ليست خليقة منظورة على الأرض أو في السماء لها موهبة النطق إلاَّ الإنسان وحده. ولأجل الإنسان الناطق بتمجيد الله كان أن طبيعة المسيح الكلمة انكشفت للإنسان وحده الذي حاباه الله

---

[٣] مت ٦: ٩، ١٠.

بالنُّطق ليدرك "الكلمةَ" المسيحَ إدراكاً إلهياً كاملاً دون جميع الخلائق الأخرى. فالإنسان جُبِل ناطقاً ليدرك جوهر الكلمة، كما أن "الكلمة" المسيح تجسد خصيصاً ليكون شريكاً للإنسان في النطق والمعرفة. وواضحٌ أن الإنجيل هو الخلاص الذي تمَّ بالكلمة، فالكلمة في جوهرها الإلهي كانت هي المسيح ابن الله، وعملها الإلهي هو كشف طبيعة الله ليقبلها الإنسان بالنطق البشري. ولمَّا أعطى المسيح "الكلمة" معرفة كل ما عند الآب، دُعينا أبناءً، وانمحت منا صفة العبيد إلى الأبد. وبينما الكلمة في مفهومها الإلهي هي المسيح ابن الله، نجد أنها عند الإنسان الناطق بالإلهيات هي اللاهوت بالاستعلان. أما السرُّ الذي يربط الإنسان بالمسيح فهو الحب في أعلى مفاعيله الإلهية، وليس المسيح فقط هو الذي أحبنا بل والآب أيضاً: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد»[٤] لخلاص كل مَنْ يؤمن بالآب والابن، كذلك فإن محبة الآب لنا جعلته هو الذي يجذبنا للخلاص بابنه. «لا يقدر أحد أن يُقبِلَ إليَّ إن لم يجتذبه الآب»[٥] أولاً.

وهكذا في كلمتين تمَّ خلاص الإنسان: الحب عند الآب

---

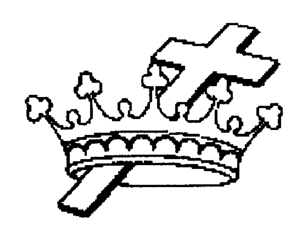
[٤] يو ٣: ١٦.

[٥] يو ٦: ٤٤.

والابن، والإيمان عند الإنسان. وأعلى عطية نالتها خليقة ما في السماء والأرض هي عطية المسيح الكلمة، بأن جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه. وهكذا سنملك مع المسيح كل ميراث الابن[٦]، ونشترك في كهنوته ككاهن أعظم ليقدمنا إلى أبيه مغسولين بدمه.

ولمّا كان المسيح هو رأس جنسنا البشري الذي وهبه الله كل ما في السموات والأرض، وهو الذي أُعطي أن يملك فوق كل ملوك الأرض وكل سلطان في السماء، صارت البشرية فيه أغنى خليقة، إذ نالت مع المسيح كل ما لمسيح الله.

١٢ أكتوبر ٢٠٠٥



---

٦ أنظر رو ٨: ١٧ ، غل ٤: ٧.

- ٧١ -

«اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرَّه، وهذه كلها تُزاد لكم»

إنجيل متى ٦: ٣٣

من منطوق الآية التي قالها المسيح، نفهم تماماً أن ملكوت الله وبرَّه هو أهم ما يُعْوِز الإنسان على الأرض. والمسيح يخاطب العائشين تحت سلطان العالم، أو المنشغلين بهمِّ الدنيا، والمسألة لا تحتمل هنا اختياراً لحاجات الإنسان في العالم التي تشغله عن أهمِّ هدف لحياته الحاضرة والمستقبلة، أي ملكوت الله. علماً بأن كل حاجاتٍ الإنسان في العالم تُشتَرى بالغالي والرخيص، أما ملكوت السماء فلا يُشتَرى، إنما يغتصبه الإنسان لنفسه بكل ما أُوتى له من قوة روحية وتمسُّك بالله والمسيح، ووسيلته الوحيدة هي الصلاة والإنجيل والصوم. ملكوت السموات يُغتَصَب، والغاصبون قد وضعوا في قلوبهم أن ملكوت الله هو غايتهم النهائية، يختطفونه اختطافاً[١]، لأنه لا يُباع ولا يُشترى، ولا يمكن أن يساوي ملكوت الله أية عطية أخرى فهو أعظم عطية في

---

[١] أنظر مت ١١: ١٢.

الوجود. وقلنا ونقول إن ملكوت الله لا يقابله أية مقارنة أخرى، لأن خسارة ملكوت الله هي الجحيم وهي مَثْوى الشيطان وكل جنوده وكل من يتبعه.

وقول الآية «ملكوت الله وبرّه»، يعني أن الملكوت لا تطأه نفسٌ غير بارة، فالبر ملاصق للملكوت، والبر عكسه الرفض والحرمان من الله. فالبر أصلاً يليق بالله والمسيح، والأبرار من المختارين يضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم[2]. والإنسان البار هو إنسان متعاظم في القداسة يعبد الله نهاراً وليلاً. أما «ملكوت الله» فهو بيت الله يَضُمُّ أهل الله القديسين. والعائشون في بيت الله الذي هو الملكوت يُسبِّحون الله ويمجدونه ويعطونه كل ما يليق من السجود والعبادة، لذلك فأبناء ملكوت الله هم أبناء الله، وحياتهم الجديدة مستترة مع المسيح في الله[3].

ومن قول المسيح «اطلبوا ملكوت الله» يتضح أن ملكوت الله، ولو أنه يُغتصب اغتصاباً والغاصبون يختطفونه، إلاَّ أنه في ذات الوقت هو أعلى من كل ما يُعمل لذلك، إذ يبقى أنه **عطية** يلزم أن تُطلَب. فإضافةً إلى أنه في متناول الإنسان البار، ولكن يبقى

---

٢ أنظر مت ١٣: ٤٣.

٣ أنظر كو ٣: ٣.

أنه يلزم طلبه بإلحاحٍ الليل والنهار، لأنه على مستوى الله وليس الناس.

ويذكر المسيح المعوِّقات التي تعوِّق الإنسان عن طلبه الملكوت وجهادَ النفس لامتلاكه، فمثلاً يضع المسيح الانشغال بالأكل والشرب إلى الدرجة التي لا يتبقّى فيها للإنسان الزمن الكافي لطلب الملكوت، لهؤلاء يقول المسيح: «اُنظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن»[٤] ولكن الله يُقيتها، فبالأولى يُقيت مختاريه. وأيضاً الاهتمام بالألبسة، يقول المسيح اُنظروا زنابق الحقل إنها لا تتعب ولا تغزل والله يُلبسها أفضل مما كان يلبسه سليمان في كل مجده[٥]. ولكن قصد المسيح هنا ليس على هذه الأمور على الإطلاق، ولكن أن نُعطي لملكوت الله اهتماماً خاصاً، لأنه عطية سماوية تختص بحياتنا الأبدية وعلاقاتنا مع الله.

وفي مَثَلٍ آخر يقول المسيح مشيراً إلى هموم العالم وأعوازه التي تُلهي الإنسان عن خلاصه وحياته الأبدية: «ثقوا أنا قد غلبتُ

---

٤ مت ٦: ٢٦.

٥ اُنظر مت ٦: ٢٨، ٢٩.

العالم»[٦]. والمسيح يضع نفسه ليس مثلاً أعلى لطلب الملكوت، بل لأنه يعرف ما في العالم، يؤكد لنا أنه واقف بالمرصاد حتى لا يغلبنا العالم، مشيراً إلى مساعدته وعونه لنا كغالب فهو صديق الغلبة والخلاص ومُعطيها!

والمسيح بعد كل هذا يقدِّم لنا تأكيداً إلهياً أنه إذا انشغلنا حقاً بملكوت الله فإنه يَعِدُنا بتوفير أعوازنا من مأكل ومشرب وملبس، لأننا أفضل عنده من الطيور، وأعزُّ من زنابق الحقل.

١٢ أكتوبر ٢٠٠٥



[٦] يو ١٦: ٣٣.

- ٧٢ -

«الكلام الذي أكلمكم به هو روحٌ وحياة»

إنجيل يوحنا ٦ : ٦٣

يسوع المسيح هو الكلمة الحقيقية الإلهية الناطقة، فهو حتماً ينطق بالروح، وكلمته هي حياة أبدية لكل من يسمعها ويَعِيها. لذلك فإن يسوع المسيح ابن الله لمَّا تجسد، كان حقاً الروح والحياة لذلك يسميه الرسول بولس «الرب الروح»[1]. لذلك نسمعه يقولها: «من يؤمن بي ويسمع كلامي فله حياة أبدية»[2]. والحياة التي يعطيها المسيح حياة أبدية، لذلك تحتَّم أن يرافق الحياة التي يعطيها المسيح إقامة عجيبة من الأموات في اليوم الأخير.

لهذا كان إرسال الله للمسيح ابنه، أعظم عملية يسمع بها الإنسان، وكان لذلك أول مرة يسمع فيها الإنسان أن الكلام الذي يقوله المسيح «روح وحياة». وهنا يقول المسيح: «من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية... وأنا أقيمه

---

[1] ٢ كو ٣: ١٧.

[2] أنظر يو ٥: ٢٤، ٦: ٤٧.

في اليوم الأخير»[٣]، فصار هذا الوعد بمثابة إنقاذ الإنسان من الورطة التي وقع فيها حيث ارتكب الخطية وبها اكتسب لنفسه الموت واللعنة. فنحن الآن أمام سرِّ الله الأعظم في إرسال ابنه لعالم الإنسان الخاطئ والملعون، وكان هذا بفضل المسيح «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة»[٤] ومات فدْية عن كل إنسان وغفراناً لخطايا العالم كله[٥]. وهذا السرُّ الأعظَم كلَّف المسيح احتمال عار الصليب وكارثة موته. ويقول الكتاب إن في الصليب تحمَّل المسيح أن يكون هو خطيةً وهو القدوس الطاهر الذي بلا عيب[٦]، وأنه بالصليب «صار لعنةً لأجلنا»[٧]، لأن الصليب محسوب في العهد القديم أنه لعنة.

فعلينا، يا إخوة، أن نتصوَّر فداحة الفدْيَة التي أكملها المسيح عنا، وكيف نجح الله في إنقاذ الإنسان بموت ابنه على الصليب. فالمسيح من عمق الموت ومحنة اللعنة التي اكتسبها من أجلنا، يتكلم كلام الروح والقيامة والحياة الأبدية التي اكتسبها من عمق

---

[٣] يو ٥: ٢٤، ٦: ٤٠.

[٤] ١بط ٢: ٢٤.

[٥] أنظر أف ١: ٧، كو ١: ١٤، أع ٢٦: ١٨.

[٦] أنظر ٢كو ٥: ٢١.

[٧] غل ٣: ١٣.

آلامه، فهي عطايا إلهية فائقة الوصف وفريدة بين كل عطايا الله غير المحدودة، والتي صار بها كلام المسيح بحدِّ ذاته مُحيياً، ومَن يسمعْهُ لا يموت، لأنه يكون قد ورث الحياة التي في الكلمة. أمر مذهل للعقل، فكلام المسيح بحدِّ ذاته صار ترياق عدم الموت، يعطيه المسيح مجاناً، مع وعد إلهي أنَّ الذي يأتي إلى المسيح لا يُخرجه خارجاً بل يُصبح من خاصته[8].

يا إخوة، إن إنجيل ربنا يسوع المسيح صار لنا مثل سلَّم إلهي سرِّي رأسه مسنودة في السماء وقاعدته في بيت الخاطئ، لا يرقَى إليه إلاَّ الخطاة التائبون الذين اشتروا الحياة بموهم عن الخطية، واغتسلوا مجاناً بدم المسيح، الذي هو الفدية الموهوبة للإنسان حتى يصير بها من أهل الله[9] بعد أن كان محسوباً من أهل الخطاة.

يا لسعادة الذين جلسوا مثل مريم أخت لعازر يسمعون كلام المسيح، فهي سعادة لا تُحسب من العالم، بل سعادة يضمُّهم فيها المسيح إلى صدره ويحبهم بقدر ما يحبونه، بل ويُظهر لهم ذاته حسب الوعد[10]، ووعد المسيح قائم يناطح السماء.

---

[8] أنظر يو ٦: ٣٧.

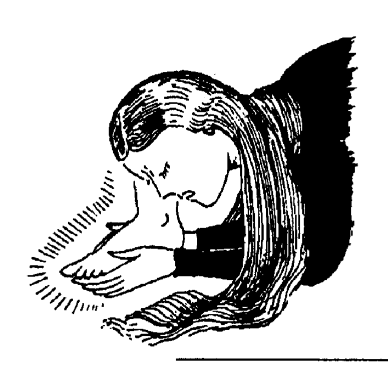
[9] أنظر أف ٢: ١٩.

[10] أنظر يو ١٤: ٢١.

ولكي يُثبت المسيح أن كلامه روح وحياة، نادى لعازر الميت الذي كان له أربعة أيام في القبر، فقام لعازر من بين الأموات وهو ملفوف بلفائف التكفين. فأَمَرَ المسيح أن يحلُّوه ويَدَعوه يذهب. حدثٌ لا يُحسب من أحداث الدنيا، ولا يمكن أن نعبر عليه بسهولة، فهذه أول مرة يقوم فيها ميتٌ علانية، وقد كرَّرها القديس بطرس في قصة طابيثا[11] حتى لا يقول أحد إنها صدفة.

يا إخوة، إن مسيحنا لا يزال يتكلم بكلام الروح والحياة، ويطلب سامعين ليتحققوا من صِدْق دعواه.

١٢ أكتوبر ٢٠٠٥



[11] أع ٩: ٤٠.

- ٧٣ -

«ومهما سألتم باسمي، فذلك أفعله ليتمجَّد الآب بالابن»
«إن سألتم شيئاً باسمي، فإني أفعله»

إنجيل يوحنا ١٤: ١٣، ١٤

هنا التركيز على الاسم، وكأنه شفرة بين الآب والابن. فاسم يسوع المسيح عند الآب ثمين جداً جداً لأن الآب يحب الابـــن، فرباط الحب بين الآب والابن دُفع ليكون فعَّالاً لحساب الإنسان.

إنها روعة اللاهوت حينما يصير لخدمة الإنسان المعتاز والمقهور أمام انجراف حوادث العالم ومضايقات عدو الخير. فمهما كانت مشاغبات هذا الدهر وحقد الشيطان على المجاهدين وراء المسيح، فإذا صرخوا إلى فاديهم طالبين المعونة والخلاص، فإن أُذن المسيح تسمعهم واستعداد المعونة جاهزٌ عنده من أجل المسرَّة، مســرَّة الآب بإنقاذ أولاده من ظلم هذا العالم وضيق الأيام. واســتجابة المسيح الفورية حاضرة عنده، لأنه عالِــم أن كل ما يعمله، فهو يعمله باسم الآب ليتمجد الآب بالابن. وهنا ننتبه إلى العلاقة بين الآب والابن أنها ردٌّ فعلٍ لِمَا يعمل الابن. فهنا اللاهوت يبــدو

متماسكاً لحساب الإنسان، ويزداد وضوحاً أمام الإنسان لو أصغى جيداً لما يفعله المسيح، لأن المسيح حاضرٌ بالآب في كل ما يعمله، وكأنه يُكرم الآب حينما يلتفت إلينا ويعيننا. هذا سرُّ اللاهوت الذي صار في خدمة الإنسان الضعيف المُهان. كما تتجلّى هنا عظمة الآب أنه يعتني بنا في شخص ابنه يسوع المسيح.

إن دارس اللاهوت يلزمه جداً أن يطّلع على هذه الآية لأنها تكشف معنى أن الآب والابن واحد، لأنه فيما يخص الإنسان تظهر هذه الوحدة كرابطة سرِّية بين الآب والابن. فكون الآب والابن واحداً هنا، لا يهم الآب أو الابن في شيء أن نستعلن رابطتهم السرّية، ولكن الذي يهمنا جداً هو أن نعلم أن وحدة الآب والابن تظهر بقوة في العمل، أي عمل الابن، لأنه يظهر هنا أن الابن يعمل لمجد الآب ومسرته. فالوحدة في اللاهوت أمر يخصُّنا وبه نحيا ونعيش، كما أن دراسة اللاهوت ووحدانية الآب والابن ليست فذلكة معرفة أو تعالياً في الإدراكات، ولكن الوحدة في اللاهوت تُقيم حياتنا وتنعكس مجداً للآب. ولكن يبقى بعد ذلك أن المسيح الابن ليس بالضرورة يسأل الآب عما يعمله، ولكن المسيح حرٌّ في ذاته يعمل من نفسه من جهة

الاستجابة لدعائنا. لذلك تأتي الآية الثانية هامة جداً في توضيح حرية الابن في العمل، لأنه في الحقيقة يعرف أن كل ما يعمله إنما هو لتمجيد الآب.

لذلك ينبغي لنا في دراسة اللاهوت أن نعرف ونتيقّن أن الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس إنما عملهم واحد، ولكن موزَّع عليهم بحسب اختصاصهم وليس بحسب طبيعتهم، لأن طبيعتهم واحدة وعملهم أيضاً واحد، إنما متنوع الاختصاصات، وكل ما يعمله الأقنوم الواحد إنما يعود بالمجد لباقي الأقانيم.

ومن جهتنا نحن، فحينما نمجد الآب، يصير المجد للابن وللروح القدس بالضرورة، فالمجد لله دائماً أبدياً آمين.

والرب في كلامه يقول: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل»[1]، كما أن المسيح يقول عن ذلك إن الروح القدس «يأخذ مما لي ويخبركم»[2]، فالروح القدس يعمل لحساب الابن، والابن يعمل لحساب الآب، ليتمجد الله في كل عمل وكل قول باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد.

---

[1] يو ٥: ١٧.

[2] يو ١٦: ١٤.

ولكن الذي يسترعي انتباهنا في هذه الآية التي جاءت كعنوان للمقالة، أن استجابة المسيح الفورية لكل سؤال يؤول إلى خلاصنا، هي استجابة من واقع العلاقة التي تربطنا بالمسيح. فالمسيح مهما كان، هو أيضاً أخونا البكر، فأذناه دائماً صاغية إلينا. ويقول الإنجيل على لسان المسيح ما معناه إنه قبل أن تسألوا فأنا سامع وأستجيب[٣]، هنا إشارة إلى التداخل العجيب الذي للمسيح في حياتنا، مما يشجعنا جداً على السؤال والطلبة، فهو القائل كلُّ مَنْ يسألْ يأخذ، وكلُّ مَنْ يطلب يُستجاب له، وكل من يقرع يُفتح له[٤].

وهذا وعد ثلاثي مترابط مُهدَى إلينا من قِبَل المسيح.

١٣ أكتوبر ٢٠٠٥



---

[٣] أنظر إش ٦٥: ٢٤.

[٤] مت ٧: ٨، لو ١١: ١٠.

- ٧٤ -

«إني أنا حيٌّ، فأنتم ستحيون»

إنجيل يوحنا ١٤: ١٩

هنا وكأن المسيح له القدرة والقوة التي بها سيَهَبُ حياته لنا. وبمعنى آخر وكأن المسيح هنا يَهَبُنا حياته. ولكن أليس من أجل هذا أُرسل المسيح من قِبَل أبيه ليَهَبَنا هذه الحياة. ولكن ما أصعب الطريق الذي سار فيه المسيح خطوة خطوة ليكسب لنا مواقع ثابتة على برنامج حياته. وهو هنا يستبق الحوادث ويختصر لنا برنامج حياته الذي حَفَلَ بأهوال كثيرة. المسيح لا يذكر تعييرات أهل بيته، أو شكوك التلاميذ، أو ملاحقة الكتبة والفريسيين، أو محاولة القوم الذين كان يعظهم أن يلقوه من فوق الجبل الذي كان واقفاً عليه، أو خيانة تلميذ من تلاميذه وبيعه بثلاثين من الفضة، ثم إرشاده العساكر والجند وخدام الهيكل إلى موضعه السرِّي على جبل جثسيماني، وأخيراً باعه بأغلى ثمن في الوجود وهو قبلة على وجه المسيح!

وهو لا يذكر هنا أهوال التحقيق أمام بيلاطس، ومهزأة

العساكر وضربه على رأسه، وأخيراً حَمْل الصليب ودقّ المسامير.

فهو يختصر طريق الأهوال التي جازها من أجلنا حتى الصليب والموت، وفجأة يفاجئنا بقوله: «إني أنا حيٌّ، فأنتم ستحيون»، وذلك قبل أن يجوز كل ما جازه. وأليس هذا من شيمة الإله ابن الإله؟ فهو يرى نفسه بالرغم من كل ذلك أنه حيٌّ، فيهبنا حياته كأنها مجاناً، مع أنه قد دفع ثمن نقل حياته لتكون حياتنا، دفعها عبر الموت!!

هذا هو جبروت محبة الآب للعالم، ومحبة الابن للخطاة. ثم نوجِّه أنظار الإخوة الأحباء إلى أن الحياة التي نحياها الآن، والتي سنحياها فوق، هي هي حياة المسيح!! وبولس الرسول يدري هذا ويصرِّح: «فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ»[1].

فانظروا، يا إخوة، أية حياة تحيونها حقاً!! أهي حياتكم أم حياة المسيح؟ وإن كانت حقاً وبالحقيقة حياة المسيح، فلماذا تظهرون وكأن حياتكم هي مِلْكُكم، كما تُصرِّحون أحياناً وتقولون إنكم أحرارٌ في حياتَكم، وإن لم تقولوا هذا علناً فأعمالكم تثبت أنكم أصحاب حياتكم وتعملون ما تشاءون.

---

[1] غل ٢: ٢٠.

عودة إلى تسجيل الإنجيل لقول المسيح: «إني أنا حيٌّ، فأنتم ستحيون». إنها مقولة إلهية لا رجعة فيها، لذلك يلزمنا جداً أن نمسك بها ونسير على هداها، فحياتنا الأبدية قد تسجَّلت لنا من فم المسيح وينبغي أن نعمل لها من الآن. فحياتنا الحاضرة وُهبَت لنا لكي نعبر بها الموت ونقوم. فالموت لن يكون غريباً علينا، ولا هو على سبيل العقوبة بحسب ميراث الخطية السالف، بل زيارة في القبر محصورة في ثلاثة أيام عَبَرَ فيها الرب الموتَ لحسابنا. فمهما كانت السنين التي سنقضيها في الموت فقياسها في نظر المسيح هي ثلاثة أيام، ضريبة ندفعها مثل أرواح أسلافنا، ولكن القيامة حتمية كحقيقة حياة المسيح فينا. فقول المسيح: «إني أنا حيٌّ، فأنتم ستحيون»، هي بمثابة قَسَم إلهي أننا حتماً سنقوم لنحيا مع المسيح.

هكذا يسلِّمنا المسيح دستور إيماننا وحياتنا وقيامتنا، و«السماء والأرض تزولان»[٢]، ولكن كلام المسيح ووعده لا يزولان، فلابد أن يتمَّ بكل دِقَّتِه ليصير المسيح صادقاً، ويصير إيماننا كدستور لا يهتزُّ.

وحيث إن المسيح الآن حيٌّ في السماء يضيء الوجود الإلهي،

[٢] مت ٢٤: ٣٥.

فيكون المسيح بقوله: «إني أنا حيٌّ، فأنتم ستحيون» قد أعطانا بمثابة شركة حياة تمتد في حياة المسيح لتشمل الحياة الأبدية عن ضرورة وحتميَّة.

فافرحوا، يا إخوة، فإن حياتنا الأبدية هي رهن صدق المسيح ووعده.

١٣ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٧٥ -

«في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فيَّ، وأنا فيكم»

إنجيل يوحنا ١٤: ٢٠

في ذلك اليوم، أيْ يومَ أن تجوزوا القيامة السعيدة، وتُدعَوْن للدخول في ملكوت الله، حيث ترون مجد الآب علانية في بهاء ونورانية فائقة على الرؤية. أما الابن فهو حبيب البشرية الأعلى يكون حيث نكون بمجد أبيه، وفي حالة شركة إلهية منيرة ومبهجة مع الإنسان المَفدِي والممجَّد في مجد الآب والابن[١].

حينئذ ندرك أيها الإخوة جوهر اللاهوت وضياءه الباهر. الآن نسمع عنه ونؤمن به ونتوسل إليه ونقدِّم قلوبنا له، لأن مجد الآب والابن يملأ السموات كلها ويضيء على وجوه المخلَّصين، والملائكة ورؤساء الملائكة لا تكفُّ عن الهتاف لمجد الله، وتعطي البشرية المستنيرة بنور الآب والابن السلام والبركة بتسبيح يدوم إلى الأبد.

يا إخوة، نحن الآن نقرأ ونسمع ونتعلَّم عن مقدار ضياء وبهجة

---

[١] أنظر رؤ ٧: ١٧، ١٤: ٤.

الملكوت، والكل يضجُّ بتمجيد الله وإعطاء الحب والتسبيح والهتاف للآب والابن والروح القدس الذي يقود البشر في جوقة المجد، ويسند ضعف الإنسان في مهرجان اللاهوت الفائق الوصف، ولكن عندما نكون مشتركين في هذا الهتاف ينعكس علينا نور الآب والابن فنضيء كالشمس في حضرة الله، حيث تكون علاقتنا بالآب والابن والروح القدس في أعلى مظاهر مجدها، فنُحسَب مع السمائيين كخورس يضجُّ بالحمد والشكر والتسبيح، لأن عطايا الآب والابن ستُستَعلَن، وسنُظهَر في بهاء مجد الله كشركاء، يضمُّنا الروح القدس معاً مع الآب والابن، فنتراءى في خيرية الله العظمى، محسوبين مع الآب والابن. ومن يصدق هذا، لأن نعمة الآب والابن ستتعاظم جداً إلى الدرجة التي تَغِيرُ فيها الملائكة ورؤساء الملائكة من خليقة الإنسان التي سترتفع بمجد الله إلى أَوَجِ المجد.

أما كيف سنكون في الابن، والابن في الآب، وتتحقق فينا وحدة الوجود الإلهي، فهذه هي عظمة التدبير الأبوي الذي خطّطه الله منذ الأزل، لنكون واحداً في الآب والابن بالروح القدس[٢]. وهكذا يتمجد الآب فينا ونَستعلِن فينا سبق نيَّة الآب

---

٢ أنظر يو ١٧: ٢٣.

أن نكون واحداً لمجد الله وتسبيحه.

الآن نعرف بعض المعرفة[٣]، ونكاد لا نصدِّق هذه المواهب المسكوبة علينا، لأننا ضعفاء وقد تغرَّبنا عن الله كثيراً، واستُعبدنا مسافةً زمنيةً متسعة لعدوِّنا اللدود الذي ما فتئ يجدِّف على الله فينا، فأذلَّنا كعبيد للخطية والشر، ولولا نجدة الابن الذي أرسله الآب لينقذنا من العدو وعبادة هذا العالم الكاذب، لصرنا أَبأَس خليقة في الوجود. ولكن رَفَعَنا المسيح من حضيض الوجود ليضمَّنا إلى وحدة الآب والابن، ونُحسَب واحداً مع المسيح والآب.

يا إخوة، أنا متيقِّن أننا سنَستَعلن عظمة الخلاص الذي اختصَّنا به المسيح حينما نرتفع ونصبح خورساً سمائياً يسبِّح بمجد الله. الآن، كما في مرآة نرى حظَّنا ونصيبنا في المسيح والآب، ولكن هناك ستكون الرؤية عيناً لعين[٤]، حيث تذوب أحزاننا وآلامنا وحرماننا من الله الذي أذاقنا إياه العدو، ونعود إلى سرِّ الحب الذي أحبنا به الله «حتى بذل ابنه الوحيد»[٥]، لينجِّينا من العالم

---

٣ أنظر ١كو ١٣: ١٢.

٤ أنظر ١كو ١٣: ١٢.

٥ يو ٣: ١٦.

الحاضر ورئيسه الظالم القاسي[٦]، وليعطينا الغلبة والخلاص الذي به نغلب العالم باسم الآب والابن ومعونة الروح القدس.

وإن كنا الآن نُسبِّح تسبحة موسى وعبورنا البحر الأحمر بالذكرى وحسْب، ولكن هناك سيُلقِّنوننا سرَّ تسبحة موسى والخروف، ونحن لابسون تيجان الخلاص[٧].

١٤ أكتوبر ٢٠٠٥



٦ أنظر غل ١: ٤.

٧ أنظر رؤ ١٥: ٣،٤.

- ٧٦ -

«وهذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أَرسَلْتَه»

إنجيل يوحنا ١٧: ٣

من أجمل المقابلات أن يضع المسيح هنا معرفة الآب والمسيح أنها هي الحياة الأبدية. هذا هو اللاهوت البديع أن تكون معرفة الآب والابن تساوي الحياة الأبدية. وباختصار نقول: إن المعرفة هي حياة، ومعرفة الآب والابن معاً هي الحياة الأبدية. فالآب جَبَلنا بنفخة من روحه، إذ اختارنا في المسيح قبل إنشاء العالم[١]، والمسيح خلّصنا بجسده الممزَّق على الصليب، وهكذا ورثنا الحياة الأبدية كخليقة جددها الآب والابن لنفسه.

وهنا نلاحظ أن المسيح يجعل «**الإله الحقيقي**» تعبيراً عن الآب، والابن كمرسَل من عند الآب، وكلمة «**الإله الحقيقي**» تعبيراً عن جوهر اللاهوت الخالص تخصيصاً عن فرادة الله، أي ليس عن أية آلهة أخرى كاذبة.

---

[١] أنظر أف ١: ٤.

والمعرفة هنا ليست معرفة عقلٍ وفهمٍ، ولكن معرفة استعلان حقيقي لجوهر الآب والابن المتعالي على كل معرفة. لأن معرفة الاستعلان تكاد تكون نتيجة شركة واختبار روحي خالص. فالاستعلان معرفة عملية واقعية، حيث تكون هنا معرفة اللاهوت، أي الآب والابن، شركةً حقيقيةً عالية القدر تغوص إلى أعماق الوجود الإلهي. أو بطريقة أخرى، نقول إن الاستعلان هو واقع الوجود البشري في الوجود الإلهي، حيث هنا يدخل المحدود في اللامحدود لينفرش عليه غير المحدود ويغطِّيه قياساً بقياس، والقياس هنا إلهي حيث يكاد ينغمر المحدود البشري في اللامحدود الإلهي، فيتَّسع مجال المعرفة عند الإنسان الموهوب حتى يتطابق البشري على الإلهي تنازلاً من الله أقصى التنازل.

وهذا هو التفسير الوحيد لقول المسيح: "أنا فيهم، وأنت فيَّ" لنصير إلى واحد[٢]. فهنا تفوق هذه المقولة قدرة الإنسان على المتابعة، ولكن ما حيلتنا فهي واقع إلهي في ذاته ونحن لا نزال بشراً تحت المحدود الزمني والمكاني. فنحن في أشد الحاجة إلى من يرفعنا من مستوى المحدود إلى مستوى غير المحدود، وهذه قدرة إلهية نقترب إليها بالإيمان ونظلُّ بعيداً عن الواقع إلى أن يرفعنا

---

[٢] أنظر يو ١٧: ٢٣.

الله.

ونحن نقف إزاء هذا السرِّ الإلهي مشدوهين، ولولا أننا سمعنا عن معجزات المسيح كيف يقيم الموتى من القبور، أي يرفع الجثة التي عفَّنها الموت إلى مستوى الحياة، فليس كثيراً عليه أن يرفعنا من مستوى البَشَرِي إلى مستوى الإلهي، فنصير في شركة سرِّية، البَشَرِي في الإلهي. إلى هذا الحد نستطيع أن ندرك كيف سيرفعنا الله إلى مستوى الشركة في الحياة الأبدية، لكي ننعم بما لم نحلم به ونفتخر على العالمين.

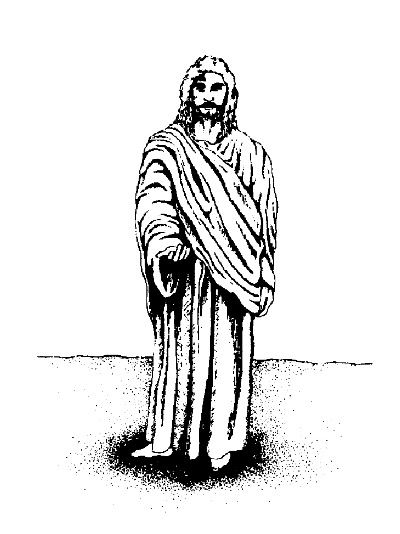
ونحن هنا لا نتجرَّأ على ما هو إلهي، ولكن ما العمل والله نفسه تنازل وأخذ شكل العبد، فليس كثيراً على الله ذاته أن يرفع شكل العبد ليأخذ شكل الله. والله نفسه في بداية خلقة آدم، وعد بأن يكون هذا الإنسان على شكل الله وصورته[3]. فإن دار الزمان ولفَّت الدهور، وتمَّم الله وعده، وجعل الإنسان على شكل خالقه في المجد وعلى صورته في البر والقداسة، فهل نكون خرجنا عن دائرة قصد الله ومسرته؟ على كل حال لسنا أصحاب هذه المقولة، فهي مردودة لقائلها لكي يكمِّلها بكماله، وعلينا فقط أن نؤمن ونصدِّق ما يقول، أما العمل فنتركه للخالق الذي خلق،

---

[3] تك ١: ٢٦، ٢٧- على صورة الله ومثاله.

ليصنع بنا كل ما يرى ويُسرُّه، لأنه في النهاية يطلب ما يفرِّحنـــا ويَعِدُ بكل ما يزيد قامتنا في الخلقة لكي نمجِّده بالنهاية.

١٤ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٧٧ -

«لا تضطرب قلوبكم.أنتم تؤمنون بالله، فآمنوا بي»

إنجيل يوحنا ١٤: ١

قلبُ الإنسان يحمل كل كيانه الروحي والنفسي، والذي يقصده المسيح هنا ليس مجرد قلب الإنسان، بل كيانه الداخلي وحالة نفسه وروحه. فإذا كان الإنسان قد تفاهم مع نفسه، وكان له هدف روحي يسعى إليه، يكون قلبه في حالة اطمئنان. وأعظم وأقوى هدف هو الإيمان بالله، بل ربما كان الله هو الهدف الروحي والوحيد الذي يعيش به الإنسان، على رجاء أن يكون له إيمان وثقة في الله. والمسيح حينما يقصد أن يكون الإيمان بالله مصدر راحة قلب الإنسان وسلام روحه، يكون الإيمان الذي يقصده ليس مجرد اعتراف بالله، بل حياة في ظلّ عبادته بالروح والقلب.

ثم ينتقل المسيح من الإيمان بالله كأعلى وأصدق مصدر للاتكال عليه والحياة في ظل عبادته، إلى الإيمان بالمسيح نفسه. وهو يعرض نفسه كالمقابل المساوي والوحيد لله، وهذا في الحقيقة

يمثّل التساوي المطلق أو شرح المثيل بالمثيل، وعليك أن تختار أيهما لعبادتك.

فإن اتخذت الله إلهاً تعبده بروحك، تكون اخترت المسيح، لا فرق، فالمسيح هو الكلمة «والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله»[١]، فالمسيح هو الله الناطق بالكلمة. كان لابد أن يكون هذا لكي يبلغ الله قلب الإنسان الناطق بالكلمة. فالكلمة «صار جسداً»[٢] ليحتوي الإنسان، إنما بقي هو الله. هذا هو المسيح، تجسد وهو يحتوي «ملء اللاهوت»[٣]، فصار لا فرق إطلاقاً بين المسيح والله. فإن كان الله هو الآب، فالمسيح هو الابن، فالآب والابن واحد في اللاهوت، لذلك قال المسيح هنا: «أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي»[٤]، فلم يخرج المسيح هنا عن وحدانية الله في الآب والابن. فالإيمان بالله والإيمان بالمسيح واحد، والانتقال من الله إلى المسيح انتقال زمني. فالتلاميذ قبل أن يعرفوا المسيح كانوا يعبدون الله، فلما ظهر المسيح أصبحت عبادة الله هي عبادة المسيح، لأن

---

[١] يو ١: ١.
[٢] يو ١: ١٤.
[٣] كو ٢: ٩.
[٤] يو ١٤: ١.

المسيح هو «الله ظهر في الجسد»[٥] فكان الجسد يحمل ملء اللاهوت. وكان المسيح يردد لتلاميذه أن «الذي رآني فقد رأى الآب»[٦]، وأنه هو والآب واحد[٧] حتى ينجلي في ذهن التلاميذ معنى التجسُّد، وبالتالي يعرفون لماذا تجسد. ذلك كله لكي يتعرَّفوا علي خلاصهم، فإن كانوا يعبدون الله، فعليهم الآن عبادته فادياً ومخلِّصاً. فكانت دعوة المسيح لعبادته كالله بادرة لاهوتية أدركوها سريعاً، وكان نُطقْ بطرس بالإيمان المسيحي ردّاً على بادرة المسيح: نعلم أنك «أنت هو المسيح ابن الله الحي»[٨] الآتي إلى العالم. وعلى هذا الإيمان الاستعلاني الذي وصفه المسيح أنه تلقين إلهي لبطرس، بدأ المسيح منهجه التعليمي القائم على الصليب والخلاص الفدائي.

وواضح هنا أن اعتراف بطرس بالإيمان بالمسيح، كان هو الرد التلقائي لدعوة المسيح للإيمان به كالله. وكان التدخُّل الذي كشفه المسيح أنه إعلان من الآب لبطرس، بادرة من الآب غاية في الحَبْك في اختيار الوقت المناسب لفتح أذهان التلاميذ، مما

[٥] ١تي ٣: ١٦.

[٦] يو ١٤: ٩.

[٧] يو ١٠: ٣٠.

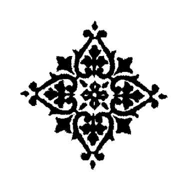
[٨] مت ١٦: ١٦.

شجَّع المسيح مباشرةً للإعلان عن آلامه القادمة وصورة الصليب والقيامة المجيدة.

وتوزيع الأدوار بين المسيح والآب والتلاميذ يأتي هنا كجزء حيٍّ في إنجيل ربنا يسوع المسيح، وإلقاء الضوء أمام القارئ ليتتبع! فلولا الاستعلان الذي ابتدأ به الآب لبطرس، لظل التلاميذ يتعثَّرون في متابعة المسيح.

وإن كان التلاميذ قد ابتدأوا يتبعون الرب وأدركوا حقاً أنه المخلِّص المُرسَل من الآب، إلاَّ أن الكتبة والفريسيين والناموسيين ظلُّوا خارج دائرة المسيح يناقشون ويعترضون ويحتجُّون وينصبون الفخاخ في أسئلة حرجة لعلَّهم يفوزون بكلمة تدين المسيح، ولكنهم كلُّوا ووقفوا بعيداً حتى تمَّ الخلاص بدونهم.

١٥ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٧٨ -

«وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق»

إنجيل يوحنا ١٤: ٤

المسيح هنا يتكلم عما سيتمُّ بعد القيامة، حينما بلَّغَ التلاميذ معرفة أين يذهب المسيح، فتعرَّفوا على الطريق الذي ينبغي أن يتَّبعوه حتى يصلوا إليه. ولكن هذا كله ظلَّ مجهولاً عند التلاميذ وكل التابعين حتى تمَّ الصلب، الذي عنده توقَّف التلاميذ عن المتابعة تماماً، وظنُّوا خطأً أن المسيح انتهى عند الصليب. وهكذا التزموا العلِّيَّة، وأحكموا غلق الأبواب خوفاً من الأعداء، وحتى لم يقبلوا إشاعة أن المسيح حيٌّ وظهر لمريم المجدلية.

ولكن بعد أن ظهر المسيح للتلاميذ عدة مرات، بدأوا قليلاً قليلاً يدركون أبعاد الإنجيل، إلى أن جاء يوم الخمسين حيث تمَّ موعد الآب بحلول الروح القدس، فبلغت استنارة التلاميذ إلى أقصاها وعرفوا أين ذهب المسيح، وأدركوا معنى الطريق، وانطلقوا يكرزون ويبشِّرون. وأخيراً دوَّنوا الأناجيل، التي منها علمنا أن المسيح انطلق إلى الآب الذي أرسله، حاملاً دم صليبه،

فتمَّت شفاعة المسيح عن كل خطاة الناس، ودخل المسيح إلى راحته بعد أن دخل الأقداس «فوجد (لنا) فداءً أبدياً»[1].

وهكذا تمَّ وعد المسيح لمَّا قال إنه سينطلق ليعدَّ لأخصائه مكاناً عند الآب، وإنه متى أعدَّه يأتي ويأخذ محبيه ليكونوا حيث هو، استعداداً للحياة الأبدية التي ستضُم كل المقدَّسين[2].

ويكشف لنا سفر العبرانيين قوة دم المسيح وسرِّ جسده الإلهي بقوله: لنا «ثقةٌ بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيّاً بالحجاب أي جسده»[3]. وهنا تورية سرِّية بديعة، إذ اعتبر جسد المسيح بمثابة الحجاب الذي كان يفصل الأقداس عن الشعب، ولما تمزَّق جسد المسيح على الصليب، تمزَّق هذا الحجاب ودخل كل الناس إلى الأقداس.

فأصبح أكل الجسد وشُرب الدم في سرِّ الإفخارستيا بمثابة الدخول إلى الأقداس بدم يسوع، وانفتاح الطريق أمامنا إلى السماء. وبمعرفتنا أين ذهب المسيح، والطريق الذي افتتحه لنا، استعلنَّا كل أسرار الخلاص والفداء، وتحوَّلت كل حقائق

---

[1] عب ٩: ١٢.

[2] أنظر يو ١٤: ٢، ٣.

[3] عب ١٠: ١٩، ٢٠.

اللاهوت الذي تمَّ به الخلاص والفداء إلى أسرار ملموسة تؤكــل وتُشرَب في الخبز الذي كسره المسيح وأعطاه للتلاميذ قائلاً «هذا هو جسدي»[٤]، وكأس عصير الكرمة الممزوج ذاق منه وأعطــاه لتلاميذه قائلاً: «خذوا اشربوا منه كلكم، لأن هذا هــو دمــي الذي يُسفك من أجل كثيرين»[٥]، وبعدها قال: «اصنعوا هــذا لذكري»[٦]، "لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس، تبشرون بموتي، وتعترفون بقيامتي، وتــذكرونني إلى أن أجيء" (القداس الإلهي). وهكذا تحوَّل سرُّ العشاء الرباني إلى حقيقة، حيث تؤكَل وتُشرَب في سرٍّ لا يُنطَق به، لينشر الخلاص إلى كل أقصاء الأرض وكل الأزمان إلى مجيء ابن الإنسان!

وهكذا تحولت حياة المسيح وارتفاعه إلى السماء إلى حقــائق حيَّة في إنجيل الخلاص، وتحوَّل الإنجيل إلى أسرار حيَّة يشترك فيها الإنسان ليكون شريك السمائيين.

وهكذا وفي مقولة واحدة، ضمَّ المسيح كل أسراره بما فيهــا الفداء والخلاص والارتفاع إلى السماء حيّاً: «أنتم تؤمنون بالله،

---

[٤] لو ٢٢: ١٩.

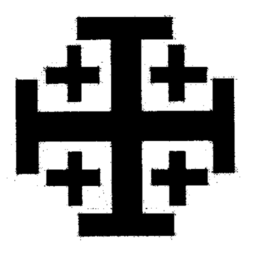
[٥] أنظر مت ٢٦: ٢٨.

[٦] ١كو ١١: ٢٤.

فآمنوا بي»[٧]، وأصبحت هذه المقولة هي كل إيماننا المسـيحي، حيث الإيمان بالمسيح هو الإيمان بالله. وجاء الإنجيل ليحلّ لنا هذه الشفرة ويحولها إلى حقائق إلهية ملموسة ومحسوسة في سرٍّ إلهي لا يُنطق به.

ولكن «من صدَّق خبرنا؟ ولمن استُعلِنت ذراع الرب؟»[٨]؟ هنا أصبح الإيمان المسيحي الذي هو الإيمان بالله، وَقْفاً على من وَهَبَ حياته للمسيح لكي يحيا المسيح فيه ويكشف له كل أسراره.

١٥ أكتوبر ٢٠٠٥



---

[٧] يو ١٤: ١.

[٨] يو ١٢: ٣٨.

- ٧٩ -

«وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض، أَجذبُ إليَّ الجميع»

إنجيل يوحنا ١٢: ٣٢

تعبيرٌ سرِّيٌّ بليغ، أن يُعبِّر المسيح عن صلبه بالارتفاع عن الأرض، فهو يشمل ضمناً أن يكون خلاصنا مرتفعاً عن أرض اللعنة والشقاء. نعم، نحن أُخذنا من تراب الأرض، ولكن لابد أن يكون خلاصنا مرتفعاً عن الأَرض وترابها. لقد لُعنَت الأرض بسبب آدم، وجاء مَنْ يرفع اللعنة عن الأرض وعن آدم. كانت أول إشارة عن رَفْع اللعنة عن الأرض هي رفع الحيَّة النحاسية على الصاري، حتى بمجرد النظر إليها يتم الشفاء من عضة الحيَّات المحرقة السامة. كانت عضة الحيَّات المحرقة تعبيراً رمزياً عن العضَّة الرمزية التي حصلت من الحيَّة القديمة، لوياثان المتمثِّل بالشيطان، وإيقاعه حواء وآدم في الخطية، خطية عصيان الله التي صارت كالسمِّ المتوارث أكله.

وكان ارتفاع المسيح عن الأرض تعبيراً حزيناً ومفجعاً عن الصليب، ولكنه عَبَرَ على التلاميذ دون أن يلمحوه، وتركه

المسيح محجوباً إلى أن أتى زمانه. والمسيح هنا يصوِّر الصليب كقطب جاذب، جذب فعلاً العالم المؤمن كله. كان في وقته وزمانه فضيحة ولعنة وعاراً، قَبلَه المسيح مُسبَقاً وهو عالم أنه سيكون الخشبة التي سيُسَمَّر عليها خطايا العالم. كان الصليب أيام المسيح خاصاً بالمجرمين المحكوم عليهم بالإعدام، وفعلاً صُلِبَ مع المسيح اثنان من القتلة.

كان الصليب آلة تعذيب مُرَوِّع، حيث كانت تُدَق الأجساد على خشبة الصليب بالمسامير. كان المسيح يعلم هذا، فحمَّلوه الخشبة التي سيُصلب عليها، التي خار من تحتها المسيح. وعلى مُرتفع الجلجثة، خارج باب أورشليم، كان المكان المُمَيَّز للصَّلْب، لأنه كان مرتفعاً وعلى طريق الدخول إلى المدينة والخروج منها.

ورفعوا المسيح على خشبة الصليب ليتم قول المسيح، وقد تمزَّق الجسد من جرَّاء حَمْل ثِقَلِه على ثلاثة مسامير: اثنان منها في يديه، وواحد يضم الرجلين معاً. وكما تمزَّق الجسد تمزَّقت خطايا العالم، ونزف دم المسيح كله ليكفي غسلَ خطايا العالم. وطُعِن جنبه بالحربة على يد الضابط الروماني، وكان القصد منها أن تبلغ القلب لتفتحه حتى يسع أسرار كل الخطاة.

ولَفَظَ المسيح أنفاسه الأخيرة قائلاً: «في يديك أستودع روحي»[1]. يا إلهي! مات المسيح على الصليب، وكان موته إيذاناً بموت خطية الإنسان. وبموت الخطية ظفر المسيح بالشيطان وكل قواته وسحقهم تحت رجليه سحقاً[2].

كان موت المسيح على الصليب حياةً للعالم كله! وهكذا جذب المسيح الجميع، كقوله. وليس الجميع بمعني التلاميذ وجيلهم فقط، بل كان الجميع، كل العالم[3] «ليس خطايانا فقط بل خطايا كل العالم») في زمانه وكل الأزمان. وصار الإيمان بصليب المسيح هو في الحقيقة الكفارة العظمى التي ظلّلت كل خطاة العالم، والدم المسفوك عليه يكفي لاغتسال كل من يأتي إليه.

وأصبح الصليب يُعبِّر عن كل حياة المسيح وموته! كما يُعبِّر عن الخلاص الذي شمل كل من آمن به.

وتهافت الناس على دقِّ شارة الصليب على أيديهم وأجسادهم، تعبيراً عن إيمانهم بالمسيح وتيمُّناً بالحياة التي انسكبت

---

[1] لو ٢٣: ٤٦.

[2] أنظر كو ٢: ١٥.

[3] أنظر ١يو ٢: ٢.

بانسكاب دم المسيح. وأُقيمت الصلبان على الكنائس تمسُّكاً بالإيمان المسيحي وتمجيداً لصاحب الصليب.

وانجذب الجميع إلى المسيح كقوله.

١٥ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٨٠ -

«لهذا يحبني الآب، لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً»

إنجيل يوحنا ١٠: ١٧

الآب يحب الابن، هذه حقيقة أزلية، وإنما يذكرها المسيح هنا ليؤكد لتلاميذه أنه إنما يُقدِّم نفسه للموت على الصليب بإرادته وسلطانه وحده. وإن كان للمسيح سلطان أن يسلِّم حياته للموت، فهذا باختياره وإرادته. فإن كان المسيح يُقبِل إلى الموت بإرادته، يكون من الواضح وبالضرورة، أن له سلطاناً للقيامة من الموت. فهو كما يقول تماماً، إنما يضع نفسه لهوان الصليب وعاره على أساس أنه سيقوم من موت الصليب بقوة واقتدار. وإن كانت هذه حقيقة كائنة، ولكنه إنما يعلنها للتلاميذ لكي يكون لهم إيمان بموته، وإيمان بقيامته من الموت. كما يُعرِّف التلاميذ أن الآب يعلم ما يعمله الابن، وأن ما يعمله الابن هو بعلم الآب ومسرَّته. بل يتمادى المسيح بالإعلان عن العلاقة التي تربطه بالآب، بأن يقول إن ما يعمله الابن يُفرِّح قلب الآب، وهو يُقيِّم الحب الذي يحب الآبُ به الابنَ كونه يضع نفسه لهوان الصليب.

وهذا في الحقيقة يدخل في صميم اللاهـــوت، لأن محبـــة الآب للابن، ومحبة الابن للآب، قضية لاهوتية مُسلَّمٌ بهـــا، وإن قـــال المسيح هنا عن حب مُسبَّب فلكي يزيد من ثقة التلاميذ في أمـــر الصليب والموت عليه.

وتعبير المسيح عن الصَّلْب أنه **"وضْعُ"** الذات، أي تنـــازلٌ حتى الموت موت الصليب، فهنا نوع من إخلاء الذات، لـــذلك لزم أن يكون هذا الإخلاء للذات يوازنه قبول ورضا من جهـــة الآب، وإلاّ يُجرَح اللاهوت أو يُمَسُّ الوجود الإلهي. فهنا حرص المسيح على ذِكر حب الآب لعملية الصَّلْب والموت للابن لسلامة الوضع الإلهي للمسيح. صحيح أن المسيح وضع ذاته حتى الموت، ولكن هذا الموت للابن لا يُنقِص من وجود الابن شيئاً، فلاهوت الابن مُصانٌ لا يؤثِّر فيه الموتَ بشيء. فالمسيح كان ميتاً بالجسد، ولكنه موجود بلاهوته. لذلك حُسِبَ الموت للمسيح أنه فعـــلٌ كفَّاري. لذلك يُقال، وهذا صحيح، إن المسيح دخل الأقداس أو تراءى أمام الله أبيه كرئيس كهنة يحمل دم ذبيحة جسده، فأكمل فكَّ أسر الموت عن البشرية إذ فداها بدمه[1]، أو بتعبيرٍ آخر، وضع حياته ثمناً لرفع الموت عن الإنسان.

---

[1] أنظر عب ٩: ١٢.

وهنا يقول المسيح إنه وضع ذاته ليأخذها، أي يُقيمهـا مـن الموت. واعتبرها بالرغم من أنه بإرادته مات وقام، إلاّ أنها وصية خاصة أخذها من الآب، وهذا في غاية الحبك اللاهوتي.

لذلك يُحسب الصليب أنه عمل الآب والابن، أو عمل الابن برضا الآب ومسرته. لذلك قيل إن الآب سُـرَّ بـأن يسـحقه بالحزن[2].

وهذه كلها تعابير لاهوتية غاية في الدقة والحبك، حـتى يـتم تكميل موت الابن على الصليب وهو كما هو، الإله ابن الإله.

أما آلامه وتعاذيبه وصلبه، فهذه كلها شهدتها العذراء مـريم أمه، وكأن السيف يجوز في أحشائها، حسب قـول الإنجيـل[3]، وأصبحت بذلك شاهدة لآلام ابنها وموته على الصليب وهـي واقفة بجوار يوحنا أمام الصليب، حتى لفظ أنفاسـه الأخـيرة مستودعاً نفسه في يدي الآب.

وأصبح قول المسيح إنه كان له سلطان أن يضع نفسه للموت، وسلطان لكي يقيمها ويرفعها من الموت، من أقوى التعابير عـن موت المسيح وقيامته، التي جعلت لموت المسيح رهبـة وفاعليـة

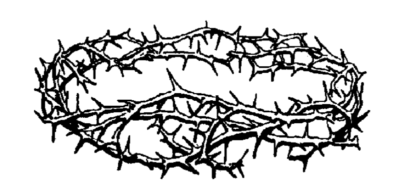
---

٢ أنظر إش ٥٣: ١٠.

٣ أنظر لو ٢: ٣٥.

اللاهوت، ولقيامته قوة اللاهوت. كذلك، وبآن واحد، أصبح موت المسيح قوة إلهية ممتدَّة تسري في كل من يؤمن بموت المسيح، وصارت قيامته سبب تهليل السمائيين والأرضيين، وشملت كل من آمن بموت المسيح وقيامته.

١٥ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٨١ -

«لا تخف أيها القطيع الصغير، لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت»

إنجيل لوقا ١٢: ٣٢

الخوف غريب عن الإنسان، فالإنسان جُبِلَ ليكون سيِّد الخليقة. ولكن لما سقط الإنسان، فَقَدَ رياسته على الخليقة، وأضعفت الخطية من هيبته، فصار يخاف من أي تهديد. وقليلاً قليلاً دخله عنصر الخوف كآفة مَرَضِيَّة قلَّ من أَفلَتَ منها. ويلاحظ جداً أن أولاد الله المتمسكين بالإيمان دخلتهم شجاعة نفسية، فأصبحوا لا يخافون ولا يهابون شيئاً، لا إنساناً ولا حيواناً، وقويت إرادتهم بصورة واضحة، لأن الإيمان بالمسيح استرجع لنا السلطان الذي كان لنا على الخليقة. وقد أخبرنا المسيح عن مدى سلطان أولاد الله على الخليقة فقال، إن المؤمن الحقيقي يقول «لهذه الجمَّيزة انقلعي وانغرسي في البحر»[١]،

---

[١] لو ١٧: ٦.

فيكون له، ومن قال لهذا الجبل أن ينتقل من هنا ينتقل[٢]. وقد أخبرتنا سنكسارات الكنيسة أن والي مصر لما سمع أن المسيح يقول هذا، طلب من بطريرك الكنيسة آنذاك أن ينقل جبل المقطم من مكانه الذي كان متاخماً للنيل، فاستعدَّ البطريرك وصلَّى الشعب "كيرياليسون"، بينما الوالي والشعب كله واقف يرى ويسمع. وتحرك الجبل حتى إلى موضعه الآن. فطلب الوالي من البطريرك أن يكفَّ، فكفَّ بعد أن انهلع من المنظر.

هكذا يكون الإيمان العامل والفعَّال بالتواضع والمحبة. وهنا يقول المسيح: «لا تخف أيها القطيع الصغير» مخاطباً تلاميذه، لا يقولها من فراغ، إنما يَهَب معها قوة سرِّية تُشدِّد قلب الإنسان. والمسيح يقول إن الضعف الذي يشعر به الإنسان، ينبغي أن يكون وعاءً صالحاً لحلول القوة والنعمة الإلهية، هذا وعدٌ، «لأن قوَّتي في الضعف تُكْمَل»[٣]. ولا يفوتنا أن عنصر الخوف الذي يَطغَى على النفس ويُذلُّها حتى تصبح كالورقة التي تذرِّيها الريح، هو من عمل الشيطان، فهو عنصر الخوف والجَزَع، وله قدرة على إلغاء شخصية الإنسان. لذلك كان الإيمان والتمسك بالله

---

٢ أنظر مر ١١: ٢٣.

٣ ٢ كو ١٢: ٩.

ومناداة الرب يسوع، هو القوة الساحقة للعدو، التي تملأ قلب الإنسان بشجاعة وبأس وجرأة فريدة، مما يتضح تماماً أنها عطية فائقة على طبيعة الإنسان.

ويزيد المسيح تشجيعاً لتلاميذه أن الآب سُرَّ أن يعطيهم الملكوت كمنحة سماوية فائقة. وتسمية المسيح لتلاميذه أنهم "القطيع الصغير"، هي لائقة هنا على كل من آمن بالمسيح وتبع. فأولاد المسيح يُحسَبون كحملان وديعة، لذلك كان المسيح يُسميِّ نفسه "الراعي الصالح"، بمعنى أنه المسئول الأول عن نفوس أولاده الضعاف في العالم.

وعطية الملكوت امتدت لتشمل كل المؤمنين بالمسيح في العالم كله، حيث يصحُّ أن يُدعَوْا قطيعاً صغيراً أيضاً. وعطية الملكوت هي قمة المنتهى في عطايا الله للإنسان الصالح، لأن الملكوت هو هو بيت الله، وكلُّ من فيه هم «أهل بيت الله»[٤] القديسون، الذين اغتسلوا بدم المسيح وغَلَبوا العالم[٥]. والملكوت قائم الآن يعجُّ بنفوس الأتقياء، وقد جمع كل قديسي العلي، وأُعطُوا أن

---

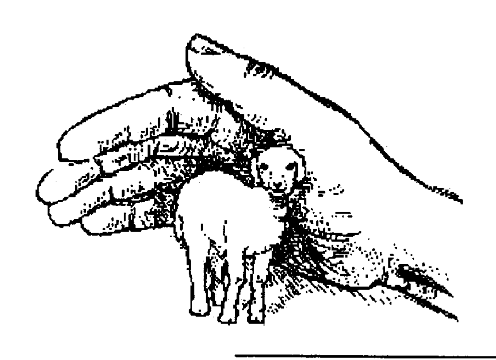
[٤] أف ٢: ١٩.

[٥] أنظر رؤ ١٢: ١١.

يملكوا مع المسيح، لأن هذا هو مُلْكُه الأبدي[٦]. لقد سبقونا ونحن نَغْبِطهم ونتمسك بهم.

يا إخوة، إن كان الملكوت هو بيتكم الأبدي، مع عِشرة القديسين وكل أهل بيت الله، فاعملوا للملكوت حساباً في عبادتكم لتكون عبادة بالروح والحق وليس من فضلات أوقاتكم، بل اجعلوها باكورة أعمالكم اليومية والليلية. وكُفُّوا عن مماثلة أهل العالم الذين يشترون جهنم بسهراتهم الماجنة، ووقتهم الضائع في النظر إلى مناظر وأسماع التصاوير الشيطانية. خافوا الله واعبدوه بخوفٍ حقيقيٍّ ورهبةٍ تليق بملك المجد.

١٦ أكتوبر ٢٠٠٥



٦ أنظر رؤ ٧: ٩؛ ١٩: ١؛ ٢٢: ٥.

- ٨٢ -

«اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق. فإني أقول لكم، إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون، من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب»

إنجيل لوقا ١٣: ٢٤،٢٥

وما هو الباب الضيِّق؟ المسألة نسبية، فإن العالم بابه واسع جداً دخل ويدخل منه حتى اللصوص والحرامية، بل والزواني والزانيات من كل صنف، لا يمتنع باب العالم عن أن يُدخِل كل الناس، لا فرق.

وهكذا يكون الباب الضيِّق هو باب الملكوت بالضرورة، ولا يدخله إلاَّ الذين أُعطي لهم، لأنه ليس بالقوة ولا بالقدرة، ولكن هي نعمة الله[١] التي تفتح وتغلق. والمجتهدون يُحسَبون مستحقين من أجل اجتهادهم، واجتهادهم هو حفظ وصايا المسيح التي جعلها ثمناً لحبه، «الذي يحبني يحفظ وصاياي... وأنا أحبه وأُظهر

---

[١] أنظر زك ٤: ٦.

له ذاتي»[٢]. وماذا يشتهي الإنسان أكثر من هذا؟ فمسألة الملكوت يسبقها حب المسيح ووصاياه. وهل يكون أعظم من حب المسيح شيء؟

حِبّ ما شئتَ، واملِك ما شئتَ، ولكن في النهاية سترى أنك خسرت كل شيء، فلا يوجد بعد حب المسيح وامتلاك أقواله ووصاياه شيء. والعجيب أن يكون باب الملكوت مفتوحاً لمن أُغلق عليهم باب العالم وهذه الدنيا الكاذبة. لذلك يؤكد المسيح لنا، مُعطياً نفسه مثالاً «ثقوا. أنا قد غلبتُ العالم»[٣]! وهذا الوعد أعطانا أعظم اطمئنان أن العالم هو مغلوبٌ، مغلوبٌ لمن أمسك في المسيح ليدخل معه إلى الحياة، فهنا اختيار حياة أو موت؟ المسيح أو العالم؟

ويقول المسيح: ماذا ينتفع الإنسان إن ربح كل شيء وخسر نفسه[٤]. ولماذا يقول المسيح: «اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيِّق»؟ لأن مغريات العالم والخطية الرابضة على الباب ترصَّدنا، حتى نقع في فخ هذا العالم الشرير الموضوع في يد

---

[٢] أنظر يو ١٤: ٢١.

[٣] يو ١٦: ٣٣.

[٤] أنظر مت ١٦: ٢٦.

الشيطان.

واعلم، أيها الصديق، أن باب العالم الواسع لا يترك الناس أحراراً، يدخلون أو لا يدخلون، بل يجذبهم بشدة ويغريهم بإغراءات يسيل لها لعاب الجهلاء. لهذا، ولهذا فقط، يقول المسيح «اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيِّق». واعلم، أيها الصديق، أن أعظم اجتهاد هو الاجتهاد ضد النفس! فأمامنا الآن اجتهاد مرٌّ، لأن الاجتهاد ضد النفس يجعلها تثور وتتمرَّد على صاحبها، وليس ذلك فقط، بل أمامنا ضيق الباب الذي نريد الدخول منه، لأنه لا يُسمَح للمتَّسعين في الدنيا، أغنياء أو أصحاب القصور وذوي الأموال والضياع والمستمتعين براحة هذا الدهر، أن يدخلوا من الباب الضيِّق فهو لا يَسَعُهم حتى لو أرادوا، إذ يثقل عليهم جداً ترك اتساعهم والدخول في العوز والضيق. والمسيح نبَّه على ذلك خفيفاً إذ قال: «ما أعسر دخول ذوي الأموال»[5].

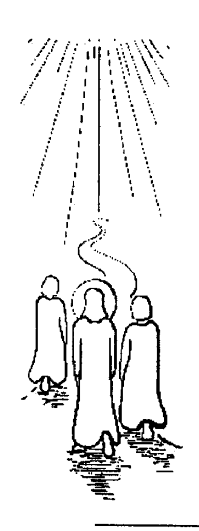
مع العلم، يا صديقي، أن وراء الباب الضيِّق طريقاً ضيِّقاً أيضاً وكرباً. فالسير فيه ليس إلى يوم أو شهر أو سنة، فهو يستغرق عمر الإنسان كله. فليس فيه مسلِّيات أو مشتهيات، ولا استراحة للارتخاء، ولكن سمته السهر وبذل الذات وبيع المحبة لكل الناس

[5] لو ١٨: ٢٤.

مجاناً، لا فرق بين عدو أو صديق. وطعام السائرين في الطريق الضيِّق هو التقوى وحفظ الإنسان لنفسه من الدنس[٦].

ولكن الذي يطمئنا جداً أن كثيرين ساروا فيه وغلبوا النوم والشهوة، واكتفوا بالقليل الذي يرزقهم به الرب. وكانت سعادتهم وتهليلهم وفرحهم لا تهدأ ولا تسكت، لأنهم غلبوا العالم وصاروا أهلاً للملكوت الذي يسعون إليه.

١٦ أكتوبر ٢٠٠٥



[٦] أنظر يع ١: ٢٧.

- ٨٣ -

«قَدِّسْهم في حقِّك، كلامك هو حقٌّ»

إنجيل يوحنا ١٧ : ١٧

الصفة الإلهية لله أو للمسيح هي القداسة المطلقة والحق الكامل، وهي لكلمة الله وللمسيح مقدسةٌ هي وحقٌّ. فكانت صفة الكلمة هي الإنجيل، فأصبح الإنجيل هو حامل القداسة والحق، وكل من يتوفر على الإنجيل، أي يتتلمذ له، أي يهذّ ويحفظ كلامه في القلب، يتقدَّس به ويصير صاحب حق الإنجيل، وبذلك يصير كلامه للناس كالإنجيل، أي له قدسية واحترام فائق. وهنا يطلب المسيح من الآب قبل الصليب مباشرة من أجل أن يُقدِّس التلاميذ ويستعلن لهم الحق الكائن في الكلمة. وهذه الطلبة هي العظمى بالنسبة للتلاميذ، فقد سكنت فيهم الكلمة حقاً، وأثمرت الأناجيل التي كتبوها والرسائل التي أرسلوها للمؤمنين، والتي تُحسب جميعاً مقدَّسات تخص الله والمسيح.

فمن خلال الأناجيل والرسائل، خرج القديسون من جميع أنحاء العالم، وأصبحوا نور العالم الذي يضيء ظلمته، وكلٌّ من

تتلمذ لها استنار وأضاء بحق الإنجيل. وهكذا تمت طلبة المسيح من الآب قبل الصليب، وصار الإنجيل هو الطريق والحق والحياة لكل المختارين الذين أناروا في العالم كأضواء عبر كل الدهور. فتحقق قول المسيح: «أنا هو نور العالم»[1]. نعم، فلا يزال المسيح يضيء العالم بواسطة مَنْ قدَّسهم الله وأرسلهم يكرزون ويبشرون باسم المسيح الكلمة الحقيقية. وهكذا انتشرت القداسة وسرى الحق بين المختارين، وأصبح الآب والمسيح يملكان على قلوب الملايين من البشر، وعمَّ الإنجيل في العالم كله، كل من آمن. وهكذا أصبحت القداسة والحق محور النفوس التقية تعيش فيه وله.

وعلى هَدْي ونور هذه الطلبة التي تَقدَّم بها المسيح لدى الآب، صار لملكوت الله ساعون ومجتهدون لا يكفُّون عن الصلاة والطلبة، ليلَ نهار، أن يُحسبوا أهلاً لهذه النعمة الكبرى التي ملأت قلوبهم وأهَّلتهم لغلبة العالم وللملكوت المُعَدِّ.

ولعل هذه الطلبة التي طلبها المسيح من الآب هي التي لا تزال تعمل منذ الصليب حتى الآن في مَلْء الملكوت بالمختارين المؤهَّلين.

---

[1] يو ٨: ١٢.

وواضحٌ من طلبة المسيح بخصوص تقديس أولاده في الحق، والحق هو كلام الله أي الإنجيل، أن المسيح يحدد طريق القداسة وقوتها التي تكون عاملة بالله في نفوس المختارين، فخارجاً عن الإنجيل لا توجد قداسة ولا يوجد حق. فكلام الله هو الواسطة الوحيدة لتقديس النفوس، ومن هنا يصبح إنجيل الله والمسيح القوة الوحيدة التي تدخل داخل القلب وترشده إلى طريق الحق، والحق يقدس الروح ويهيِّئها لميراث الملكوت.

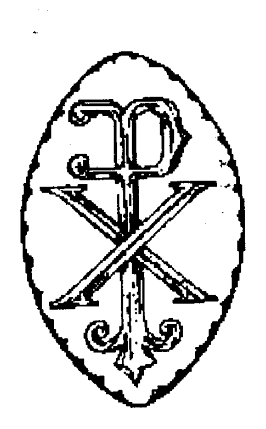
مبارك الله الذي وهبنا الحياة الأبدية في كلمته الحيَّة، ووضع أرجلنا في طريق الحق، وثبَّت عينه علينا حتى لا ننجذب نحو العالم بعد. فإنْ غَلَبْنا العالم بقوة الحق الذي فينا، نكون قد تهيَّأنا من قِبَل الله للتقديس الذي يحسبنا مع السمائيين.

ويبدو لنا أن هذه الطلبة التي طلبها المسيح من الآب إنما تساوي في فعلها قوة الصليب، والمسيح قالها فعلاً من عمق أعماق الصليب، والصليب هو نبعُ كل قداسة وتقديس، ومصدر الحق الإلهي.

وربما يكون تجميع كل شيء في هذه الآية مقصوداً من المسيح، لأنه جمع فيها كل ما يُعوِزِ الإنسان، بل كل ما يتمناه الابن من

الآب. وسيظلُّ العالم المؤمن كله مَديناً لهذه الآية التي صارت مصدر تقديس لائق بأولاد الله، لازم لنا لزوم الحياة الأبدية نفسها. وإن كنا أصبحنا «ملوكاً وكهنة لله»[٢] العَلِيّ. فعلي أساس هذا التقديس المملوء بالحق بالدم المسفوك على الصليب، الذي غسلنا به الابن[٣] لنليق لهذا التقديس ونصير أبناء الله بالحق.

١٧ أكتوبر ٢٠٠٥



---

[٢] رؤ ١: ٦.

[٣] أنظر رؤ ١: ٥.

- ٨٤ -

«وأنا قد أعطيتُهم المجد الذي أعطَيْتَني، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد»

إنجيل يوحنا ١٧: ٢٢

المسيح هنا يتكلم عما كان منذ الأزل وقبل إنشاء العالم، هناك لَمَّا اختارنا الله في المسيح لندخل الشركة السرِّية مع الآب والمسيح، هناك تمَّ اختيارنا في المسيح. وواضحٌ أن هذا الاختيار كان قائماً على عطية أعطاها الآب لنا وللمسيح معاً، وإلاّ ما تمَّ الاختيار.

فالاختيار الأزلي الذي تمَّ للإنسان في المسيح كان قائماً على أساس أن المسيح الابن يعطينا المجد الذي له، مجد البنوة لله الآب. لهذا حُسِب هذا الاختيار القائم على الاشتراك مع المسيح في المجد الذي له، الذي كان قبل إنشاء العالم، هو التبنِّي أيضاً للآب، وكان منتهى مسرة الآب منذ الأزل. وكان قصده من التبنِّي الذي ناله الإنسان في المسيح هو "مَدْح مجد الآب": «إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرة مشيئته، لمدح

مجد نعمته»[1] .

وهنا يقف الإنسان مذهولاً، كيف يتم ذلك كله منذ الأزل، ونحن لاهون عمَّا لنا في المسيح والآب؟ وكيف أن لنا وحدة مع الآب والابن قائمة على إعطاء الابن تنازلاً عن مجده للإنسان، وقبول الآب التبنِّي للإنسان في المسيح لحساب مسرة الآب وبقصد مدح مجده الأبدي؟

نحن هنا أمام سرِّ أسرار الآب والابن، بل وأمام أصل ومنشأ حب الله للإنسان الذي جعله بعد ذلك يرسل ابنه من حضنه الأبوي ليقوم بعملية الخلاص العظمى للإنسان، بتضحية الابن على الصليب ليموت عن الإنسان ليحيا الخطاة.

وهنا في هذه الآية يبوح المسيح بسرِّه الأزلي، ويكشف عن العلاقة التي ربطتنا بالمسيح منذ الأزل، أن نكون أصحاب مجده الذي تنازل ومنحه إيانا بتدبير الآب، لنكون واحداً معه لمجد الآب!!!

يا إخوة، أنا لست حالماً ولا مدَّعي معرفة الأزل، ولكن هذا كله كشفه الإنجيل الذي كتبه بولس الرسول حسب الاستعلان

---

[1] أف ١: ٥، ٦.

الذي ناله بصفة خاصة جداً، حينما رفعه الله إلى السماء الثالثة ليرى ويسمع عن هذا كله، الذي يدخل ضمن خلاصنا وتمجيدنا لله.

فنحن الآن، ليس من فراغ نبارك ونعطي للآب مجداً، هو صنعه فينا أولاً، لكي يكون نُطقنا عن معرفة وإلهام.

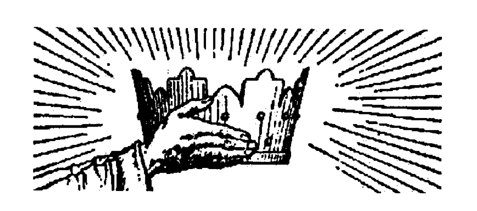
والمسيح هنا يظهر وكأنه لا يخاطبنا بل يخاطب الآب عما فعله بمشورة الآب، هناك منذ الأزل حينما تنازل وأعطى للإنسان مجده، وهكذا صيَّره واحداً فيه. على أن المسيح أيضاً هو واحد في الآب، وهكذا صارت للإنسان هذه الوحدة الإلهية ونحن لا ندري عنها شيئاً. ولكن الآن عرفنا بالإنجيل، وبواسطة إعلان يسوع المسيح نفسه، أننا أصحاب مجد مع المسيح لله، وأننا أعضاء وحدة سرِّية مع المسيح والآب لمجد الله.

وبذلك يكون الذي عمله المسيح على الصليب هو أنه رفع عنا نير الخطية والعبودية للشيطان، التي وقع فيها آدم وورَّثها لجميع نسله في جميع الدهور. وبالصليب أخذنا باقي سرِّ الوحدة أن صرنا واحداً مع المسيح بالجسد بسرٍّ لا يُنطق به ومجيد، سرِّ الجسد والدم، الذي أصبح خبزنا السماوي في جسد المسيح،

وسرِّ حياتنا الأبدية في سرِّ الدم الإلهي.

فالذي عمله الله منذ الأزل على يديِّ المسيح بأن أعطانا المسيحٍ مجده، أضاف إليه المسيح بواسطة الصليب أن صرنا معه واحداً بالجسد الذي صُلِبَ به ومات وقام، ليعطينا جسده حيّاً مع دمه. فيا لعظمة أسرار الله والمسيح، فهي تلاحقنا منذ الأزل وإلى اليوم وكل يوم، على مائدة عشاء الرب.

١٧ أكتوبر ٢٠٠٥



«لأن الآب نفسه يحبُّكم، لأنكم قد أَحبَبْتموني، وآمنتم أني من عند الله خرجتُ»

إنجيل يوحنا ١٦: ٢٧

غاية الغاية أن نعرف الآب ونحبه، لأن هذا هو هدف المسيح الأول وخلاصة الإنجيل، لأن محبتنا للآب صادرة من محبتنا للابن. فإن كنا قد أصبحنا نحب الآب والابن، فقد أكملنا كل الوصايا وتأهَّلنا من قِبَل الآب أن نكون أحباءه ومن أهل بيته. ولكن إن لم نحب الابنَ أولاً، لا نعرف كيف نحب الآب، ومحبة الابنِ مرهونة بحفظ وصاياه والسير بمقتضى الإنجيل. واضحٌ الآن جداً قول المسيح «أنا هو الطريق»[١]، ويقصد به الطريق إلى الآب، وقد افتتحه لنا عندما تمزَّق الجسد على الصليب فتمزَّق الحجاب الحاجز بين الإنسان والله، أي حجاب قدس الأقداس. صحيح أن تعاليم المسيحِ ووصاياه هي علامات الأميال على الطريق، نجوزها علامة علامة، ولكن لولا تمزُّق جسد المسيح على الصليب ما سُمح لنا من جهة الله أن نخطو خطوة واحدة في الطريق الموصِّل

[١] يو ١٤: ٦.

إلى الآب.

وهكذا بالصليب والإنجيل والتتلمذ حقاً للمسيح، نكون قد بلغنا نهاية الطريق وكَمُلَ استعدادنا لملاقاة الآب. ولكن «ما أضيق الباب وأكرب الطريق»[٢] المؤدِّى إلى الآب، فهو يحتاج إلى قسر الذات وكبح جماح الجسد الهارب من كل ضيق. في الحقيقة إنها حرفةٌ ومهنة يصعب جداً التتلمذ لها. ولولا أن الله يعرف ذلك، ما أرسل إلينا المسيح ليفتتح هذا الطريق بصليبه! فمَنْ يستطيع الآن أن يدخل الطريق الصاعد إلى الآب، إن لم يكن ماسكاً بالصليب ومُحتضناً الإنجيل الذي هو «نورٌ لسبيلي»[٣]. وهكذا نرى، يا صديقي، أن السير في طريق الآب مستحيل، إلاَّ إذا كان الصليب محمولاً على الكتف، والإنجيل مفتوحاً ومقروءاً قراءة الحفظ والوعي.

طبعاً نقول، هذا صعبٌ وشاقٌّ، لا مانع، والمسيح نفسه يقول ذلك، فالحاجة ضرورية جداً ومُلِحَّة إلى معونة تأتي من فوق، لتنير القلب قبل أن تنير الطريق.

والمسيح والآب يعلمان ذلك، ويستحيل أن يتركا المؤمن يلاطم في الهواء. فالمسيح يقول للسائر على الطريق الضيِّق

---

[٢] مت ٧: ١٤.

[٣] مز ١١٩: ١٠٥.

والكَرِب: "عليَّ، يا ابني، عليَّ، فسرْ خطوة واحدة وأنا أجعل الطريق يجري من تحت رجليك، فأنَا أنا الطريق، وأنا أنا الحق، وأنا أنا الحياة، لا تخفْ لأني معك بروحي، وعند وضع رجلك على الطريق أُقصِّره لك فتسير وأسير أنا معك، «أُعلِّمك وأُرشدك الطريق»[4]، والآب من فوق يُطلُّ عليك، وإن كنتَ مُتَعثِّراً، يرسل إليك المعزِّي فيلقِّنك سرَّ الطريق والحق والحياة".

وهكذا ترى، يا صديقي، أن ليس المسيح فقط هو الطريق، بل والآب نفسه هو المُعين الأوَّل والمعزِّي بروحه، الذي يتولَّى تشجيع أولاد المسيح على عبور الطريق بأقلِّ جهد. فالمطلوب من الإنسان أن يغصب نفسه ويغتصب الطريق، لتظهر حقيقة الطريق أنه طريق الله وليس طريق الناس، والله هو الممسك بيد السائر حتى يصل.

وكل هذه الأسرار الخاصة بالسير والمسيرة في طريق الملكوت قائمة على أساس حبنا للمسيح والآب، فالحب هو سرُّ أسرار الآب والابن الذي به نغلب العالم ونسير في الطريق حتى النهاية.

١٧ أكتوبر ٢٠٠٥

---

[4] مز ٣٢: ٨.

«أيها الآب القدوس، احفظْهُم في اسمك، الذين أعطيتَني، ليكونوا واحداً كما نحن»

إنجيل يوحنا ١٧: ١١

المسيح هنا يعلمنا كيف نخاطب الآب، فهو الآب القدوس، نبع القداسة ومصدرها، وفيه وبه نتقدَّس لحسابه. ودعاء المسيح هنا الذي يقدمه للآب إنجيلٌ جديدٌ. فهنا عملٌ خفيٌّ وسرِّيٌّ للغاية يقوم به الآب لحسابنا وحساب الابن، أن يحفظنا. وهنا يتبيَّن لنا أن الآب هو عاملٌ مهم في خلاصنا دون أن ندري، فحفظ الآب لنا هو حفظٌ من الشرير والعالم. إذن، فالآب يحارب عنا وهذا أمر جديد علينا، لأننا كل ما نعلمه عن حفظ الآب لنا هو حفظ يسوع المسيح الذي يحارب عنا، وفي النهاية سيظفر بالشيطان على الصليب ويحررنا من نكده إلى الأبد. ولكن هنا يعلن المسيح صراحة أنه ألقى مسئولية حفظنا في العالم وسطوة الشرير، على الآب.

ويبدو أن اسم الآب مرعبٌ للعدو. فإنْ دَخَل اسم الآب

القدوس حياتنا، صرنا **محاطين بسور من نار**، «لأن إلهنا نار آكلة»[1] وذلك بالنسبة للعدو. ولو نتذكَّر ما عشناه سابقاً، نذكر كيف أن آباءنا كانوا دائماً يدعون ويتوسلون من أجلنا "**باسم الله**"، بل انحصر حلْفاهم في "**اسم الله**". وكانت بداية كل أعمالهم تبدأ "**باسم الله**"، فكان **اسم الله** قوةً حصينة، يتحصَّن فيها المؤمنون بإيمان لا يهتزُّ. فكان **اسم الله** عوناً لمن يسير في الظلام أو يستعد للمخاطرة ضد الأعداء.

وربما هذه الآية التي قالها المسيح هنا مخاطباً بها الآب مباشرة هي أصل تمسُّك أهلنا **بالاسم**. ومن ينادي **باسم الله**، فهو ينادي الله لا شك. والمسيح هنا يرجو الآب أن يحفظنا في اسمه، لحساب وحدتنا مع الآب والابن.

وفي الحقيقة، إن وحدتنا مع الآب والابن سرِّية للغاية، لم يعلنها المسيح إلاَّ في أواخر أيامه على الأرض، حينما كان يستعد للذهاب إلى الآب. ونحن مستورٌ عنا هذه الوحدة الفائقة الوصف، إذ كيف نكون واحداً مع الآب والابن، شيء يفوق قدرة الإنسان، لذلك نحن نأخذها قضية ثابتة تعمل لحسابنا دون أن نعيها.

---

[1] عب ١٢: ٢٩.

ولكن كلّ ما يظهر لنا من هذه الوحدة مع الآب والابن، هو دخولنا في مجال السرِّ الإلهي لنكون في حفظ وعناية الله بعيداً عن العدو وسطوته. لذلك، يبدو أنها حقيقة إلهية لا تخصنا نحن فقط، بل وتخصُّ الآب والابن، لأن وحدتنا معهم تعني أننا في رابطة فائقة على قدرة العدو. فإن كنا مصونين بهذا الشكل، فما أسعدنا بذلك، فهذا أمر يفوق طبيعة الإنسان الضعيفة جداً المستهدَفة لقوة العدو وبَطْشه. فنحن نعيش وننام ونقوم، **ومُسيَّجٌ حولَنا بقوة إلهية لا يستطيع العدو أن يظفر بها**. لذلك فإن الذين يغرُّهم العالم بمباهجه ومسراته ولهوه وينحازون إليه، يفقدون هذا الحفظ والرعاية في **اسم الله** بدون أن ينتبهوا، إلى أن يحصدهم العالم في النهاية بمنجله كما يُحصد العشب لكي يُرمى في النار.

لذلك نحسب قول المسيح للآب هنا، هو لفت نظر خطير بالنسبة للاَّهين عن أنفسهم، وقد جرفهم العالم لأباطيله. وليس من فراغ يتوسل المسيح لدى الآب أن يحفظ الذين للمسيح في اسمه، فهذه تُحسب حصانة لأولاد الله ما بعدها حصانة.

١٧ أكتوبر ٢٠٠٥

- ٨٧ -

«أيها الآب، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتَني يكونون معي، حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببْتَني قبل إنشاء العالم»

إنجيل يوحنا ١٧: ٢٤

الآن نحن نعرف سر محبة الآب للمسيح قبل إنشاء العالم. فقبل إنشاء العالم، اختارنا الآب في المسيح ووهبنا بنوَّته في المسيح[١]. فكان هذا عملاً تنازلياً رائعاً أدخل في قلب الآب المسرة والحب للابن. وهكذا تنطبق الألفا على الأُوميجا، فما حدث قبل إنشاء العالم ينكشف الآن، والسرُّ الذي كان مخفياً عبر الدهور كلها أُعلن الآن (السر المكتوم منذ الدهور) لحساب الإنسان، حينما كان الآب يحب المسيح قبل إنشاء العالم. وبهذا الحب، نال الإنسان الاختيار الإلهي في المسيح، فنال التبنِّي أيضاً في المسيح، هذا كله قبل إنشاء العالم في الأزل.

وبهذا أصبح الإنسان المختار عطية من الآب للابن. فمن هذه

---

[١] أنظر أف ١: ٤، ٥.

الدالة، يطلب المسيح من الآب عن المختارين، أن يكونوا معه في الملكوت ليعيشوا ويشتركوا في مجده وفي محبة الآب التي للمسيح.

وعجيب حقاً أن يطلب المسيح من أجل مختاريه الذين يؤمنون به، أن يعيشوا ويشتركوا معه في ملكوت الله، وكأن الملكوت أصبح في عين المسيح مضموناً لنا حيث نرافق المسيح في وجوده وفي مجده. فماذا نقول، وماذا نعمل، إزاء هذه التنازلات المدهشة، سواء كانت من الآب أو من الابن. وهذا ليس جديداً ولا حديثاً. فالعجب العجاب، أنه قبل إنشاء العالم حيث لم يكن زمن بل كان الوجود الإلهي يملأ السماء كلها وبدأ يخيِّم على الأرض، وُلدنا نحن كخليقة بشرية في المشيئة الإلهية قبل أن تكتحل عينا الإنسان برؤية شيء من العالم. فكنا ولا زلنا لسنا من العالم كالمسيح الذي ليس من العالم، وهذا حقٌّ إلهيٌّ، لذلك يبغضنا العالم إلى الآن، فنحن نعمل بالله ضد العالم، والعالم يبغضنا لأنه يعلم أننا نعيش لله وبالله. والذين يميلون إلى العالم ويعيشون ملاهيه وأباطيله يحبهم العالم ويهبهم من خيراته الزائلة. لذلك يقول المسيح للآب إن هؤلاء «ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم»، «آحفظهم في اسمك»[٢]، ولا تأخذهم من العالم

[٢] يو ١٧: ١٤، ١١.

لأهم شهود المسيح ضد العالم وصاحب العالم. فالعالم سيمضي وشهوته[٣]، أما الذين حفظوا أنفسهم من أباطيل العالم، فهؤلاء عطية الآب للمسيح، محفوظين في اسم المسيح والآب، ومتقوِّين بالله.

وإن كان المسيح يطلب من أجل مختاريه أن يكونوا معه حيث يكون المسيح في ملء ملكوت الله، فذلك لأننا محسوبون شركاءَ مجده الذي أعطاه الآب. فنحن محسوبون للمسيح كما يقول الكتاب «من لحمه (ودمه) ومن عظامه»[٤] منذ الصليب، أما قبل الصليب فنحن كنا شركاء مجد المسيح غير المنظور وغير المتجسد، فعلاقتنا بالمسيح أزلية ولكن ظهرت بظهور الصليب، فلما تجسد المسيح بدأ بظهورنا معه، كما أننا سنُظهَر بظهور المسيح في نهاية وجود العالم[٥]، لنُستعلَن في المسيح أولاد الله المحسوبين من أهل بيته[٦].

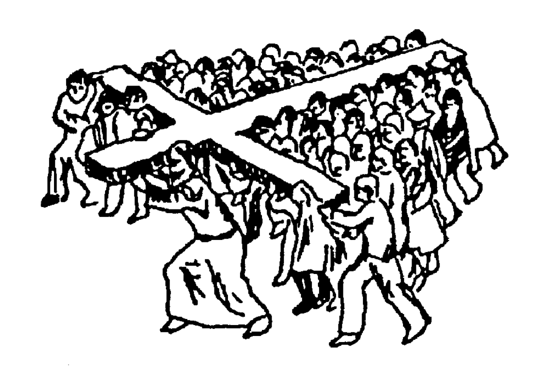
وحينما يقول المسيح هنا، مُطالباً الآب أن نكون معه في مجده لنرى مجده عياناً، فهذا ليس غريباً علينا ولا على المسيح، فنحن

---

٣ أنظر ١يو ٢: ١٧.
٤ أف ٥: ٣٠.
٥ أنظر كو ٣: ٤.
٦ أنظر أف ٢: ١٩.

شركاء مجد المسيح منذ الأزل حسب اعتراف المسيح ذاته الذي يقول "المجد الذي لي أنا أعطيتُهم ليكونـــوا واحـــداً مـــع الآب والابن". هذه أمور نسمع بها سَمَع الأذن، ولكن لن نتحقق منها الآن ونحن في أرض شقائنا، فهي باقية لتكون من حيثيات دخولنا الملكوت المُعدّ.

١٧ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٨٨ -

«وعرَّفتُهم اسمك، وسأُعرِّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أَحببْتَني به، وأكون أنا فيهم»

إنجيل يوحنا ١٧: ٢٦

الاسم المهيب الذي للآب يُعبِّر عن كيان الآب الإلهي، وعن منتهى قوته وسلطانه على الخليقة كلها، وخاصة الإنسان. لأن اسم الآب بالنسبة للإنسان هو السياج الناري الذي يحيط بالإنسان، ليحرق كل من تجرَّأ أن يمسَّ الإنسان بسوء، لأن الآب - كما عرَّفَنا المسيح - هو أنه مصدر الحفظ للإنسان من كل أعدائه المنظورين وغير المنظورين. وقد عبَّرت العُلَّيقة عن وجود الآب بالنار الحارقة الملتهبة فيها، ولكن لم تحرقها، فهذه صفة اسم الآب لدى الخليقة السماوية كلها.

وقد اكتحلت عين الإنسان برؤية هذه النار الأبوية، لَمَّا حلَّ يوم الخمسين وانسكب الروح القدس، موعد الآب الحامل لرسالته، كألسنة نارية منقسمة على كل واحد من التلاميذ الحاضرين. لم يُصبْهم بسوء، ولكن أيَّدهم بقوة الآب، وملأ

قلوبهم عزاءً، عِوَضَ ارتفاع الابن واختفائه عنهم. وهذه أول مرة يحدث فيها تلاحم بين الآب والإنسان المفدي. من هنا كان تعليم المسيح السابق عن الآب قد تأيَّدَ عملياً بنزول الروح القدس المعبَّر عنه بـ «موعد الآب الذي سمعتموه مني»[1].

إلى هنا كان تعريف الابن باسم الآب كتمهيد لنزول موعد الآب، الروح القدس، يوم الخمسين. ولكن المسيح تمادى بتعليم اسم الآب في كل الأقوال التي قالها وكل الأعمال التي عملها، فكان يعترف علناً أنها ليست أقواله الخاصة ولا أعماله، إنما هي أقوال الآب وأعماله التي أراها للابن لينطقها المسيح عِوَضَ الآب. من هنا جاء قول المسيح عن حق «عرَّفتُهم اسمك وسأُعرِّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتَني به».

وقد أعلن المسيح جهاراً أن «الآب نفسه يحبكم، لأنكم قد أحببتموني، وآمنتم أني من عند الله خرجت»[2]. هكذا يأتي كلام المسيح مطابقاً أوله بآخره بإعجاز يفوق الوصف. فكل ما قال تمَّ، ولا يزال يتمُّ، إلى أن يقبل الآب "الإنسان في المسيح" في ملكوته الأبدي، لينعم الإنسان برؤية مجد المسيح والآب، ويصير

---

[1] أع ١: ٤.

[2] يو ١٦: ٢٧.

شريك الابن والآب في الملكوت الذي سينفتح أمام الإنسان عِوَضَ طرده من الجنة؛ حيث تُستعلَن للإنسان كل أعمال الآب والمسيح التي أمسكت بيده ليعبر جزاء الخطية المميت، ويدخل إلى ملكوت محبة الابن[٣] كأحد مؤسسيه، ويُستعلَن حبُّ الآب للإنسان علناً مساوياً لمحبة الآب للمسيح التي تمت منذ الأزل.

ويقول المسيح: «وأكون أنا فيهم»، هذه حقيقة أزلية، فالآب اختارنا في المسيح منذ الأزل. فنحن لم نُعرَف إلاَّ بالمسيح، فاعتُبِر المسيح حيّاً فينا منذ الأزل، كما تجدد واستُعلِن وجود المسيح فينا علناً بالتجسد، أي لما أخذ المسيح جسد إنسان ليظهر به ويتمم فيه خلاصنا بالصليب.

أيها الأحباء، إن وجود المسيح حيّاً فينا أمرٌ يجعلنا لا نعيش بعد لذواتنا، فنحن نعيش مع المسيح، للمسيح، ليتمجد الآب في كل حال. وكما يقول بولس الرسول مستعلناً وجود المسيح فينا: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ»[٤]. وهكذا وبهذه الشهادة يقول: «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني»[٥].

---

٣ أنظر كو ١: ١٣.
٤ غل ٢: ٢٠.
٥ في ٤: ١٣.

يا إخوة، المسيح حيٌّ فينا ولا يقبل إطلاقاً أن نخطئ إليه بأن ننحاز إلى العالم ونشتهي أباطيله. أنتم مقدَّسون في المسيح، والمسيح مقدَّسٌ فينا، فكيف نأخذ جسده الذي هو جسدنا لنجاسة، أو فعل الرذيلة، أو نملأه بأوساخ العالم في المناظر والتصاوير التي يجتهد بنو الشيطان ملء حياتنا بها، حتى ولو لم نرد مجرد رؤية الأباطيل أو الاشتراك فيها. فاحفظوا أعينكم وأنفسكم من أعمال الشرير التي يستعرضها عنوة بوسائله الشيطانية تحت اسم الحضارة والاجتماعيات.

١٧ أكتوبر ٢٠٠٥

- ٨٩ -

«الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنتَ أَرِنا الآب.
ألستَ تؤمن أني أنا في الآب والآب فيَّ.
الكلام الذي أُكلِّمكُم به لست أتكلم به من نفسي،
لكن الآب الحالّ فيَّ هو يعمل الأعمال»

إنجيل يوحنا ١٤: ٩، ١٠

سرُّ اللاهوت الأول أن المسيح في الآب والآب فيه كابن. ينتج عن هذا، في الحال، أن حلول الآب في الابن يجعلهما واحداً، حتى إذا تكلم الابن يكون الآب هو المتكلِّم. وكذلك الأعمال كلها بالآب معمولة. سرٌّ رهيبٌ لا نستطيع أن نقترب منه إلاَّ على قدر ما يعلن المسيح. حتى الذي يعلنه المسيح لا يُفهم بالعقل، لأنه من حيث معنى الحلول فهذا يزيد المسألة تعقيداً من جهة المفهوم البشري، ولكن المفهوم الإلهي هو حقيقة ثابتة لا يمكن التعبير عنها إلاَّ بالقول بالتساوي المطلق، حتى أن مَنْ يرى الابن يرى الآب في نفس الآنْ، ومَنْ يسمع الابن هو يسمع بالحقيقة الآب. حتى الأعمال، يقول المسيح إنها أعمال الآب، مع

أنه هو الذي يعملها، هذا لغز اللاهوت غير المقتَرَب إليه، الـــذي ينتهي بأن الله واحد وهو الآب والابن معاً.

والذي يجعل معرفة الابن غير معرفة الآب شكلاً هو تجســد الابن، فالابن يكلمنا جسدياً مع أنه هو إله حقاً ولكن مُحتَجبٌ بالجسد. لذلك أصبح الإله يتكلم كإنسان، ولكنه باقٍ إلهاً هــو كما هو. ومن حيث أن لاهوت الابن يشمل الآب بالضــرورة، صار كلام الابن هو هو كلام الآب. أمرٌ يحيِّر العقول، ولكــن بالتسليم الكامل من جهة الإنسان تبقى الحقيقــة مسلَّماً بهــا وتحتفظ بسرِّها الإلهي الفائق.

والمسيح يتطرَّق إلى الرؤية العينية فيقول، إن من رأى الابــن رأى الآب بالضرورة اللاهوتية، لأن تجسد الابن لم يُفقده هيئــة ومجد اللاهوت، فبَقِيَ الابن كالآب حتماً وبالضرورة اللاهوتية، وما علينا إلاّ أن نردد هذه الحقيقة كما هي فيُحسَب لنا إيمانــاً، ويا للمجد. فاللاهوت أصبح في متناول العين بالإيمان، لأن مــا تراه بعينك في المسيح، هو هو في الآب بآنٍ، ولكن بــاللاهوت الفائق عن النظر. هذه منَّة استحضرها الابن بتجسده، فجعــل اللاهوت يُرى ويُسمع، وبالرؤيا والسمع البشري يصير الإيمــان باللاهوت في متناول الإنسان. وليس فقط يُحسَب له إيماناً حقاً،

بل جعله الله دخولاً في شركة حقيقية مع المسيح. هذا في الحقيقة أمرٌ فائقٌ عن تصورنا، إنه تنازل من جهة واحدة. ولكن يلـــزم للإنسان لكي يدخل حقاً في الشركة مع المسيح، أن يتعامل مـــع الجسد الذي للمسيح، بمعنى أن المسيح قال إنه الخبز الحيُّ النازل من السماء[1]، وأخذ خبزاً عادياً وباركه وقدَّسه وقال: «هذا هو جسدي»[2]، كُلُوه ليكون لكم فيه حياة أبدية، هـــذا يُحسَـــب للإنسان أنه تعامَلَ مع الجسد واشترَكَ فيه بالأكل فصارت لـــه شركةٌ سرّيةٌ مع المسيح باللاهوت أيضاً، لأن جســـد المســـيح المأكول كخبز لم ينفصل عن لاهوت المسيح. وهذا سرُّ التجسد العظيم الذي جعل للإنسان فرصةً نادرة أن يشترك مع المســـيح لاهوتياً، لما اشترك معه جسدياً، لأن اللاهـــوت يســـتحيل أن ينفصل عن الناسوت.

آنظروا، يا إخوة، ما صنع الله لكي يُدخلنا في شركة حياتـــه ومجده، وأعيدوا النظر في قيمة ومعنى التجسد ووحدة الناسوت واللاهوت في المسيح، لأنه عن طريق ذلك الذي صنعه في نفسه لأجلنا، نصير نحن بالنهاية شركاء المجد الإلهي، والمعيَّنين ســـابقاً

---

[1] آنظر يو ٦: ٥١.

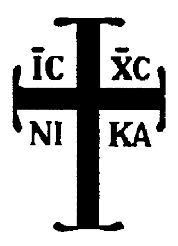
[2] مت ٢٦: ٢٦.

للدخول في ملكوته الأبدى، أمرٌ يتسنَّى لنا استيعابه والإيمان بـه والحصول على ثماره الفائقة عن الفحص.

والمسيح في هذه الآية يجمع مفردات اللاهوت معـاً لتصـبح دستور إيماننا، ومصدر فرحنا بالنصيب الفائق الذي صـار لنـا بتجسد المسيح، وجعل جسده المقدس خبزاً سماوياً يؤكل أكلاً، ودمه المسفوك على الصليب يُشرَب شُرباً حقاً، ليكـون هـذا مصدر حياتنا الأبدية.

يا إخوة، من فاته هذا الإيمان يكون قد خسر الدنيا والآخرة، فالآن الباب مفتوح والدعوة لا تزال حارَّة، فادخلوا من بـاب الإيمان الذي يُوَرِّثكم الحياة الأبدية.

١٨ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٩٠ -

«كما أحبَّني الآب، كذلك أحببتُكم أنا. اثبتوا في محبتي. كلَّمتُكُم بهذا، لكي يثبت فرحي فيكم، ويكمل فرحكم»

إنجيل يوحنا ١٥: ٩، ١١

هنا يفصح المسيح أنه رسول محبة الآب، والداعي إلى محبتـــه. وبهذا يجعل المحبة أساس أقواله كلها وأعماله التي بلا حصر، فقد جسَّد لنا المحبة الإلهية بتجسده، وصارت محبة المسيح باباً للدخول في أسرار الآب والابن. كما جعل المسيح الثبوت فيه يتم بحفظ وصاياه وسماع أقواله. ولأول مرة يفصح المسيح عن محبـــة الآب له. وهذه المحبة مع الآب والابن هي ســـرُّ وحـــدة اللاهـــوت والوجود الإلهي في محيط البشر. فالمحبة التي استلمها الابـــن مـــن الآب أتى بها بتجسده وأوصلها إلينا كما هي، فعرفنـــا أن الآب يحبنا كما أحب المسيح. وقد جاهد المسيح طيلة حياتـــه علـــى الأرض لكي يُعلن ويَستعلِن حب الآب وحبه هو لنا؛ فاسمع مـــا يقوله المسيح للآب في آخر طلبة له على الأرض: «عرَّفتُهم اسمك وسأُعرِّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكـــون أنـــا

فيهم»[1] ، وكأن هذه المحبة التي يطلبها لنا المسيح من عند الآب منتهى المنتهى عنده وغاية رسالته.

والمسيح دائماً يقرن المحبة بالفرح "لكي تفرحوا ويكمل فرحكم"، وهذه حقيقة إنسانية معروفة، فالذي يحبه أبوه وأمه دائماً فرِح، لذلك يعتبرها الأب وتعتبرها الأم من أوجب الواجبات الملقاة عليهم أن يُحبوا أولادهم ليحافظوا على فرحهم.

والحقيقة أن محبة الإنسان للإنسان هي رَجْعٌ لمحبة الله، فالذي يحبه الله يحب الآخرين بسهولة. فمحبة الآب السماوي ومحبة ابنه الحبيب هي غذاء البشرية، الذي يُنمي فيها القُرْبَى من الله، فالله في النهاية هو منتهى حبنا ولو لم نَرَه، لأنه في السر هو الذي يُقيم حياتنا ويؤصِّل الصلة التي تربطنا به. ويحدث أحياناً أن يشعر الإنسان بدفقة من دفقات الحب والقُرْبى من المسيح، فيصير الإنسان متهللاً مستبشراً طول النهار. هذه الدفقات السريَّة التي يسكبها المسيح في قلوبنا، هي التي تعطينا الصبر ودوام المجاهدة في الحياة، ولولاها لخار الإنسان المؤمن من ضغط العالم ونكد العدو الذي يلاحقنا، فنحن لا نجهل أفكاره وأعماله التي يفعلها خلسة وفي الظلمة.

---

[1] يو ١٧: ٢٦.

ولكن حينما يشرق علينا المسيح بإحساس وجـوده وحبـه، نصبح أكثر من منتصرين ونزداد قُرْبَى منه وتهليلاً.

أما إذا تعلَّمنا الثبوت في المسيح، وكانت كلمة الإنجيل هـي الهادية لحياتنا وتفكيرنا، وتعلَّمنا حبه بزيادة قُرْبنا منه، نكون قد تأهَّلنا لغلبة العالم ولإهمال كل إلحاح الخطيَة والبعد عن المسيح. لأن الذي يلتجئ إلى حضن المسيح، يكون قد راهن ضد العـالم وازدرى بكل إلحاحاته، هذا يحبه المسيح حقاً ويضمُّه إلى أعـزِّ خرافه الخاصة التي يرعاها، والذين عينه عليهم طول النهار.

فإن قلتَ لي: قُلْ كلمةً واحدةً تشمل كل الإنجيل والإيمـان، أقول لك **المحبة**. وما يكون ثمن المحبة؟ أقول لك إن ثمن المحبة هي **أن تصير محمولاً على ذراع النعمة، والروح القدس يحيط بك بمترسة فتتحصَّن ضد العالم ورئيس هذا العالم.**

واعلموا، يا إخوة، أن المحبة هي سلاح المؤمن الحقيقي الـذي يغلب بها كل أعدائه وكل تعدٍّ، ويكون كمن استتر في جناحيِّ النعمة. كذلك ليكن معلوماً لدى كل الـذين يعبـدون الآب والمسيح أن أعداء المحبة كثيرون ويتربَّصون بالإنسان على طـول الطريق، وهم فراغ الصبر والقساوة والعبوسة والنكد، والهـرب من الجهاد الروحي، والاشتغال بمسرات الدنيا.

١٨ أكتوبر ٢٠٠٥

- ٩١ -

«ليس أنتم اخترتُموني، بل أنا اخترتكم، وأَقَمتُكم لتذهبوا وتأتوا بثمرٍ، ويدوم ثمرُكم، لكي يعطيكم الآب كل ما طَلَبتُم باسمي»

إنجيل يوحنا ١٥: ١٦

(لخدام الكلمة)

تحذير لكل مؤمني الرب وكل خدام الكلمة، ليثبِّتوا أقدامهم في طريق الحب والخدمة وعرق الافتقاد، أن تكون خدمتهم وعملهم وسعيهم مؤمَّناً عليه، حتى لا يخطفه الشيطان منهم إن هم شعروا بأهم أصحاب كلمة وخدمة وافتقاد. فيقول المسيح إنه هو الذي يجذب قلوبهم لمحبة الخدمة، ويؤازرهم في كل بذل واجتهاد، حتى يصير عملهم بالله معمولاً[١] وليس بإرادهم وبذلهم.

فالاختيار للخدمة يأتي من فوق، لأن المسيح هو الذي يُلهِم المتكلمين باسمه، والروح القدس يجعل كلامهم وخدمتهم مُعزِّية. ولكن إذ يتقاطر الناس عليهم، حينئذ يفرح قلب الخدام الجهلاء أهم قد صاروا أصحاب كلمة وخدمة، وأنه لولاهم ما كان

---

[١] يو ٣: ٢١.

وعظ ولا خدمة. وفي يوم تتعثَّر الكلمة في أفواههم ويطلبون النجدة فلا يُعطَوْن، لأن الله لا يسلِّم مجده لآخر، ولا يستطيع أحد أن يبتزَّ الكلمة ويتاجر بها.

هنا يلزم جداً لكل مؤمن بالمسيح، ولكل خادم للكلمة، ولكل مُفتقد البيوت أو الكنائس، أن يُقدِّموا كرامة المسيح فوق كل كرامة، وأن يوضِّحوا لكل السامعين أن الرب هو الناطق بالكلمة. والكلمة في أصلها وجوهرها هي هي المسيح، وكلُّ من استولى عليها خلسة لنفسه تُنزَعُ منه الكلمة ويبتعد عنه المسيح، فيشعر بفراغ مرعب وتتحشرج الكلمة في فمه بعد أن كانت تخرج «من بطنه أنهار ماء حيٍّ»[٢]، تُمجِّد الله في كل شيء وعلى كل شيء، وبعد أن كانت حياته وكلماته نوراً ونعمة تخرج من فمه. وإن تمجيد الله في الوعظ والخدمة هو جوهر كل عظة وكل خدمة، لتزيد الله مجداً وصاحبها تواضعاً.

فقوة الخدمة كائنة في تواضع صاحبها، وثمرة الافتقاد هي في تمجيد الله، والذي يبذل نفسه حقاً ويخدم الكلمة بحق، تُسمَع طِلْباتُه لدى الله من أجل الآخرين.

---

[٢] يو ٧: ٣٨.

وهذه هي أسرار الخدمة والخدام، ومصدر قوهم. والمسيح هنا يُلهم الخدام أن يسيروا في الطريق الحقيقي الذي يؤدي إلى تمجيد الله. فإن كان حب الخادم للخدمة والمسيح حقيقياً، صارت خدمته بالله معمولة، وكان هو آلة لتمجيد الله، وعلى يديه تزيد الخدمة وينمو المخدومون في معرفة الحق والله، وينتقل الإنجيل من بيت لبيت، وتزداد كلمة الله فهماً ومعرفة، ويكون الفضل لنعمة الله التي تملأ قلوب المتكلمين والسامعين.

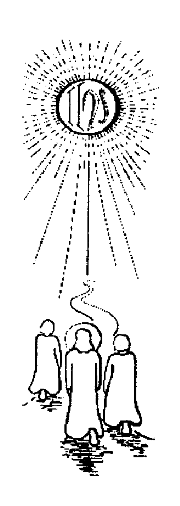
وتظل آية المسيح هي البوصلة التي يقيس بها الخادم والواعظ خدمته أو كلمته. فالمسيح يختار خدامه ويرسلهم ويمشي أمامهم كما يمشي الراعي الصالح أمام خرافه لكي يُريها الطريق ويمنع عنها الشرور والأعداء.

وحينما يؤكد المسيح أنه هو الذي يختار خُدَّامه ويعلِّمهم الطريق، يتقوَّى قلب الخادم، ويعلم أنه ليس وحده، فالمسيح هو المسئول عن الخدمة والخدام. فإن ازدهرت الخدمة ولاقت نجاحاً وامتداداً، فالفضل للراعي الصالح والمعلم الإلهي، الذي يرى كل شيء، ويبارك كل عمل.

وأعظم مسئولية تُلقَى على الواعظ أو الخادم، كان من كان،

أن يصلي من أجل المخدومين والسامعين، وليس مجرد الصلاة بل الصلاة بطلبة من أجل الضعفاء والمجرَّبين بتجارب متنوعة. فهنا تظهر علاقة الخادم أو الواعظ بالمسيح، لأن وعد المسيح هو أن الذي يختاره المسيح للخدمة أو الوعظ أو الافتقاد، يتعهد الله بأن كل ما يطلبه الخادم أو الواعظ من أجل مخدوميه أو السامعين لكلمة الحياة سوف يستجيب الله والمسيح لحساب أولاده ومختاريه.

١٨ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٩٢ -

«إن كان العالم يبغضكم، فاعلموا أنه قد أَبْغَضَني قبلكم»

إنجيل يوحنا ١٥: ١٨

بُغْضة العالم لنا أصبحت الضريبة المسجلة التي يعرفها الإنسان وهو لا يزال في سني حياته الأولى. وشيئاً فشيئاً وسنة بعد أخرى يصبح اضطهاد العالم للمسيحي ضريبة لازمة الدفع، ويوجد من يدفعها ويمرُّ، وآخرون يتعثّرون بها ويرفضونها، فتزداد عليهم وتصبح ثقلاً غير محتمل، مع أن الذي اعتادها لا يتعثّر في شيء فيسير ويدفع الضريبة في صمت، وتعبر إلى أن يأتي غيرها فيعتادها، ويكاد يدفعها دون أن تُطلب منه. فمثلاً يأخذ الصف الأخير في صمت، ويعيد السنة المدرسية كراسب وهو شاكر، والذي لا ينجح هذه السنة ينجح في السنة الثانية ويسمع بأذنه أنه 'دَبْلَر'- أي سقط وأعاد السنة - دون أن يفتح فمه، وتفوته العلاوة (أي بركة احتمال الاضطهاد) وينتظرها مرة أخرى. فالذي يحتمل دفع الضريبة أسعد من الذي يتعوّق ويشتكي.

وأصبح اضطهاد العالم لنا جزءاً لا يتجزّأ من الحياة اليومية،

وتعوَّدْنا عليه كما تعوَّدْنا على الصداع والإنفلونزا. أمورٌ لا يصحُّ أن نقف عندها، لأنها تحصد الكل، وليس أحد أعزَّ من الآخر أمامها، بل هي التي تختار من تستضيفه عن رضا وصمت.

وحينما يرفع الإنسان بصره، يرى المسيح قد جاز كل أنواع الاضطهادات ولم يشتكِ قط، إلاَّ عندما ضربه خادم رئيس الكهنة على وجهه بالقلم، فقال له المسيح: يا صاحب «إن كنتُ قد تكلمت رديّاً فاشهد على الرديِّ، وإن حسناً فلماذا تضربني»[1]. وأخذه العسكر إلى موضع سُكناهم، وقد تبادلوا عليه صفعاً وبُصاقاً وضرباً على الوجه وعلى الرأس وهم يراهنون عليه، وأخيراً جلدوه على ظهره الغضِّ ٣٩ جلدة بلا رحمة، فكان يصرخ ويصمت، وآخر الكل أخذوه ونفَّذوا فيه حكم الوالي ورؤساء الكهنة بالصلب، ومات المسيح متألِّماً ونازفاً كل دمه!

فإن كانوا قد فعلوا هذا في رب المجد، أفكثيرٌ عليهم إن جعلوا هذا هو طعامنا وشرابنا؟ فنحن نأكل الاضطهاد أكل الخبز ونشربه كالماء، ولكن بالرغم من ذلك فنحن بمسيحيتنا أكثر من منتصرين. ونقول ونسبق الحوادث كلها الآتية علينا من العالم:

[1] يو ١٨: ٢٣.

إننا غلبنا العالم وأكثر من المنتصرين.

وعلى قدر ما يُذيقنا العالم من مرار، فسوف نذوق الرب وهو طيِّبٌ جداً، ومذاقه مذاقُ العسل المعقود[٢]. ومرارُ العالم زمنيٌّ، وكل ما هو زمنيٌّ هو حتماً زائل، أما الرب ومُحبُّوه فثابت إلى الأبد. فليس غريباً علينا أن نستبدلَ المرارَ بالعسل المعقود، أو الوجعَ والحرمان بالراحة الأبدية.

فاشربوا، يا إخوة، من المرار الزمني ولا تتمنَّعوا، فكل أطايب الملكوت محجوزة لكم. وكما صنعوا بالمسيح، فليس بأقل مما يصنعون بنا، فنحن شركاء آلامه حقاً، ومجدُنا هو صليبه ومساميره، وقد خار المسيح تحت ثقل الصليب، فإن خار أحدُنا تحت الاضطهاد فلا ينسى صليبَ المسيح الذي وُضِع علينا أن نحمله، رضينا أو لم نرضَ.

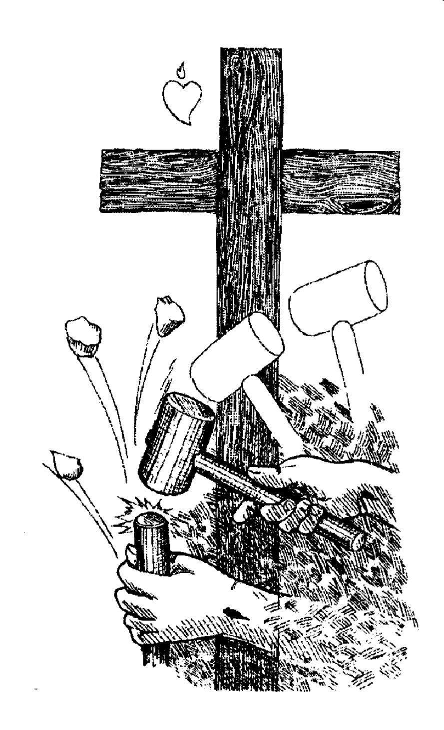
والرب أوصانا أن نحمل الصليب ونتبعه، فلماذا الشكوى والأنين، والآلام هي مُرادُنا، والعذاب هو غذاؤنا، والاضطهاد هو سِمَتُنا التي أصبحنا نُعرَف بها؟ وكانوا زمان يصفون المسيحي "بأبو عضمة زرقة"، ذلك لأنهم كانوا يُحمِّلون المسيحيين صليبا

[٢] أنظر مز ٣٤: ٨.

ثقيلاً جداً، فترك الصليب على القفا زرقة من ثقـــل الصـــليب واحتكاكه.

فافتخارنا أننا أبناء "العضمة الزرقة".

١٨ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٩٣ -

«كل ما للآب هو لي. لهذا قلتُ إنه – أي الروح القدس– يأخذ مما لي ويُخبركم»

إنجيل يوحنا ١٦: ١٥

هنا قول المسيح إن كلّ ما للآب هو له، هو حقيقة لاهوتية ثابتة. فالآب والابن واحدٌ لاهوتياً. وهنا يصير التطابق مطلقاً ويُنتج وحدة مطلقة. هذه الحقيقة يقولها لنا لتكون لنا بمثابة استعلان للآب وكل ما له. فأصبح المسيح الوعاء الذي يصبُّ فيه الآب كل ما له. فلما جاء موعد الآب، أي الروح القدس، أصبح كل ما يأخذه الروح القدس من المسيح هو بآنٍ واحد للآب في ذات الحال.

بهذا يصبح الروح القدس يوصِّل لنا كل ما للآب وكل ما للابن بآنٍ. وهذه الصفة التي للروح القدس جعلت الكلمة التي يقولها المسيح، أي الإنجيل، هو كل ما للآب والابن.

وهنا تظهر عظمة الروح القدس أنه أساس المعرفة اللاهوتية، وهو يجمع لنا في الكلمة المقولة كل ما للاهوت. وهذا غنىً لا

يُجارَى، وتسهيلٌ علينا في المعرفة والاستعلان بصورة عالية جداً وفريدة. فالروح القدس بالرغم من أنه لا يُرَى ولا يُسمَع، إنما عمله فينا يفوق الوصف.

ونحن نلنا الروح القدس بنفخة المسيح لنا سرّاً في المعمودية، وصار ساكناً فينا وعاملاً لحساب الآب والابن. فكل كلمة ينطق بها المسيح تصلنا مقوَّاة بقوة الروح القدس، فتثبت فينا الكلمة كما يشاء المسيح. وإذا ثبتت فينا الكلمة، أثمرت بقوة الروح القدس أعمالاً ووعظاً وخدمة وافتقاداً. وبهذا العمل العجيب بالنسبة للروح القدس، انتشرت الكلمة، وصار الإنجيل مقروءاً فعَّالاً بالكلمة، كما خرجت من فم المسيح. لذلك لا يُحسَب للروح القدس أنه فقط موصِّل الكلمة، بل حافظُها ومُرسِّخها في قلوب السامعين، فصار المؤمنون إنجيلاً ينتشر في العالم كله، لأنه أصبح عاملاً في كل قلب ومُجدِّداً لروح الإنسان. وهكذا يجمع الروح القدس كل ما للآب والمسيح، ويغرسه بالكلمة في قلوب المؤمنين السامعين. وهكذا صار الروح القدس هو القائم بالإعلان والاستعلان لأسرار اللاهوت. وصار الإنسان الحائز على الروح القدس، في ملء الشركة مع المسيح والآب عن معرفة واستعلان. وهكذا نمت الكلمة وانتشرت، وصار بين الناس علماء في الإنجيل

واللاهوت عن أصالة ووعي واستذكار، وبآنٍ واحد يباشرون الصلاة من أجل الآخرين، ويجرون معجزاتٍ، ويتبعهم الروح فيعمل الأشفية لكل من يوضع عليه اليد، ويتمجد الآب والابن، لأن كل الأعمال التي يعملها المؤمنون، إنما يعملونها بالروح القدس الناطق في الخدام والعامل بوضع اليد.

وصار الروح القدس في الكنيسة حاملاً لكل أسرار اللاهوت، مُعلِّماً وعاملاً بقوة المسيح والآب. وهكذا بحلول الروح القدس استلم الإنسان أسرار الله، وقويت الكنيسة بوضع اليد، فصارت المعجزات ترافق المؤمنين، وأخبار الخدمة صارت تتناقل بين الكنائس وأصبحت مصدر قوة وتجديد للمؤمنين. وعرفت الكنيسة قوة التجديد وصار يتهافت عليها أولاد الله، حتي صار الإنسان الجديد سمة العصر، وصارت الخدمة قوية بعمل الروح القدس، وكثر الوعاظ الذين يخدمون الكلمة بالروح، وأثمرت الخدمة مؤمنين جداً. وهكذا اخضرَّت التينة وأخرجت أوراقها الجديدة، استعداداً لرب الكرم الآتي لإعلان كمال الخلاص ونهاية الأيام.

١٨ أكتوبر ٢٠٠٥

- ٩٤ -

«وأما المعزِّي، الروح القدس، الذي سيُرسله الآب باسمي، فهو يعلِّمكم كل شيء، ويذكِّركم بكل ما قُلتُه لكم»

إنجيل يوحنا ١٤: ٢٦

كنا نسمع عن الروح القدس فقط، ولكن لم يكن قد أُعطي بعد، حتى أتى يوم الخمسين حينما أُرسِل الروح القدس من عند الآب. وواضح أنه أُرسِل يوم الخمسين بعد ارتفاع المسيح، لأن يوم الخمسين هو يوم جمع الثمار، ثمار الحنطة. والمسيح مثّل نفسه بحبة الحنطة، التي إن لم تقع وتَمُت لا يأتي ثمرٌ ولا نسمع عن حصاد[١]. وهكذا يكون إرسال الآب للروح القدس باسم المسيح هو **أولاً** تكريمٌ للمسيح وتكميلٌ لعمله العظيم، **وثانياً** فإن الروح القدس عُرِّفَ بالمُعزِّي، وقد سمَّاه المسيح بالمعزِّي الآخر، باعتبار أن المسيح هو المعزِّي الأول. وفعلاً كان الروح القدس مُعزِّياً بالحق، يملأ قلب الإنسان بالسلام والعزاء الكامل، إزاء العالم المُنكِّد الأول والأعظم. فالروح القدس جاء ليوازن إيمان الإنسان

---

[١] أنظر يو ١٢: ٢٤.

وفرحه بالمسيح الذي ارتفع إلى السماء، إزاء العالم وأتعابه.

ولكن كان عمل الروح القدس الأساسي، هو أنه يأخذ من المسيح كل تعليم وكل أعمال عملها لخلاص الإنسان ويوضِّحها أو يشرحها للمؤمن بالمسيح، فكأن الروح القدس، الذي جاء بطلب الابن من الآب، هو تكميل رسالة المسيح كل زمان إلى آخر الدهور. وفعلاً كان الروح القدس وعمله الدائم في قلوب المؤمنين بالمسيح هو نفسه الإنجيل المشروح والمؤيَّد بالآيات والمعجزات. يعرف هذا من تأيَّد بالروح القدس وقَبِلَه في قلبه. ومعلوم أن كل المؤمنين نالوا الروح القدس كموعد الآب وعمله.

وتأكيد المسيح أن الروح القدس يُعلِّمنا كل شيء ويذكِّرنا بكل كلام المسيح في كل مواقفه، تمَّ بالحرف الواحد حتى صارت معرفة المسيح، وحبه، والإيمان بكل كلامه ووصاياه، كالمياه التي تغطي وجه الأرض. وحدث في بعض المؤمنين أن الروح القدس بدأ يعمل المعجزات كأيام المسيح وحسب وعده، وإلى اليوم يعمل المؤمنون بالمسيح قوات وعجائب ويُخرجون الشياطين بقوة واقتدار. بكلمة واحدة يخرج الشيطان صارخاً، وهذا بسبب عمل الروح القدس الواضح.

فبالحقيقة إن الروح القدس أحيا رسالة المسيح، وانتشرت على وجه كل الأرض وصار الإيمان يملأ كل العالم.

فإرسال الروح القدس من الآب باسم المسيح لحساب كلمة المسيح وأعماله، كان في غاية الأهمية والعوز. فالروح القدس هو الآن المسئول عن إيمان المسيح في كل العالم، لأنه لا يكفُّ عن ملء القلوب وإرسالها لتخدم باسم الرب! والعجيب أنه بعمل الروح القدس ازداد المسيح مجداً في كل الأرض، وتمجد الروح القدس نفسه، وصار ملء القلوب والأرواح. فتسمية الروح القدس، كما جاءت على فم المسيح، أنه المعزِّي الآخر حقيقة أثبتت وجودها، وما زالت تزداد وتنمو على ممر الأيام والدهور.

ونحن نذكر أن المسيح بعد قيامته من الموت دخل العلِّية، وحيَّا التلاميذ بسلامه، فبعد أن أثبت لهم حقيقة القيامة بإظهار جروح يديه ورجليه، نفخ في وجوههم قائلاً: «اقبلوا الروح القدس»[٢]، فكانت هذه بادئة لعمل الروح القدس الذي وهب التلاميذ العزاء والشجاعة للشهادة بقيامة الرب بلا خوف!

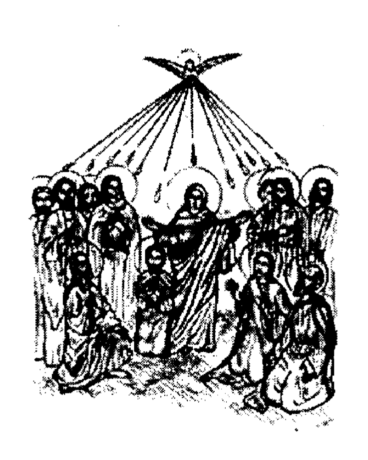
ومن هذا اليوم المشهود الذي فيه رأوا وآمنوا بالقيامة وقَبِلوا

---

[٢] يو٢٠: ٢١.

الروح، بدأت الشهادة فعلاً بقوة وشجاعة على كل الجهات، وخاصة أمام رؤساء الكهنة الذين ضجُّوا من شهادهم وفكّروا في قتلهم. ولكن زادت الشهادة وتقوَّت بالتهديد، بسبب عمل الروح القدس، الذي عمل من التلاميذ الأميِّين فلاسفة دوَّخوا الكتبة والفريسيين ورؤساء الكهنة. ولا زالت رسائل بولس الرسول تُدرَّس في الكليات والأكاديميات، وتُغذِّي كل القلوب الجائعة والمتعطشة للإيمان.

١٨ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٩٥ -

«فجاء صوتٌ من السحابة قائلاً:
هذا هو ابني الحبيب، له اسمعوا»

إنجيل مرقس ٩: ٧

لأول مرة يسمع فيها إنسانٌ صوتاً من فوق، أي صـــوت الله. وهذا يُحسَب إنجيلاً قائماً بذاته، لأن الكلام هنا هو كلام الآب يخاطب التلاميذ مباشرة. كما أن هذه شهادة إلهية مسموعة من الآب. هذا جديدٌ على الإنسان، لأنه لأول مرة يُســمَع فيهــا صوت الآب من السماء مباشرة.

هذه الشهادة تأتي لحساب الابن، ابن حضن الآب. حقاً فهي تفوق كل شهادة أخرى، لأنها شهادة تسليم، يُسلِّم فيهــا الآبُ الابنَ المرسَل ليحمل رسالته لبني الإنسان. وتحقَّقَ هنا قول المسيح الدائم: أنا جئتُ من الآب[1]، وكلامي وأعمالي هي مـــن الآب[2]. كما توضِّح هذه الشهادة العلاقة التي تربط الآب بالابن، فهـــو

---

[1] أنظر يو ١٦: ٢٨.

[2] أنظر يو ١٤: ١٠.

يدعوه ابني الحبيب، حيث البُنوَّة بُنوَّة حبٌّ مُرسَلٍ للإنسان عَبْرَ المسيح الابن.

لما قال رؤساء الكهنة للمسيح أن يُسكِّت الأطفال الصارخين بأوصنا الآتي باسم الرب، قال لهم المسيح: «إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ»[٣]. وهنا تأتي الشهادة للابن من الآب من السماء، فالسماء تشترك مع الأرض في الشهادة للابن الحبيب المُرسَل من الآب هو يحمل رسالة حب الآب.

ومع الشهادة طلب الآبُ من التلاميذ «له اسمعوا». والآب يقصد هنا ليس سماع الأذن، بل سماع الحق الإلهي المنطوق بالروح للروح، فإن كلام الابن «هو روح وحياة»[٤]، فكلام الآب كذلك: «روح وحياة». والسَّمَع المطلوب يسمو فوق السمع والطاعة التي نقولها، بل هو سمعٌ استعلاني لأنه سمعٌ روحي صرف، فيه يتعرَّف الإنسان لأول مرة على مكنونات اللاهوت الذي تجسد لحساب خلاص الإنسان. وهذا النداء الأبوي السمائي يكشف عن الصلة الإلهية التي تربط الآب بالابن لاهوتياً. وحينما يقول: «ابني الحبيب»، فهذا استعلان جديد

---

[٣] لو ١٩: ٤٠.

[٤] يو ٦: ٦٣.

للحب الأبوي الذي للابن، يدخل ضمن تسليم حب الآب للإنسان عن طريق الابن. ولأول مرة يسمع الإنسان ويدرك أن المحبة صفة أبوية إلهية يعتزُّ بها الإنسان في حياته، ويفتخر بها إزاء غضب الآب على الإنسان وإخراجه خارج الجنة لوجوده على الأرض، ليذوق الإنسان الغُربة والفراق المؤلم طول حياته، إلى أن نطق الآب بهذا التسليم من الآب أن ننفتح على الابن، لنسمع منه رسالة الآب للإنسان التي هي الإنجيل. فالإنجيل تسليم من الآب لنا لنسمعه ونحيا به.

فلننتبه، يا إخوة، إلى رسالة الآب الخاصة التي يخاطب فيها الإنسان، فهي علامة ودٍّ ورضا وتواصل، عِوَض ما استلمنا من آبائنا في العهد القديم أننا مطرودون من لدن الله نعيش غربتنا على رجاء رضا الله علينا، هذا الذي صار إلينا الآن مسموعاً من السماء جهاراً نهاراً. فنحن إن كنا سعداء ومحظوظين بمجيء المسيح إلهنا معلماً هادياً شافياً مُحبّاً ومحبوباً، فيا لسعادتنا الآن بصوت الآب وهو يسلمنا ابنه المحبوب لنسمع له ونسمع منه تعليم الآب وتوجيهاته على لسان ابنه. ولننتبه إلى رسالة الحب المهداة لنا مع المسيح، فإن المسيح حبيب الآب أصبح بالضرورة حبيبنا الناطق باسم الآب. فرسالة الحب لنا تَجُبُّ كل قول، لأنه

إن جمعنا كل الوصايا التي أتى بها الرب لأكملتها المحبـــة، الـــتي بدونها يكون الإنجيل ناقصاً. لذلك أسماها المسيح بعد كل الوصايا "وصية جديدة أقولها لكم، أحبوا بعضكم بعضاً، كما أحـــبني الآب أُحبكم أنا"[٥].

١٩ أكتوبر ٢٠٠٥



---

[٥] أنظر يو ١٣: ٣٤، ١٥: ٩.

- ٩٦ -

«ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني»

إنجيل متى ١٠: ٣٨

الحياة هي قَدَر كل إنسان، وليس إنسان إلاَّ وله شكوى ووجع، فهذا صليب كل إنسان. فصليب الإنسان هو قَدَرُه، يقبله أو يرفضه، سيَّان. ولكن من يتذمَّر على صليبه يزداد ثقلاً عليه، ومن يحمل صليبه ويتبع خطوات الرب يهون عليه الصليب. لأن الصليب هو سرُّ الله للخلاص، فمن رَضِيَ بصليبه، هان عليه وخفَّ حمله، لماذا؟

يا إخوة، هوذا سرٌّ أقوله لكم، إن اسم الصليب وحقيقته صار تابعاً للمسيح، وصار حمل الصليب في رضا وصمت بمثابة قبول المسيح، والمسيح نفسه هو سرُّ الله الذي عامل به الإنسان ليخلِّصه من خطاياه والموت بها. قلتُ مَنْ يقبل الصليب ويحمله يكون قد قَبِلَ المسيح، والمسيح ربٌّ وإلهٌ. فأصبح الصليب هو الانحياز للمسيح بصفته رباً وإلهاً، بمعنى أن من يحمل صليبه في قبول ورضا، يكون قد قَبِلَ المسيح رباً وإلهاً، وهذا هو منتهى

الإيمان بالمسيح والله.

يا إخوة، إن الصليب دخل إلى العالم بسرٍّ فائق الوصف، ودخل ليكون لا ضيفاً على الإنسان، بل حاملاً سرَّ حياته الجديدة من عند الله. والمسيح عانى كثيراً جداً ليجعل الصليب واسطة خلاص. كان له صعباً للغاية، ولكن احتمله المسيح بسرور لأنه يعلم أن آلامه وعذاباته قبْلَ الصليب وعليه هي الواسطة الوحيدة لِفدْيَة الإنسان، لأن المسيح ذُبِحَ على الصليب ليكون فِدْيةً لكل مَن يعترف به.

والذي يعترف بصليب المسيح وموته عليه، يصبح الصليب نفسه وكأنه صليبه هو، ولو لم يحمله. ولكن مباركٌ الإنسان الذي يحمل صليب المسيح باعتباره أنه صليبه، وأصبح عليه أن يعلم أن صليب المسيح صار يعني حمل الآلام وكل ما يأتي عليه من ذُلٍّ واضطهاد، وطرد واحتقار.

ولكن هوذا سرٌّ أُعلنه لكم، أن من يحمل صليب المسيح، لا يمكن أن يتركه المسيح يعاني ما عانى هو، لأن الذي عاناه المسيح هو من أجلنا، والصليب كان لحسابنا. فالمسيح لا يقبل أن نحمل صليبه وحدنا، فهو وَعَدَ أن يكون شريكنا في آلامنا، لأنه سبق

واحتملها عنا. إذن، أصبح من الواقع أن من يضـطهده العـالم ويُحمِّله الصليب عنوة، يحمله عنه المسيح سرّاً، بل ويهبه القيامة أيضاً.

فأصبح قول: «من يحمل صليبه ويتبعني» هو بمثابة اختبار، فإن رضينا به، تولّى المسيح حمله مع تعزية، وقوة خفية ترفعه فـوق كل اضطهاد، وكل تعذيب، وطرد.

فأصبح حمل الصليب واتِّباع خُطى المسيح نوعاً مـن عـرض تدخُّل الله في حياتنا ليـذيقنا قوتـه وتعزيتـه، فنغلـب الآلام والاضطهاد بسرٍّ يفوق العقل، وكأن الاضطهاد والآلام واسـطة لنتذوَّق عمل الله ومساندته لنا.

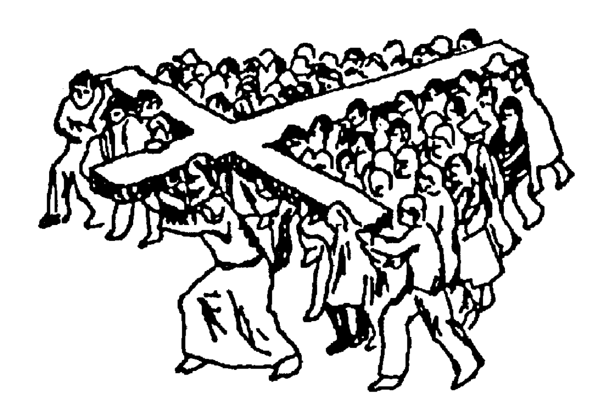
وليست المعونة فقط تأتي في حمل الصليب عنا، وإعطائنا قـوة وتعزية للاحتمال، ولكن يوازن هذا الاضطهاد اقترابٌ من نعمة الله وسروره، حتى أصبحت الضيقات عند الذين قبلوا الصـليب برضا، يعادلها فرحٌ داخلي، فرح لا يُنـزَع منا بل يلازمنـا في الضيق حتى النهاية، حتى أصبح البعض يفتخر في الضيقات[1]، لأنه صار بها محبوب المسيح والله، وأصبحت له دالة علـى المسـيح

[1] أنظر رو ٥: ٣، ٢كو ٧: ٤.

بصفته شريك آلامه وصليبه.

فمرحباً بالصليب والضيقات، لأننا بها ننال شركةً حقيقيةً في آلام المسيح وصليبه، وتلمذةً للمسيح أو تلمذةً حقيقية للصليب.

١٩ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٩٧ -

«حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم»

إنجيل متى ١٣: ٤٣

على قدر ما يحتمل أولاد الله ضيقات هذا العالم مع مؤذياته من الشرور والأوجاع، على قدر ما أعدَّ لهم الله من أيام سعيدة وحالات من الفرح والأمجاد، التي يذوقونها في ملكوت أبيهم. وهنا يصف المسيح حالة الأبرار الذين جازوا ضيقات العالم وغلبوه باحتمالهم وصبرهم وشكرهم، أنهم يبلغون حالة من الراحة والمجد حتى أنهم يضيئون كالشمس، وهذا أقوى تعبير عن شركة الإنسان فيما لله.

والإضاءة كالشمس لا تجيء من فراغ، إذ يكون الله قد صفَّاهم من ظلمة الخطايا وأعمالها، التي طبعتها الخطية عليهم، فالإضاءة هنا هي القداسة في التعبير الإلهي. والآب والابن يحيا في حالة إضاءة بنور خاطف لا ينطفئ، يستنير به أولاد الله حينما يُوهَبون الدخول إلى الملكوت.

فالظلمة هي صفة الخطية والخطاة وأعمال الشر المتعددة، حيث

تغشى الخطاةَ والأشرارَ ظلمةُ صاحب الظلمة. والظلمة في حالة الأرض تملأ العالم كله، إلاَّ مَنْ حُسِبوا من أهل النور، الذين أضاء المسيح قلوبهم وصاروا سمائيين في سلوكهم وحظهم ونصيبهم.

والنور والاستنارة من صفة السمائيين، سواء كانوا لا يزالون متغرِّبين في عالم الظلام أو أُسعِدوا بالنَّقْلة التي أورثَتْهم ما للمسيح والله، وصاروا من عِدَاد بني النور الذين يضيئون كالكواكب أو كالشمس في جَلَدِ السماء، أي في ملكوت الله. والإضاءة تشمل الإشعاع، وإشعاع الأبرار هو فضائلهم التي ورثوها بدموعهم، وسهر الليالي، وأصوامهم التي جازوها بالتقوى، وكانوا مشهوداً لهم ولجهادهم. الذين يضيئون، يضيئون ويستضيئون بنور المسيح، لأنه يحتويهم في مجاله الإلهي الذي يعيش فيه ويعيش معه كل الذين له.

وهذه الآية تشيع في النفس راحة وسعادة مُسبَقة، وتجعلنا نشعر أن لغُربتنا التي على أرض الشقاء هذه النهاية السعيدة التي لا يحلم بها إنسان، فأنَّى للإنسان أن يُحسَب من أهل السماء، وأنَّى له أن يضيء بينما الظلمة تحيط بنا الآن، فلا نرى نوراً ولا ضياءً.

إن في قول المسيح إن الأبرار يضيئون في ملكوت أبيهم عزاءً ما

بعده عزاءً، لأننا نأخذ هذا الوعد مأخذ الجد، ولا نفتر عن التمنِّي بهذه الأيام، وهل هي حقاً من نصيبنا؟ إنَّ وَعْدَ المسيح فائق على قدرتنا في التصوُّر، لذلك نأخذ كلام المسيح هنا كوعد سيضطلع هو بتنفيذه لأنه يخرج عن محيط كياننا، لأننا لا ننسى أبداً أننا من تراب الأرض أُخذنا، ونهايتنا هي تراب الأرض، إنْ لم يَرفعْنا المسيح نفسه من تراب الأرض إلى حقيقة السمائيين.

وإلى أن يُكمِّل المسيح وعده ويرفعنا إليه بقوة قيامته ومجد الآب، فنحن نظل نترجَّى تكميل وعد المسيح إلى أن نموت. ومن يَعِشْ بالترجِّي يُمسك بالكلمة، ويحتضن الإنجيل بدموع، فإنه وحده تحقيق الوعد، ونهاية الترجِّي، الذي يتحوَّل إلى حقيقة. ولا نفتأ نقول إن كلمة الإنجيل نورٌ لحياتنا، وقائدٌ لمسيرتنا، إلى أن يكمِّل المسيح وعده ويأخذنا إليه.

١٩ أكتوبر ٢٠٠٥



- ٩٨ -

«كلُّ كاتبٍ متعلِّم في ملكوت السموات، يشبه رجلاً ربَّ بيتٍ يُخرج من كنـــزه جُدُداً وعُتَقاء»

إنجيل متى ١٣: ٥٢

المسيح هنا يصف الإنسان الذي توافر على الإنجيل، وأكمـــل استيعابه كالكاتب المتعلِّم قديماً. كما يصف الإنجيل بالكنـــز المملوء جواهر حقيقية جديدة وقديمة، الجديد جديـــد بالمســـيح والعتيق بالعهد القديم.

وبديعٌ بالمسيح أن يصف كلامه بـــالكنوز، وهـــي فعـــلاً في حقيقتها أثمن من الكنوز، مهما علا قـــدرُها وازدادت قيمتـــها. والجديد هنا والمهم للغاية أن يُسمِّي كلماته بالقدر الذي يُسمِّي أقوال العهد القديم، فالاثنان كنوز حيَّة تتكلم بأحسن كلام.

وفي كلام المسيح هنا لَفْتُ نظر لنا، حتى نُقيِّم كلامه كـــأغلى وأعظم ما يمكن امتلاكه في العالم. والعجيب حقـــاً أن كنـــوز العهدين هى كنوز كل جيل وكل إنسان وكـــل الـــدهور، لا ينطفئ لمعانها ولا يقلُّ نورها، ولكن لمعانها ونورها يزداد ويقـــلُّ

على قدر قارئها.

وكنوز الإنجيل، أي كلمات المسيح، كانت تخرج من فمه ويسمعها تلاميذه، فكان المسيح يقول لهم "طوباكم"، ولم يكونوا يعلمون أن ما يسمعونه هو كنوز حقيقية سيحتفظ بها الزمن لتُزامنَ كل جيل، وستبقى، وإن كانت ستزول السماء والأرض، لأنها مقولة الآب ونُطْق الابن، آخر ما عند اللاهوت من عطية للإنسان السعيد بإنجيل ربنا.

وعلينا أن نقتني كلام الإنجيل بصفته عطية الآب وهدية الابن، وباعتباره استعلاناً حقيقياً لِمَا في قلب الآب وقلب الابن من جهتنا. فالإنجيل رسالة السماء الحيَّة الناطقة، ينطق بها الابن ليكشف ما في الوجود الإلهي ويخصُّنا. وفعلاً، الإنجيل وكنوزه وكنوز العهد القديم ورَّثتنا كل موروثات المسيح، وسوف نَستْعلِنُ فوقَ، قيمةَ هذه الكنوز التي تتمنَّى الملائكة أن تطَّلع عليها.

والذي يلفت أنظارنا هنا بصفة رسمية أن الكنوز التي يقتنيها الكاتب المتعلم تخصُّ العهد الجديد والعهد القديم، فأصبحت هذه الآية حقيقة إلهية مسجلة، أي لا يستطيع أحد أن يستهين بالعهد

القديم وكل تعاليمه، فهي تدخل كواجب على الإنسان، للإنسان المسيحي أن يلتفت إليها ويعطيها ما يعطيه للعهد الجديد من اهتمام واطِّلاع واستشهاد.

ولكن القارئ اللبيب يلاحظ أن المسيح هنا يذكر الجديد قبل القديم، هنا ينصبُّ التعليم على أساس أن العهد القديم مُعتَبَرَ أنه توطيد وشرحٌ ضمنيٌّ للعهد الجديد، ولكن العهد الجديد يحظى في عين المسيح بالأولوية في الحفظ والدراسة والاستشهاد به.

فلولا العهد القديم ما جاء الجديد، لأن يسوع هو هو المسيا في العهد القديم، أي أن المسيح نفسه كان صاحب العهد القديم وبانيه، فهو داخلٌ كأساس لبناء العهد الجديد. فعندما يقول المسيح: «قيل لكم في القديم»، «وأما أنا فأقول لكم»[1]، فالمسيح هنا لا يهدم القديم ولكن يبني فوقه، لذلك ضمَّهما الكتاب المقدس معاً، فالإنجيل كله هو الرسالة المفرحة التي استلمناها بالروح.

فالعهد القديم يتكلم عن أهمية الذبائح، «وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة»[2]، وكانت الذبائح ماعزاً وخرافاً وثيراناً، ولكن لما

---

[1] مت ٥: ٢١، ٢٢.

[2] عب ٩: ٢٢.

جاء العهد الجديد يقول: «عند دخوله (الابن) إلى العالم يقول: ذبيحة وقرباناً لم تُرِدْ، ولكن هيَّأتَ لي جسداً»[٣]، فهنا جاء المسيح حسب مسرة الآب ليكون ذبيحة العهد الجديد، التي تلغي كل الذبائح القديمة وتجعلها عديمة القيمة، إزاء ذبيحة المسيح التي أكمل بها خلاص الإنسان. وكان المسيح هنا الفدْيَة الإلهية التي فيها كُفِّر عن خطايا العالم كله. كذلك كان الصليب وتمزيق جسد المسيح عليه بمثابة تمزيق الحجاب الحاجز بين الإنسان والمقدَّسات. فالحجاب كان موجوداً أولاً، وأتى جسد المسيح وألغى الحجاب ومقدَّساته، فصار هو وحده الطريق والحق والحياة المؤدِّي إلى الآب.

٢٠ أكتوبر ٢٠٠٥

---

[٣] عب ١٠: ٥.

- ٩٩ -

«كنتَ أميناً في القليل فأُقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك»

إنجيل متى ٢٥: ٢١

هذه الآية من الآيات الكاشفة التي تقارن بين كل أعمالنا هنا التي نعملها لأجل البر والتقوى، ونجاهد ساعين أن نستكمل وصايا الرب بكل يقظة وإجلال، وبين عطية الآب لأولاد المسيح حينما يُكمِّلون السعْي المبارك، وينطلقون إلى الآب ليتقبَّلوا نصيبهم الأبدي.

وهنا يجعل المسيح الذي يكمل وصاياه أن يَرثُ الكثير، حتى لا نستكثر نحن جهدنا أو نُنْقص من سَهَرنا الليالي، وتوفُّرنا على الإنجيل ليلَ نهار. فهذه كلها تصغر أمام عطايا الرب فوق، حيث ينتظرنا ليُعلنَ لنا عن حبه ورضاه، ويجعلنا من أهل بيته حقاً في زمرة القديسين[١] الذين غَلَبوا وعَبروا في يُسْر ومسرة. فالحياة مع المسيح هي العيد الصغير، أما الحياة مع الآب فهي العيد الكبير. الأول زمني، والثاني إلهي يفوق كل عيد، لأنه عيد يزيِّنه الملائكة

[١] أنظر أف ٢: ١٩.

وكل السمائيين، مع كل القديسين الذين عبروا.

وأمانتنا الآن في تنفيذ وصايا المسيح وتقييم الإنجيل، وحبنا للمحتاج والفقير، والأرملة واليتيم، وبذلنا من أجلهم، هي القليل، إن قورنت بتأهُّلنا بأهل الله، وقبولنا فوق صفوف الملائكة كخليقة نالت شركة في لاهوت الآب والابن، حيث مسرات الروح والسماء، شيءٌ لا نستطيع حتى تصوُّره الآن، ولكن يجمعه كله المسيح في كلمة «**فرح سيدك**»، فهو عيد الأبدية الموسوم باسم الآب، حيث الفرح الذي لا يُنطَق به ومجيد[٢].

ولأول مرة في الإنجيل كله، يكشف لنا المسيح أن الفرح الحقيقي ينتظرنا فوق، فلا حزن ولا بكاء ولا تنهُّد، بل نور بهيج وفرح مُقيم، يعوضنا عن حياة امتلأت بالمنغِّصات والآلام من كل نوع، والضيق والاضطهادات من فجر حياتنا حتى وداع القبر، ونحن راضون على مضض، ولولا هذه الوعودُ المفرحة لكلَّت نفوسنا. ولكن المسيح يعتبره القليل، ويستحثنا أن نكون أمناءَ فيه، حيث الأمانة في حياة الإيمان بالمسيح لا تزيد عن التصاقنا بكل ما هو حق، وكل ما هو مرضيٌّ ومقبولٌ بحسب الإنجيل. فالأمانة المطلوبة في حياتنا مع المسيح هي أن نَدَعَ المسيح يعمل

---

٢ أنظر ١بط ١: ٨.

في قلوبنا وحياتنا، لأن ليس عند البشر أمانة، فالأمانة عرفناها في الرب وأرضعها لنا الإنجيل، وقد أصبحت حياتنا ورجاءنا وافتخارنا أمام العالم الذي يكره الأمانة والأمناء. أما الأمانة عندنا الآن فهي محفوظة بقوة الروح القدس الساهر علينا، الذي يلقّننا الصالحات والمقدَّسات.

ودموع الأمانة هنا هي التي جذبت انتباه الآب وجعلته يحبنا بحب المسيح، وينتظر لُقْيَانا فوقَ، حينما يستقبلنا كمن غلبوا العالم لحسابه. ففرح سيدنا هو إكليل جهادنا، وفخرُ صومنا وصلاتنا، وعزاؤنا الوحيد في هذه الدنيا.

ليس لنا فرحٌ الآن، فالعالم الذي نعيشه موسوم بالآلام والحزن، نعبره بصبر كثير واحتمال يليق بمؤمني الرب الداعين باسم الله، والساعين في طريق البر والقداسة، لا يعطِّلهم شيء من العثرات الكثيرة التي يلقيها في طريقنا رئيسُ هذا العالم، عدو الأمناء وأبو كل خيانة وكذب.

يا إخوة، نحن نسير في طريق المسيح، وعينُنا إلى فوق، حيث أعدَّ لنا بيته، أي الكنيسة العليا، لنحيا فيها حياة القداسة والبر الذي يشعُّ علينا من المسيح فوق.

٢٠ أكتوبر ٢٠٠٥

- ١٠٠ -

«تعالوا يا مُبارَكي أبي، رِثُوا الملكوت المُعَدَّ لكم منذ تأسيس العالم. لأني جعتُ فأطْعَمْتموني، عطشتُ فسقَيْتُموني، كنتُ غريباً فآويْتُموني، عرياناً فكَسَوْتموني، مريضاً فزُرْتموني. محبوساً فأَتيتُم إليَّ»

إنجيل متى ٢٥: ٣٤-٣٦

عيد تسليم الأكاليل للذين يخدمون الفقراء، ويفتقدون الأيتام والأرامل والعَجَزة، الذين ليس لهم بيت ولا مقرٌّ ولا جُحْر، ولكن يلتحفون السماء ويتغطّون بالندى والمطر، وتلحس الكلاب جروحهم. كانوا هنا محسوبين حُثَالة القوم والذين خارج السياجات، ويقشعرُّ منهم السائرون ويبتعدون. هؤلاء لمّا ينتهون من جولاتهم الرحيمة، يسمعون من المسيح هذه القصيدة التي تظل ترنُّ أصداؤها عبر الأيام والسنين والدهور، وهي هي القصيدة التي ترددها الأيام وتستذكرها الليالي. والبؤساء هم البؤساء يلفظهم العالم اليوم، ويستقبلهم المسيح غداً، وقد أعدَّ لهم مدينة، وزينة.

ولما علم أحباء الرب المُلهَمون، قالوا هلمَّ معاً نفتقد إخوة الرب، ونخدم الذين خارج السياجات. وقد كان، ولا يزال، يظن الجهلاء أن الذين يخدمون الفقراء والمعدمين يضيِّعون الوقت والمال سُدىً، لأن الفقير سيظَل حسب زعم هؤلاء فقيراً والمحتاج سيظل محتاجاً، وستذهب خدمتهم وافتقادهم كأنها لم تكن. فالفقير سيظل فقيراً والمحتاج سيظل محتاجاً لأنه متْلافٌ، وخسارةٌ فيه المال والوقت. هكذا يتكلَّم أعداء الخير، غير مميِّزين إخوة الرب من إخوة الشيطان، لأن الأمور مُلتَبَسة عليهم، وهذا قد أُخفي عن أعينهم، ولا يعلمون أن هؤلاء جميعهم محسوبون من عائلة المسيح، إخوةً وأخواتٍ وأولاداً وشيوخاً. هذا كشفه المسيح في هذا المسلسل الذي جمعَ الإعواز كلها معاً وسردها واحدة واحدة، الجوعان والعطشان، والمتغرِّب والعريان، والمريض والمحبوس. جعلهم يمثِّلون شخصه بانطباق في غاية الغرابة، حتى أن قليلين من يدركون هذا السرَّ الذي أبقاه المسيح لذاته.

فالمسيح يقول إنه هو نفسه الجوعان والعطشان، والمتغرِّب والعريان، والمريض والمحبوس. ولكن للحياء يقول الذين يخدمون هؤلاء المعوزين، إن هؤلاء المعوزين هم كلهم إخوة الرب، بالكناية والالتفاف حول الحقيقة. لأن الحقيقة هي أن هؤلاء

الذين يخدمهم الخدام ويفتقدونهم ويكسونهم ويأوونهم ويزورونهم في سجونهم، **هم هم المسيح نفسه وبذاته**. فإن كان أجر الخادمين والمفتقدين كبيراً جداً، فماذا يكون إن علموا هذا؟

يا إخوة، أنتم تخدمون المسيح وتُروون عطشه، وتُلبِسونه الثياب، وتزورونه في السجون، فإن قلتم إنهم إخوة الرب فلم تُكرِمُوهم كما يحقُّ لهم، **لأنهم هم المسيح** وليسوا آخرين.

لذلك فالكرامة التي سيُكرمهم بها الآب حينما يستلمهم من يد الابن ستكون فائقة الوصف، ولن تقلَّ عن أكاليل القديسين المحسوبين أنهم أهل بيت الله، عن حقٍّ نطقَ به الإنجيل، ونُطْق الإنجيل نطقٌ إلهيٌّ.

ونحن بذلك لا نُغالي في تكريم الخدمة والافتقاد، ولكن نكشف حقيقتها وسرَّها، ليفهم الخدام والخادمات أن عملهم موضع تكريم عند المسيح والآب، ولن يضيع أجرهم، وحتى إن عانوا كثيراً أو قليلاً، فكل خطوة في خدمة المسيح عملٌ بحدِّ ذاته، وعملٌ إنجيليٌّ ممدوحٌ ومباركٌ.

٢٠ أكتوبر ٢٠٠٥

- ١٠١ -

«أنا هو لا تخافوا»

إنجيل متى ١٤: ٢٧

شخص المسيح كان ذا هيبة وجلال للذين تعاملوا معه، فعندما كان التلاميذ في المركب وهاجٍ عليهم البحر ارتعبوا لمَّا رأوا المسيح ماشياً على الماء ومقترباً إلى السفينة، فقال لهم المسيح: «أنا هو لا تخافوا». وكلمة "أنا هو" تدلُّ في تفسيرها اليوناني "أنا موجود"، فإذا وُجد المسيح حلَّت القوة وجاءت النجدة. لذلك فالذين عاشوا مع المسيح يدركون تماماً أنه كانت له دائرة وجود محسوس، هو مجال نعمة الله التي كانت ترافقه، فلما شكُّوا في كلامه لمَّا قال «أنا هو خبز الحياة»[١]، كان ردُّ المسيح أنه قال لهم إن كنتم تريدون أن تتركوني فاذهبوا، فكان رد بطرس الرسول، وهو كان دائماً مُلهَماً من الله، قال للمسيح: «يا رب إلى مَنْ نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك»[٢]. كان هذا التعبير يخفي حقيقة المسيح، فكلام الحياة الأبدية لا ينطق به إلاَّ صاحب

---

[١] يو ٦: ٤٨.

[٢] يو ٦: ٦٨.

الحياة الأبدية. هذا كان المجال الذي كان للمسيح حينما كان يتكلم. كان كلامه، حقيقةً، هو الحياة الأبدية. فالإنسان الموهوب كان يسمع المسيح فيجري وراءه، لأن الحياة الأبدية قطبٌ إلهيٌّ جاذبٌ، هو الذي جمع التلاميذ، وجعل منهم أقطاباً ورؤوساً موهوبة، وهيَّأهم لقبول الأعمال الفائقة وفهمها وتقليدها، فكانوا يباشرون التعاليم والمعجزات.

والمسيح يدرك تماماً أن كل من كان ينظر إليه كان ينجذب نحوه، لذلك طالما قال المسيح للأشخاص الذين ينتابهم الخوف، يقول لهم: "أنظروا إليَّ". فمجرد النظر إلى المسيح، كان بمثابة نوال الهدوء والسلام والقوة. عرفنا ذلك حرفيّاً في قصة 'فيبي' المتنصِّرة، فقد قالها لها عدة مرات "أنظري إليَّ" عندما كان الذين أرادوا القبض عليها يطاردونها وكانت مرتعبة، ولكنها أفلتت من أيديهم بطريقة لا يمكن تصديقها، إذ كانت معجزة حقاً.

فالمسيح عندما يقول «لا تخافوا»، كان يقولها من واقع مجاله الذي كان يتداخل فيه مع كل من يطلبه، فيصبح داخل إحاطة المسيح به. فإذا كان الإنسان، ضعيفاً يتقوَّى في الحال بصورة سرِّية، وقد قالها المسيح: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف

تُكْمَل»[٣]، بمعنى أن من كان ضعيفاً أو خائفاً ونادى المسيح، دخل مجال قوة المسيح مباشرة. بل إني أقول، عن دراية، إن مَنْ كان في موقف مرعب ونادى باسم المسيح، أرسل المسيح في الحال ملاكاً مقتدراً لإغاثة الملهوف. وقد يظهر الملاك بكامل كيانه الملائكي حتى يُطمئِنَ الإنسان المرتعب ويجد فيه المعونة والتقوية.

وطبعاً الكتاب المقدس مليءٌ بحضور الملائكة في حالة النداء باسم الرب. والرب نفسه قال: «أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدِّم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة؟»[٤]. فحينما يقول المسيح: «أنا هو لا تخافوا»، فقد أوضح أنه قادر على تعضيد الإنسان وقت الشدة.

وهذا السرُّ نافعٌ جداً لنا، لكي ندرك أننا لا نجاهد وحدنا، أو أننا ضعفاء غير قادرين على تأدية الأعمال الصعبة والمخيفة. فالمناداة باسم المسيح يقابلها، في اللحظة والتوِّ، قوة من فوق ومعونة مرافقة. فقول المسيح: «أنا هو لا تخافوا»، أصبح قوتنا وشجاعتنا في اجتياز المخاطر باسم الرب.

٢٠ أكتوبر ٢٠٠٥

---

[٣] ٢كو ١٢: ٩.

[٤] مت ٢٦: ٥٣.

- ١٠٢ -

«الحق الحق أقول لكم: مَنْ يؤمن بي فله حياة أبدية. أنا هو خبز الحياة»

إنجيل يوحنا ٦: ٤٧،٤٨

المسيح هنا يؤكد لسامعيه أن كلَّ من يؤمن به فله حياة أبدية؛ ثم يضيف «أنا هو خبز الحياة»، فهو يحضُّهم على الإيمان به، ثم يكشف لهم عن كيف ينالون الحياة الأبدية، بأكلهم خبز الحياة. وبعدها يكشف عن الأكل أنه أكل جسده. فحقيقة الأكل سرِّية محضة، لأن جسد الإنسان لا يؤكل. هنا لزم أن يوضح لهم أن جسده الذي تمزَّق على الصليب ومات وقام حيّاً، هو جسدٌ حيٌّ وغير مرئي مع أنه جسد حقيقي، لذلك لزم أن يُجسِّد جسده الحيَّ. فأخذَ خبزاً، ليلة العشاء السرِّي، وقدَّسه، وباركه، وكسره، وأعطاهم باعتباره سرَّ جسده قائلاً: «خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم»[1]، «من يأكلني فهو يحيا بي،

---

[1] ١كو ١١: ٢٤.

ويثبت فيَّ وأنا فيه»[٢]. وهنا الحياة هي حياة أبدية. فأصبح أكـل جسد المسيح واسطة لدخول الحياة الأبدية. وهنا قال الآية أعلاه أن «من يؤمن بِي فله حياة أبدية». وطبعاً، لكي يكون الإيمـان بالمسيح حقيقة ملموسة لدى الإنسان، فالإنسان يأكل جسـده، أي خُبْزه الذي كَسَره بعد أن قدَّسه.

فقول المسيح: «أنا هو خبز الحياة» حقّقه يوم العشاء السرِّي، وترك لنا سرَّ جسده بتقديس الخبز بالصلاة واسـتدعاء الـروح القدسِ لكي يكمل التقديس وينقله. فأصبح المسيح بهذا السـر حاضراً معنا حسب وعده «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضـاء الدهر»[٣]. وتقديس الخبز وكَسْرُه يحقّق وجوده. وهكـذا صـار الإيمان بالمسيح حقيقةً حاضرة باستمرار. وكلُّ من يأكـل مـن خبزه المقدس، ويعترف بموته وقيامته، ينال الحياة الأبدية.

فأصبح قول المسيح: «أنا هو خبز الحيـاة» حقيقـة سـرية لاهوتية، تؤدِّي إلي الحياة الأبدية فعلاً لكل من يؤمن ويعتـرف ويأكل. فلما تذمَّر بعض تلاميذه على هذا القول أي «من يأكل جسدي يحيا بي»، وتعثّر التلاميذ في مفهوم أكل الجسد «قـال

---

[٢] يو ٦: ٥٧، ٥٦.

[٣] مت ٢٨: ٢٠.

لهم: أهذا يعثركم... الروح هو الذي يُحيي، أما الجسد فلا يفيد شيئاً»[٤]، بمعنى أن حقيقة الأكل وحقيقة الجسد روحيةٌ صرف، والجسد هنا هو جسد إلهي مِلء الروح.

وأصبح الأكل من الجسد والشرب من الكأس مرادفين للإيمان بالمسيح، وسمة عامة للمسيحية، وعلى أساسها تقام الكنائس، وتحيا وتخلص نفوس الملايين.

وأصبح تأسيس العشاء السرِّي يعيشها كل مؤمن بالمسيح، ويشترك فيها كل المدعوِّين للخلاص. ووضعها المسيح كمعيار عام للإيمان به: **كلٌّ** «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه»، ويكون «له حياة أبدية»[٥]. ومن لا يأكل جسدي ويشرب دمي فليس له حياة[٦]، «الكلام الذي أُكلمكم به هو روح وحياة»[٧].

وهنا يحتاج القارئ أن ينتبه غاية الانتباه، لأن المسيح، وهو معتمد على المعرفة التي غرسها في قلوب تلاميذه، يكشف أعمق

---

[٤] يو ٦: ٦١، ٦٣.
[٥] يو ٦: ٥٦، ٥٤.
[٦] أنظر يو ٦: ٥٣.
[٧] يو ٦: ٦٣.

أسرار الحياة الأبدية، وهو سر العشاء الرباني، وكيف قَرَنَ الجسد بالروح، وأصبح من الضروري والالتزام أن نفهم ما للروح وما للجسد. فهنا الجسد الإلهي الذي للمسيح أصبح يحتوي اللاهوت والروح، والأمر متوقف على مدى التسليم القلبي والروحي للحقائق الإلهية، لكي نشترك فيها عن ثقة وإيمان روحي قوي قادر أن يستوعب الحقائق الإلهية المتجسدة أمامنا، وهذا سر المسيح والإنجيل.

٢٠ أكتوبر ٢٠٠٥



- ١٠٣ -

«لهذا قلت لكم: إنه لا يقدر أحد أن يأتي إليَّ، إن لم يُعْطَ من أبي»

إنجيل يوحنا ٦: ٦٥

قالها المسيح لما وجد أن بعضاً من تلاميذه تركوه ومضوا و لم يعودوا. وهنا كشف المسيح عن واقع التلمذة والإيمان بالمسيح واتِّباعه. فكان كثيرون، وحتى الآن، يظنون أن الإيمان بالمسيح هو اختيار شخصي، وأن الإنسان قادرٌ أن يؤمن بالمسيح ويتبعه أو لا. هذا وهمٌ، فالمسيح هنا يبدد كل فكر في حرية الناس المطلقة للإيمان بالمسيح، وأنه حسب إرادهم واختيارهم «الإيمان ليس للجميع»[1]. ولكن الحقيقة أعظم من ذلك بكثير، فالإيمان بالمسيح يلزم أن يعبر على الآب دون أن يشعر الناس. ولازم لزوم الحياة أن يوافق الآب على اختيار الناس الإيمان بالابن واتِّباع نهجه ومسيرته أولاً. وهكذا يتحتَّم أن يعبر اختيار الإنسان للإيمان بالمسيح موافقة الآب، وليس الموافقة فحسب، بل إن ما يغيب

---

[1] ٢كو ٣: ٢.

عن كل الناس، أنه يتحتَّم أن يجذب الآب مَنْ يختاره حتى يُقبِل على الإيمان بالمسيح.

فعلاقة الآب بالابن تدخل بصورة إلزامية وحتمية في الإيمان بالمسيح، ويعبُر الإنسان رضا الآب أولاً، ثم ينال جذبه بطرقه الخاصة جداً للإيمان بالمسيح عن رضا ومسرة. فالإيمان بالمسيح ليس هو عن هوى الناس وإرادتهم فقط. فيوجد ناظر سمائي يوافق ويجذب. وهنا يضعها المسيح بوضوح: «لا يقدر أحد أن يأتي إليَّ إن لم يُعطَ من أبي»، فالإيمان بالمسيح في حد ذاته عطية من الآب مُهداة إلى المسيح والناس.

أما كيف يعرف الآب ما في الإنسان، فهو كشف القلوب أمام الآب. فحياة الإنسان وأعماله وإرادته عريانة أمام عين الآب، وهو الذي يحكم بالموافقة أو الرفض.

يا أحبائي، هذا جديدٌ علينا كلنا ويلزم أن تكون قلوبنا وضمائرنا صريحة وواضحة أمام الله حتى يستطيع أن يقرر ويقبل مختاريه. لأن « اثنتين تطحنان على الرحى، تؤخذ الواحدة وتُترَك الأخرى»[٢]، فمن الذي أَخَذَ ومن الذي تَـرَكَ إلاَّ الآب، وهنا

---

[٢] مت ٢٤: ٤١.

تنتهي عجرفة الإنسان واعتداده بذاته أنه قادر على كل شيء.

فالتسليم لله هو بدء التعرُّف على الطريق والحق. هنا المسيح يوضِّح بأقصى وضوح أن للآب سلطانَ الاختيار والرفض، ومنه القبول وعدم القبول، فإن لم يُعْطَ من الآب فباطلٌ كل اختيار.

وقول المسيح إن «لا أحد يقدر أن يأتي إليَّ» يوضِّح ثانوية الإرادة البشرية أمام الاختيار الإلهي، فللآب حق "الڤيتو" كما يقولون. ولهذا نسمع عن رجوع الكثيرين من الطريق، ونحزن كل الحزن ونحاول أن نتدخَّل ونُقنع، ونتودَّد لدى الإنسان المرتد والراجع إلى الوراء، بل ونستعطف ونهدِّد، ونستخدم كل الطرق لكي نُثني الإنسان عن رجوعه إلى خلف، فنخسر الموقف في النهاية ونضع أيدينا على فمنا ونصمت، ونقولها يائسين: هي إرادة الله.

نعم، ليس كل مَنْ طَلَبَ المسيح يجده، ولا كل من اتَّبع المسيح يتيقن أنه انتصر وغلب، فهناك يد عُليا تفرز وعين صاحية تفتش وتفحص. فالمختارون قوم جازوا الاختبار الأبوي وفازوا بالرضا والموافقة وتبعوا المسيح، كمُرسَلين من فوق، ومختارين من عند الآب.

وقول المسيح «لا يقدر أحد أن يأتي إليَّ»، هو من واقعٍ مــرٍّ، لأن كثيرين جاءوا إلى المسيح ثم تركوه، وكثيرين كرزوا وبشَّروا وخدموا وهم ليسوا مختارين ولا هم حائزين على رضا وموافقة الآب. فعملهم وجهادهم يكون كالقش الذي لا يقدر أن يحتمل الريح، فتسوقه الريح وتذرِّيه على وجه الأرض.

فالذي يأتي إلى المسيح لا يأتي من الشوارعِ والحارات، بل يأتي من فوق، ويكون عمله وجهاده مقبولاً دائماً أمام الله.

٢٠ أكتوبر ٢٠٠٥

- ١٠٤ -

«أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف»

إنجيل يوحنا ١٠: ١١

الوظيفة التي أعطاها المسيح لنفسه وصارت مشهورة تَلَفُّ العالم كله. ولكي يفهم الناس معنى "الراعي الصالح" قال: «والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» كلها. وكل هذه الألفاظ جديدة على الإنجيل، فالمسيح يقصد بكلمة "**أنا هو الراعي**" أنه يهتم بنفوس سامعيه ويقود مُريديه، أما كلمة "**الصالح**" فتتضمَّن معنى أنه لا يأخذ ثمن تعاليمه، ويعتني بسامعيه ومُريديه ويحفظ حياتهم من التعاليم الغريبة. والمسيح أعطى مفهوماً كلياً لمعنى الراعي الصالح، كونه مستعداً دائماً أن يبذل حياته من أجل حياة أولاده والمؤمنين به. وببذل النفس، بلغ المسيح إلى الصليب والموت لفداء المؤمنين به.

وأصبح اسم الراعي الصالح منتشراً في جميع البلاد وجميع المؤسسات، وخاصة بين الراهبات. وهو اسمٌ محبوبٌ جداً يوحي

بالتديُّن وبذل النفس. والمسيح لم يغتصب هذا اللقب، بل كان بحياته يمثّل الراعي الصالح فعلاً. وكلمة "الرعاية" صارت بحد ذاتها وظيفة كل المشتغلين بالدين في المدارس والمؤسسات والبيوت، لأن الرعاية بحد ذاتها تعدَّدَ اختصاصُها من الدين إلى الصحة إلى الاجتماع، فكل من يقود النفوس يُسمَّى راعياً مهما تعدَّدت الاختصاصات. أما الصلاح فاقتصر على أعلى حالات التديُّن، لأن المعروف في الإنجيل أن إنساناً بادر المسيح بقوله: «أيها المعلم الصالح»[1]، فأَبَى المسيح هذا اللقب العالي وقال للشخص الذي يحدثه: «لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاَّ واحد وهو الله»[2] ذاته.

والمسيح هنا يُسمِّي نفسه «**الراعي الصالح**» على أساس أنه سيبذل نفسه للموت من أجل رعاياه. فبعدما أعلن المسيح أنه الراعي الصالح، تداول هذا اللقب المحبوب بين الناس بلا حرج، وبنوع من التكريم، حتى صار عنواناً لمدارس ومؤسسات بلا حصر في كل العالم. حتى بَذْلُ النفس، دخل كاصطلاح متميِّز للإنسان الذي يقدم نفسه لجهادٍ أو عملٍ صعب أو خطير أو

---

[1] مت ١٩: ١٦.

[2] مت ١٩: ١٧.

مميت من أجل الآخرين.

وفي النسك المسيحي يُعتَبر بذل النفس أقصى تعبير عن الإنسان الذي يجاهد في الحياة الروحية مقدِّماً ذاته للخطر من أجل حبه للمسيح، وتُعتَبر الأصوام الثقيلة بذلاً للنفس. والمعلم الأمين الذي يجاهد ليعلِّم خاصته شتَّى العلوم بجهاد واضح، هذا يُدعى معلماً باذلاً نفسه، وترتفع كرامته فوق كل المعلمين. والأم التي تخدم أولادها بإخلاص وأمانة تُحسَب باذلة لنفسها من أجل أولادها. كذلك الأب الذي يجاهد ليحصل على المال الذي يكفي مصاريف أسرته يكون أباً باذلاً.

وبذل النفس صفة متأصلة في الإنسان والحيوان على السواء، فلا يوجد حيوان لا يبذل نفسه لإطعام صغاره والدفاع عنهم حتى الموت. فأصبحت هذه الصفة صفةً حيّةً لجميع الأحياء، وتُحسَب أعظم صفة للبقاء والاستمرار لوجود الجنس أو الفصيلة أو الأسرة.

فكون المسيح يقول إنه الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف، هي صفة نادرة أن تكون بالوضع الذي رسمه المسيح على الصليب من أجل أحبائه، حيث وضْعُ الذات هنا لا مثيل له

إطلاقاً، لأنه شمل تعذيباً مرعباً انتقامياً جاهلاً من القاتلين انتـــهى بالموت.

فصار الصليب وما سبقه وما تمَّ عليه من تعذيب، أشدَّ صورة لبذل النفس شهدها الإنسان.

٢١ أكتوبر ٢٠٠٥



- ١٠٥ -

«خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفُها فتتبعني، وأنا أُعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي.
أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل،
ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد»

إنجيل يوحنا ١٠: ٢٧-٣٠

في الحقيقة يُحسَب حديث المسيح هذا ترنيمةً سماوية. وهنا لا يزال المسيح يُسمِّي أولاده المختارين "خرافي"، ويصفها بأنها تسمع صوته كصاحب وتتبعه من كل القلب. "وأنا أعرفها"، هذه حقيقة في غاية الأهمية أن يعرف الذي يؤمن بالمسيح أن اسمه مسجَّل في ذاكرة المسيح. ومعرفة المسيح لأشخاص المؤمنين به، تعني معرفة إلهية يدخل فيها المؤمن في دائرة نور المسيح الكاشف، فلا يَعُود يغيب عن المسيح أية حركة أو كلمة أو حتى تفكير في كلمة. فكل كيان المؤمن المحبوب يدخل في كيان نور لاهوت المسيح، فتصير حياته كلها مكشوفة، وبالتالي مُصانة ومعانة. والمؤمن يشعر بانجذاب نحو المسيح، انجذاب صادر أصلاً من الآب

فوق، لأن الآب محسوب أنه هو الذي أعطى، ويعطي المسيح المختارين. وعلى هذا الأساس، وبعد أن يكون قد تعرَّف تماماً على من يؤمن به، وصار يتبع الرب عن أمانة وصدق وحب، يقرر المسيح مصير مؤمنيه إذ يجعلهم من بين الذين أُعطيت لهم الحياةُ الأبدية ومُلْكُ الآب السعيد، ويصير مؤَمَّناً على النفس بدم المسيح وختم الصليب، فلا يأتيها سوءٌ ولا ضرٌّ، فلن تهلك قط إلى الأبد. وبهذا تصير النفس التي أمَّنها المسيح بدمه بعيدة جداً عن متناول يد الشيطان، فلا يقوى عليها مهما كان، إذ صارت ممسوكة بيد المسيح كما يحتضن الواحد صاحبه ويمسكه بكلتا يديه. لأنه قد صار معروفاً أن النفس مِلْكٌ للآب الذي يعطيها أمانةً للابن، فأصبح من المستحيل أن يَسلبها الشيطان من يد الآب. وهكذا تصير النفس مُصانة من الآب والابن.

هذه الصورة هي دستور الأمانة بالمسيح، فهي أمانة مسلَّحة بقوة الآب والابن معاً، إنه دستور حياة كل مؤمن اتَّبع المسيح وأَرضَى قلب الآب، حيث تصبح حياة الإنسان مصونة لحساب الملكوت المُعَدِّ.

ومن الأمور الهامة جداً أن يعرف الإنسان المؤمن حقيقة أن المسيح يعرفه، وأن الآب أيضاً يحيط به، ويستعلن ما في قلبه

وروحه. فيلزم للإنسان المؤمن أن يدرك دور الآب في معرفته بالمسيح وفي اختياره للحياة الأبدية، لأن معرفة الآب والابن هي رأس مال أمانة المؤمن الذي يمدُّه بالقوة، والصبر، والأمانة، ومعرفة الحق معرفة استعلانية بالروح والحق، فيتبع المسيح كجندي صالح في جيش الخلاص المهيَّأ لكل حرب تأتيه من العدو.

فقول المسيح إنه لا يستطيع أحد أن يخطف المؤمن بالمسيح من يده ولا من يد الآب، يكون التأكيد فيه لتطمين قلب الإنسان أن الحرب التي تواجهه لن يقابلها بإمكانياته الضعيفة، فيد الآب والابن محيطة به سرّاً، يستحيل معها أن العدو يقترب من الإنسان. وهذا هو سرُّ هدوء النفس جداً، لأنها محفوظة بقوة من فوق، فنحن لسنا وحدنا في العالم نلاطم فيه بدون العين الناظرة من فوق، بينما هو فينا ، وهو اليد الحافظة والمحيطة بالإنسان.

ولما تنتهي الحربُ نكلّل

نعم نكلّل في الموطن السعيد.

٢١ أكتوبر ٢٠٠٥

«أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة. إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن يُنقَض المكتوب، فالذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له إنك تجدِّف لأني قلت إني ابن الله؟»

إنجيل يوحنا ١٠: ٣٤-٣٦

كان تعبير الله قديماً فيما يختص بآدم حين أكل من الشجرة، «هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر»[١]. هذا التصريح عجيب وآدم تحت الخطية واللعنة، فأقوال الله تسري عبر الدهور والأزمان. ولما كُتِبَت التوراة كان فيها ما اقتبسه المسيح «إنكم آلهة»[٢]. بل وفي العهد الجديد نسمع في الإنجيل قول يوحنا الرسول «وجعلنا ملوكاً وكهنةً لله أبيه»[٣]. وهكذا فقول المسيح إنه ابن الله ليس بالجديد ولا بالغريب.

[١] تك ٣: ٢٢.
[٢] مز ٨٢: ٦.
[٣] رؤ ١: ٦.

وجيد جداً أن نسمع المسيح يقول عن نفسه جهاراً نهاراً "أنا ابن الله"، فما كان مخفيّاً في لاهوت المسيح، صار مُستَعلَناً الآن بفم المسيح. فالله الآب أرسل الابن المحبوب إلى العالم «ليَخلُصَ به العالم»[٤]، وقد كان. فأكمل المسيح ما طلبه الآب: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكْمَلتُه»[٥]، وفعلاً أكمل المسيح لما مات على الصليب وقام من بين الأموات بمجد الله، أكمل كلَّ ما طلبه الآب: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية»[٦].

وجيدٌ جداً ما أعلنه المسيح عمَّا جرى قبل إرساله إلى العالم، إذ أن الآب قدَّسه خصيصاً للرسالة. فجاء المسيح القدوس حاملاً تقديس الآب على ما له من قدسية خاصة «أُقدِّس أنا ذاتي»[٧]، هذا من أجلنا لنستلم منه القداسة بروح الله الآب الذي انسكب على التلاميذ، فعرَفوا في الحال أنهم قديسون.

وهنا يكون الإنجيل قد أصاب بكلمة المسيح: «لا يُنقَض المكتوب»، لأن الإنجيل أصبح كلمة الله الخالدة التي لا تُنقَض.

---

[٤] يو ٣: ١٧.
[٥] يو ١٧: ٤.
[٦] يو ٣: ١٦.
[٧] يو ١٧: ١٩.

لهذا، فكل من اتخذ الإنجيل طريقاً وأسلوب حياة، أصبح لا يمكن أن ينازعه أحد فيما اقتناه من الإنجيل من قوة ومعونة وحق وحياة.

بل وفي موضعٍ آخر راهن المسيح بالسماء والأرض إزاء الإنجيل، إن «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول»[8]، وهو الذي قال: «ولأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي، ليكونوا هم أيضاً مقدَّسين في الحق»[9]. فتقديس الآب لإرسالية الابن حصلنا عليه بالمسيح لما قدَّس التلاميذ بالحق. وهكذا صارت إرسالية المسيح واسطة تقديس لا ينتهي، لأن القداسة انتقلت إلينا بتقديس المسيح الخبز والخمر، وإعطائهما للتلاميذ ليأكلوا ويشربوا منهما تقديساً لحياتهم، ثم توصيتهم أن يعملوا هم هكذا، أي يُقدِّسوا الخبز والخمر لحساب كل من يأكل ويشرب، توطيداً وتمديداً للقداسة عبر الدهور والأزمان إلى أن يجيء الرب.

فتقديس الآب لإرسالية الابن انتقل إلى كل من آمن بالمسيح والآب، وهكذا صارت الكنائس أماكن تقديس المؤمنين. فتقديس الآب انتقل إلى العالم عَبْر المسيح بطريقة غامرة جرفت

---

[8] مت ٢٤: ٣٥.

[9] يو ١٧: ١٩.

أمامها كل الطقوس والأعمال. وهكذا فالقداسة والتقديس جاءتنا من فوق، فالعالم لم يكن موضع تقديس قبل المسيح، ولكن عمَّ التقديس العالم كله. ولكن الذي ينبغي أن يعيه المؤمنون الآن، أن أصل التقديس جاء من فوق من الآب قبل كل تقديس.

كما ولا يفوتنا قط قول الرسل في الإنجيل بكل صراحة وقوة، وكتسليم إلهي كتسليم الإيمان والإنجيل، ما قاله بطرس الرسول المُلهَم دائماً من الله ليقول الحق ويكشف عنه: «وأما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب»[10]، و«قد وَهَبَ لنا المواعيد العظمى والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية»[11].

٢١ أكتوبر ٢٠٠٥

---

[10] ١بط ٢: ٩.

[11] ٢بط ١: ٤.

- ١٠٧ -

«ويكون الجميع متعلّمين من الله.
فكلُّ من سمع من الآب وتعلّم يُقبِل إليّ»

إنجيل يوحنا ٦: ٤٥

«ويكون الجميع متعلمين من الله»، هذه الآية كانت معروفة في العهد القديم[1]، ويكمّلها أن معرفة الله تغطي الأرض «كما تغطي المياه البحر»[2]. وطبعاً الآية الجديدة والقديمة هما بالإلهام، وهما عن استعلان إلهي بحالة إيمان انتشر في الأرض كلها. ولكن الجديد والعجيب هنا أن يقول «ويكون الجميع متعلّمين من الله»، فالتعليم هنا هو تلقائي، ويبدو أن الروح القدس له دخل في ذلك، فهذا كان وعداً من الله يتمُّ في زمانه، حينما يكون المعلم هو روح الآب للقلوب المفتوحة بالنعمة. والعلم هنا غير محصور، لذلك قال إن: «المتعلّم من الآب يُقبل إليّ»، هنا التوجيه تلقائي وإلهي حينما يصبح المؤمنون على أتمّ استعداد لتعليم المسيح الذي

---

[1] أنظر إر ٣١: ٣٤، ٣٣.

[2] إش ١١: ٩.

يدخل قلوبهم كالمياه للعطشان.

والآية هنا تبدو غريبة نوعاً ما على ما عرفناه من أن الكرازة تسبق الإيمان، وربما المعجزات كانت تجذب قلوب كثيرين. هنا يُدخل المسيح علينا معرفةً وفهماً جديدين، أن الآب له يدٌ في ذلك بعمل الروح القدس الذي كان يهيِّئ قلوب الساعين إلى المسيح بالإيمان. وهذا الفهم الجديد علينا، يكشف لنا سرَّ دخول جماعات كثيرة ومتعددة الأجناس في كل العالم للإيمان بالمسيح بأقل جهد أو حتى بدون جهد. وهذه تُعتبر من أهم أسرار الإيمان وانتشاره في العالم، وهو أمر مُفرح للغاية، أن السماء كانت داخلة في نشر الإيمان وتثبيته. في هذا الوقت يكون الآب قد دَخَلَ في سرِّ التضييق على الشيطان حتى أرخى قبضته عن الكثيرين. والآن نشعر العكس تماماً، فالشيطان يشدد قبضته بصورة مؤلمة للغاية، حتى أن أولاد الله الناشطين في الشهادة والكرازة أصبحوا قلَّة وتحت اضطهاد مُرٍّ، فتوقفت الكرازة في معظم أنحاء البلاد، لأنها أصبحت محجوزة بيد الشيطان.

وليس باليد حيلة، فنحن نسمع ونرى ونعاين، ولا نستطيع أن نحرك ساكناً، فالعدو متربِّص بالمؤمنين يطلب من يبتلعه[٣]، ولولا

---

٣ أنظر ١بط ٥: ٨.

معونة الله الخفيَّة وانتباه الآب، ما استطعنا أن نقـاوم ونعـيش. فنحن نجوز اضطهاداً منظَّماً، تشترك فيه حتى الطبيعـة فتأكـل بالآلاف، زلازل وبراكين وأوبئة، وأعاصير عاتية تُغرِق المـدن وتبتلع الضعفاء وتهاجم البشر في البيوت ويعمُّ الغرق بالماء، فهي نفس الأيام الصعبة التي سبق المسيح وتنبَّأ بها. فتوقَّفت الكـرازة تقريباً في كل البلاد، وصار المؤمنون محاصَـرين مـن الـداخل والخارج، والقليل هو الذي يقاوم ويعيش. وحتى الأيام أصبحت تحمل لنا كل صباح أخباراً مزعجة عن حوادث طغـت علـى العالم، و لم يصحُ قطر من الأقطار إلاّ ويغشاه الخطر مـن كـل الوجوه.

وأصبحت الأيام المشرقة والمليئة بأخبار الكرازة والإيمان النشط في خبر كان وتمنيات حالمة، لأن ضيق الأيام يزداد يوماً بعد يوم. لذلك حينما نسمع عن الأيام التي كانت فيها السـماء عونـاً، والآب يرسل في السرِّ دفقات من نعمته حاملة موجـات مـن الإيمان إلى قلوب المحبِّين المشتاقين إلى الله، نغبط آباءنـا الـذين عاشوا في تلك الأيام على الإيمان الحار ومحبة الله الهادية قلـوب الناس.

٢١ أكتوبر ٢٠٠٥

- ١٠٨ -

«كما أرسلني الآب الحيُّ وأنا حيٌّ بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بي»

إنجيل يوحنا ٦: ٥٧

حياة الابن بالآب الحيِّ هي جوهر اللاهوت، فالمسيح جاء حاملاً هذا الجوهر اللاهوتي غير المدرَك، وهو حياة الآب في حياة الابن. فلما جاء المسيح، قدَّم نفسه للناس أنه جاء من عند الآب حاملاً لهم البشارة، أنهم إذا أكلوا جسده وشربوا دمه أصبحوا أحياءً في الآب والابن، وكان هذا خلاصة اللاهوت كله. وابتدأ المسيح يوماً فيوماً يكشف كيف أنه سيموت على الصليب لأجلهم، ويقوم حيّاً بجسد حيٍّ إذا أكل منه الإنسان يحيا ولا يذوق الموت. وعاد أيضاً في آخر يوم لكرازته وأقام مع تلاميذه الفصح الأخير، ولكن عِوَضَ أكل لحم الخروف، أخذ خبزاً وكسر بعد أن قدَّسه وبارَكه وأعطاهم ليأكلوا، قائلاً لهم إن هذا الخبز هو جسده، والخمر هو دمه الذي سيسفكه على الصليب، مُعلناً أن جسده مأكلٌ حقٌّ ودمه مشربٌ حقٌّ، وكل من يأكل

جسده هذا ويشرب دمه فله حياة، وأوصاهم أن يعملوا ذلك لذكْره[1]. فأصبحت الحياة التي يحياها الإنسان بالأكل من هذا الخَبز والشرب من هذا الدم هي هي الحياة التي يحياها الابن وحياة الآب معها بالضرورة، وصارت للإنسان بهذا الأكل شركة في حياة الابن والآب.

وبهذا فالحياة الجديدة التي يحياها الإنسان عن إيمان وحق، هي السرُّ الإلهي الذي سيؤهِّل الإنسان للحياة الأبدية مع الآب والابن. وهكذا بهذه الآية يتلخص الإنجيل كله. وقبول الحياة يتم بأكل الجسد والدم اللَّذين ليسوع المسيح بسرٍّ لا يُنطَق به، إذ كيف يتحوَّل الأكل والشرب إلى حياة. هذه أكبر معجزة يقابلها الإنسان في حياته، لأنه كما يقول بولس الرسول في معنى هذه الحياة، أنا لست حيّاً بعد ولكن المسيح هو الحيُّ فيَّ، فما أحياه الآن أحياه بالإيمان بربي يسوع المسيح[2].هكذا يصبح الإيمان المسيحي حياة حقيقية نحياها بالإيمان.

والحياة في المسيح بالإيمان ليست مجرد كلمات، ولكنها قوة جديدة روحية تدبِّر أعمالنا وأفكارنا، ويمتد سر هذه الحياة حتى

---

[1] أنظر مت ٢٦: ٢٦-٢٨ و يو ٦: ٥٥، ٥٤.

[2] أنظر غل ٢: ٢٠.

بعد الموت لما تُختم بالحياة الأبدية المذّخرة لنا عند الآب. فليس عبثاً يقول المسيح «أنا حيٌّ بالآب ومن يأكلني يحيا بي»، فهذا امتداد بالحياة وسرِّها إلى فوق من الآن، لأن حياة الآب تكون قائمة فينا بحياة الابن.

هذه الحقائق الإلهية تفوق إدراكنا البشري، ولكنها تبقى حقيقة إلهية في سرٍّ يعمل فينا لحساب الحياة الأبدية، التي فيها نستعلن واقعنا في شركتنا الروحية هذه في المقدَّسات العُلا.

أما الآن فتقتصر حياة الآب والابن فينا إلى انفتاح الذهن لقبول هذه الحقائق في قراءة الإنجيل بصورة دائمة، مع معونة من الروح القدس لقبول المقدَّسات الحاضرة بالإيمان في ثقة وتسليم.

والإيمان بالمسيح يعطي الإنسان المؤمن الصادق في إيمانه نوعاً من السلام والهدوء والسكينة تعيننا على اجتياز صعوبات العالم باحتمال ويُسرٍ. فالإيمان بالمسيح أصبح عامود الحياة الثابت والراسخ في عيشتنا، يستطيع الآخرون أن يلحظوه ويغبطوه.

وحينما يقول بولس الرسول: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ، فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان»[٣]، فهذا تعبير

---

٣ غل ٢: ٢٠.

واقعي، فبولس الرسول يتكلم عن واقع حياته لأنه يشعر بأن الإيمان بالمسيح إنما يعمل فيه ويقوده ويعبر به كل المواقف الصعبة التي واجه فيها الموت مراراً، بل وذاق الضرب بالعصيِّ حتى فقد وعيه وجرُّوه خارج المدينة واعتبروه قد مات، ولكنه قام حيّاً يُسبِّح بمجد الله الذي تراءى له وهو شبه ميت[٤]. فحياة بولس الرسول ورسائله تفيض بمفردات الإيمان المسيحي كله، وتُحسَب لنا كوثيقة تحمل علامات الطريق المؤدِّي إلى فوق.

والكثيرون من المؤمنين يسيرون الآن بسيرة بولس الرسول يكرزون ويبشرون بالإنجيل بقوة روحية مؤيَّدة بالنعمة، والآيات الناطقة، والمعجزات التي تُصادق على الكلمة المسموعة.

٢٢ أكتوبر ٢٠٠٥

---

٤ أنظر أعمال ١٤.

- ١٠٩ -

«هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب»

إنجيل لوقا ١٥ : ٧

بعد أن سرد المسيح قصة الخروف الضال، وكيف كان موضع فرح صاحبه حتى جيرانه؛ والمرأة التي أضاعت درهماً واحداً، وكنست البيت كله تبحث عنه فوجدته، كيف فرحت به مع جميع جيرانها؛ طبَّق المسيح المثلين على خاطئ واحد يتوب على الأرض، كيف يكون سبباً لفرح قدام الملائكة الملازمين لله في السماء.

ولأول مرة يُصرِّح المسيح أن السماء والملائكة مشغولون بالخطاة الذين يتوبون، وهذا ينبِّه قلوبنا بأهمية الإنسان الخاطئ كيف أن أخباره يتداولها السمائيون. وقد كنَّا قد اعتدنا على تصوُّر أن الخطاة يلفظهم المجتمع ويُحتَقَرون من خاصتهم، فلا يهتم بهم لا عدو ولا حبيب، لذلك يعيشون شبه مُطارَدين من المجتمع ومن أهلهم وذويهم. وفجأة هنا نسمع أن الخاطئ تتداول أخباره الملائكة، فيحزنون للضال ويفرحون بالخاطئ التائب.

شيء جديد علينا فالسماء قريبة منا تتداول أخبارنا، إن بالحزن أو بالفرح.

وهذا الكشف الإلهي عن التوبة وقيمتها التي تبلغ إلى السماء يجعلنا نراجع أنفسنا، فنحن أَوْلَى بالحزن على الخاطئ والفرح بالتائب. وأصبح لزاماً علينا أن نعمل في صفوف الخطاة لنجذبهم إلى التوبة، فهذا العمل يُرضي الله ويُفرح الملائكة.

والذي يكشف لنا عن هذا السرِّ السمائي هو المسيح نفسه، فهو خبر يقيني لا يليق أن نستهين به، خاصة ونحن نعلم علم اليقين أن الآب السماوي قد اهتمَّ بخطاة العالم كله، ووهبهم ابنه الوحيد ليبذل حياته ويفدي الخطاة بذبيحة نفسه: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية»[١]. إن هذه الآية صارت هي فاتحة الإنجيل، ودستور المشتغلين بالخدمة وافتقاد البيوت وخدمة المعوزين وإنقاذ المعدومين، حتى لا يكون سبب للخطية. لأن الخدمة والافتقاد قائمة على نشر الإنجيل وخدمة الكلمة، فإن كان الآب وهب ابنه الوحيد لخدمة وحياة الخطاة، فكيف لا

---

[١] يو ٣: ١٦.

نبحث عنهم ونجري وراءهم ونردهم إلى حضن المسيح الدافئ؟

إن خدمة الخطاة وافتقادهم في هذه الأيام أصبحت من أهم ما يقوم به المختصُّون في الخدمة والافتقاد. وكأنما حلَّ الروح من عند الله لكي يلهمهم العمل والاجتهاد، فكلمة الله تُقرأ الآن في كل بيوت الفقراء والمعوزين، كما يمدُّونهم بما يحتاجون إليه من طعام وملبس وتمريض.

والذي لا يخدم بيديه يخدم بماله، فصارت الخدمة مُعانة من أفراد كثيرين من ذوي الأموال التي يهبونها بكثرة وغيرة مقدسة وفرح. فالذي يشترك في الخدمة بماله أصبح قوام الخدمة والافتقاد.

وصار خبر الخدمة والخدام يغشى البيوت والأغنياء، فابتدأت صحوة مجيدة لخدمة إخوة الرب من كل حال. وهكذا أصبح ذوو الأموال لهم دور في الخدمة والافتقاد لا يقلُّ قيمة عن الذين يسعون بأنفسهم وأرجلهم للبحث عن الفقراء والمعوزين والمرضى في كل البلاد، شيء يفرح قلب الملائكة والله.

ودخلت الآلات الحديثة التي تسجل الأعمال والأموال والأسماء، الكومبيوترات تقوم بعمل رائع وجليل في متابعة الخدمة

والخدام والأعمال والأموال لتسهيل أعمال المتابعة، شيءٌ يفـــرح قلب الله.

٢٢ أكتوبر ٢٠٠٥

تذكار شهادة القديس متى الإنجيلي

